الفصل الخامس

العرب والصراع للسيطرة على البحر المتوسط

امتلك الوطن العربي شواطىء طويلة جدا على سواحل البحر المتوسط ، وأبحر العرب منذ أقدم العصور في داخل هذاالبحر ، ووصلوا بين أطرافه ، فقد أبحر الفينيقيون بين سواحل الشام وسواحل المغرب وأسسوا المدن والمراسي والمحطات التجارية ومسالة تأسيس قرطاج معروفة وكذلك حروب قرطاج مع روما ، وقامت هذه الحروب من أجل السيطرة على البحر المتوسط ، وانطلقت شراراتها الأولى من صقلية.

وكان عرب شبه الجزيرة قبل الاسلام يعرفون البحر المتوسط ويدركون مدى أهميته خاصة بالنسبة للتجارة ، فقد أعتاد أهل مكة على رحلتي الشتاء والصيف ، وأوصلتهم رحلاتهم التجارية أحيانا إلى سواحل الشام ، فهاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم توفي في غزة.

واهتم النبي صلى الله علية وسلم ببلاد الشام ومصر ، وفي أيامه راسل عليه الصلاة والسلام هرقل وملوك الغساسنة ومقوقس مصر ، ووجه اكثر من حملة عسكرية ضد بلاد الشام وكانت آخر حملة جندها بقيادة أسامة بن زيد صممت لترسل ضد بلاد الشام، وهذا ما كان بعد وفاته.

وفي أيام أبي بكر بعثت الجيوش لفتح بلاد الشام ، فور الفراغ من حروب الردة ، ورسمت خطة فتوح الشام على أساس اهتم بشواطىء المتوسط أولا ثم بداخل البلاد ثانية ، فجيش يزيد بن أبي سفيان تكلف بالشواطىء الشمالية ، وجيش عمرو بن العاص تكلف

بالجنوب ثم بفتح مصر ، ومن ثم توبعت أعمال الفتوح حتى الأندلس فجنوب فرنسا وشواطئها المتوسطية.

وشرع العرب منذ العصر الراشدي بالاهتمام بركوب البحر المتوسط والمرابطة عل شواطئه ، ومن مزايا البحر المتوسط كثرة الجزر فيه ، وللسيطرة على هذه الجزر فوائد جمة ، تتخذ قواعد للملاحة ومحطات للتجارة وللتزود بالمؤن ولأعمال عسكرية وسواها.

ففي ولاية معاوية على الشام لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب جرت المحاولات الأولى لركوب البحر المتوسط ، أو ربما لتصنيع أسطول عربي يدافع عن شواطىء الشام ومصر ويحول دون أية عمليات إنزال بيزنطية ، وفي أيام عثمان بن عفان ، أذن هذا الخليفة الراشدي لمعاوية سنة ٢٨ هـ / ٦٤٩ م بركوب البحر لغزو جزيرة قبرص ، وبالفعل قاد معاوية أسطولا تألف من عدة مئات من السفن بني بعضها في بلاد الشام وبعضها الآخر في مصر ، ووصل الاسطول قبرص ، وتمكن من فرض الصلح عليها دون قتال ، وتبعا لشروط خاصة بأن يدفع القبارصة للمسلمين جزية سنوية قدرها سبعة الاف دينار ، وأن ينذروا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم ، وأن يقوم إمام المسلمين بتعيين البطريرك على قبرص ، وليس للمسلمين حق طلب النصرة العسكرية من القبارصة ، وعليهم أن يسمحوا لهم بدفع مبلغ سبعة الاف دينار سنويا للامبراطورية البيزنطية ، وفي مرحلة تالية من حكم معاوية وضعت حامية عسكرية مسلمة في قبرص ظلت فيها حتى أيام يزيد بن معاوية (١) .

وفي أيام معاوية بعدما آلت إليه الخلافة ، استؤنفت حركة الفتوح العربية في الشمال الأفريقي ، وامتلك العرب استراتيجية متوسطية ، استهدفت تحويل هذا البحر الى بحيرة شامية ، وهكذا ربح العرب الحرب ضد الأساطيل البيزنطية في ذات الصواري ، ثم حاصروا القسطنطينية في محاولة لفتحها.

وفي أيام الوليد بن عبد الملك أكمل العرب فتح الشمال الأفريقي ثم فتحوا الأندلس فسيطروا على أحد منفذي البحر المتوسط ، وفي أيام

سليمان بن عبد الملك خليفة الوليد حوصرت القسطنطينية مجددا برا وبحرا لمدة سبع سنوات ، ولم يفلح العرب في الاستيلاء عليها.

وحكي الكثير عن نتائج هذا الاخفاق ، وأنه حمى أوربا النصرانية وحضارتها ، وتحدث أميل لودفيغ في كتابه البحر المتوسط عن هذه المسألة بقوله: « وإذا ما تركنا جانبا حروب الاسلام ضد فارس ومصر لعدم وجود علاقة مباشرة لهما بحياة البحر المتوسط ، وجدنا العرب يحاربون فريقين من الدول فيما بين القرنين السابع والتاسع ، يحاربون بيزنطه والجرمان ، وما اتفق لسلطان ابناء الصحراء من سرعة نشوء في قوتهم البحرية يقضي بالعجب ، ومن قول محمد (صلى الله عليه وسلم): « نصر فوق البحر يعدل عشرة انتصارات فوق البر » ومن الواقع أن العرب غلبوا اسطول بيزنطة عدة مرات ، فتقدموا حتى رودس وقبرص ، ووجدوا بيزنطة مفتوحة أمامهم ، وهم لم يوقفوا إلا أمام هذه المدينة نتيجة لمقاومة أسوار ثيودور ، وبفعل النار اليونانية ، التي اخترعت حديثا ، وكان حصار العرب لبيزنطة الذي دام سبع سنين أطول حصار تم في تلك الزاوية من العالم منذ عسكر أشيك أمام طروادة ، أي أطول من حصار صور وكورنثة وقرطاجة وسرقوسة ، ومع ذلك فإن بيزنطة قاومت ، فأنقذت أوربة كما يقال عادة ، ومن أي شيء أنقذت في العادة؟ لو صارت أوربة مسلمة منذ اثني عشر قرنا ما أصبحت أقل حضارة ولا أقل سعادة...وذلك إلى أن جميع البحر المتوسط كان يحيى بحركة ثقافية ، وما كانت مئتا سنة تمران حتى كانت الأمم المسنة قد تلقت من العرب علم الجبر والحساب العشري والرقاص ، واستعمال الآلات الفلكية والأدوية المخدرة ، وكما تعلمت منهم الصباغة والدباغة والوشي وصنع الزجاج والخزف والبسط والورق ، كما تعلمت منهم البستنة والري وزراعة الأثمار الجديدة ، وفي فن البناء اقتبست أوربة من العرب الأقواس المصنوعة على شكل نعل الفرس ، والنقوش على هيئة النباتات والحيوانات وفن الترصيع ، ثم إن العرب فجروا الماء داخل البيوت وفي الساحات والحدائق وفي كل مكان » (٢) .

وكان العرب بعدما أسسوا مدينة القيروان في داخل إفريقية وتقدموا في فتوحاتهم عادوا نحو ساحل المتوسط حيث أعادوا تأسيس مدينة تونس في موقع قرطاج ، واتخذوا هناك دار صناعة ،وامتلكوا أساطيل خاصة بهم نشطت ضد الشواطيء الايطالية وضد صقلية وغيرها من جزر المتوسط وكانت أهم النشاطات حسبما يلي:

ـ حملة سنة ٨٤ هـ /٧٠٣ م بناء على أوامر عبد العزيز بن مروان والي مصر ، وقد قادها ابن رافع الهذلي ، وقدمت الحملة من مصر الى سوسة ، وكان والي إفريقية موسى بن نصير ، ومن سوسة توجهت ضد سردينية ، على الرغم من تحذيرات موسى بن نصير ، فقد كان الموسم خريفا ، ولهذا تدمرت السفن أثناء العودة نتيجة لتعرضها للعواصف ، وحاول موسى استرداد بعض السفن المدمرة.

ـ حملة سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ، أرسلها موسى بن نصير وقادها ابنه عبد الله، وسميت غزوة الأشراف ، لكثرة الشخصيات العربية التي شاركت فيها ، وقد تكللت هذه الحملة بنجاح كبير.

ـ حملة سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، أرسلها موسى بن نصير وقادها عياش بن أخيل ، وسارت ضد سرقوسة.

ـ حملة سنة ٨٩ هـ/ ٧٠٧ م ، بعث بها موسى بن نصير ضد سردينية ، وقادها عبد الله بن مرة ، وقد عادت بأعداد كبيرة من الأسرى وكميات من الغنائم.

ـ حملة سنة ٩٢ هـ /٧١٠ م بناء على أوامر موسى بن نصير توجهت أيضا ضد سردينية ، وقد غرقت في طريق العودة.

وتوقفت الحملات اعتبار من هذا التاريخ ضد صقلية وسردينية ، لانشغال الأساطيل في عمليات فتح الأندلس.

ـ حملة سنة ١٠٢ هـ/ ٧٢٠ م قادها محمد بن أوس الأنصاري ضد صقلية ، وعاد محملا بالغنائم الى إفريقية فوجد والي البلاد يزيد بن

أبي مسلم الأنصاري قد قتله حرسه ، فعرضت عليه أعمال الولاية ريثما يعين الخليفة واليا جديدا.

ـ حملة سنة ١٠٩ هـ /٧٢٧ م قادها والي إفريقية بشر بن صفوان نفسه.

ـ حملة سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م وجهها والي إفريقية الجديد عبيدة ابن عبد الرحمن السلمي ضد صقلية فاصطدمت بالقوات البيزنطية وهزمتها.

ـ حملة سنة ١١١ هـ / ٧٢٩ م وجهها الوالي نفسه ، شاركت بها مائة وثمانون سفينة ضد صقلية ، لكنها تعرضت لكارثة بسبب العواصف وقلة احتياط قائدها.

ـ حملة سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م وجهها الوالي نفسه ضد صقلية ، وعادت مظفرة.

ـ حملة سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م وجهها أيضا الوالي نفسه ضد سردينية وكانت أيضا مظفرة.

ـ حملة سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م وجهها مجددا الوالي نفسه واصطدمت مع القوات البيزنطية ففقدت عددا من السفن.

ـ حملة سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤م وجهها والي إفريقية الجديد عبيد الله ابن الحبحاب ضد صقلية فاصطدمت بالاسطول البيزنطي ونشبت معركة غير حاسمة.

ـ حملة سنة ١١٧ هـ/ ٧٣٥ م وجهها عبيد الله بن الحبحاب ضد سردينية

ـ حملة سنة ١١٩ هـ/ ٧٣٧م وجهها الوالي نفسه واستهدفت سردينية

ـ حملة سنة ١٢٢ هـ/ ٧٣٩ م وجهها الوالي نفسه واستهدفت فتح صقلية ، وبعدما حققت بعض النجاحات استدعيت للعودة بسبب ثورات الخوارج التي تفجرت

ـ حملة سنة ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م أمر بها عبد الرحمن بن حبيب الفهري المتغلب على المغرب ، فتوجهت ضد صقلية .

ـ حملتان سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م بعث بهما عبد الرحمن بن حبيب ضد كل من سردينية وصقلية ، وفي هذه الآونة سقطت دولة بني أمية (٣) ، وشهدت بلدان المغرب مرحلة تاريخية جديدة ، ولم تعرف البلاد الاستقرار حتى تأسيس دولة الأغالبة ، وفي عصر الأغالبة في القيروان ورقاد تمت عملية فتح صقلية ولم يقد جيوش الفتح الى صقلية قائد عسكري بل قادها قاضي المسلمين أسد بن الفرات ، وهاكم الحكاية :

نقرأ في كتب الأخبار التي أتت على ذكر الامام أسد بن الفرات وفتح صقلية أنه في أحد أيام سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م تجمهر أهالي مدينة سوسة في تونس يتقدمهم أمير البلاد زيادة الله بن الأغلب ومعه أركان دولته ، تجمهروا قرب مرسى المدينة لوداع الامام أسد بن الفرات ، الذي كان متوجها على راس اسطول كبير لفتح جزيرة صقلية .

وخاطب أسد المتجمهرين قائلا :« والله يامعشر المسلمين ماولي لي أب ولاجد ولاية قط ، ولارأى أحد من سلفي مثل هذا قط ، وما رأيت ماترون الا بالأقلام ، فأجهدوا أنفسكم ، واتعبوا ابدانكم في طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته ، فانكم تنالون به الدنيا والآخرة » . ودلالات هذه العبارات وان قيلت بمناسبة عسكرية ، هي غير عسكرية ، ومرد هذا الى طبيعة اختصاص قائلها ، فأسد بن الفرات كان قبل ان يكلف بقيادة حملة صقلية يشغل وظيفة قاضي المسلمين في افريقية ، وعد أول علماء الغرب الاسلامي وأكثرهم فقها ، والبحث في سيرة أسد بن الفرات وأعماله يقتضي لأهميته اثارة عدد من القضايا البالغة الخطورة، ذلك انه على كثرة عدد العلماء والفاتحين في التاريخ الاسلامي، يكاد أسد بن الفرات ان يكون وحيدا ، في تفرده بالجمع بين الفقه والاجتهاد والقضاء ، والامارة ، وحياته على هذا مرتبطة وثيق الارتباط بتاريخ دولة الأغالبة في تونس ، وبمسألة انتشار فقه المالكية في الغرب الاسلامي ، وبالصراع للسيطرة على البحر المتوسط وفتح جزيرة صقلية .

وعلى الرغم من جلالة هذه الأمور ، واهميتها القصوى ، فان المصادر العربية شحيحة المعلومات حولها ، ومن المثير للدهشة ان مصنفات التاريخ الاسلامي العامة لم تتعرض بشكل يشفي الغليل لهذه الأحداث الجسام ، فقد اهتمت بشكل مكثف بأحداث الأقاليم المركزية لديار الخلافة ، ولم تحفل كثيرا بسرد تفاصيل اخبار ما جرى في الأقاليم النائية عن بغداد ، كإفريقية مثلا ، حتى وان وقعت هنالك أحداث على درجة عالية من الخطورة وعميق الأثر مثل فتح صقلية !

وهنا نفزع الى كتب التاريخ المحلية مع مصنفات التراجم - ان وجدت - لنحصل منها على ما نحن بحاجة اليه من معلومات ، ومعلوم ان الغرب الاسلامي عرف حركات تأريخ نشطة ، وتدوينا غنيا نسبيا للأخبار ، ولكن المشكلة هنا ان هذه الحركة ولدت متأخرة عن وقت الحوادث المبكرة ، ثم ان عددا من المدونات المبكرة مازالت محجوبة عنا ، لم تصلنا كاملة او لم تصلنا بالكلية.

ولحسن الحظ ان كتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي قد وصلنا كاملا ، ومع أن صاحبه صنفه في مطلع القرن الثامن للهجرة (٧١٢ هـ) فإنه اعتمد بتفاصيله الهامة على كتابات المؤرخين الذين سبقوه مثل ابراهيم الرقيق القيرواني وغيره ، ومعلومات ابن عذارى عن دولة الأغالبة في القيروان وفتح صقلية على درجة عالية من الأهمية والفائدة ، ومثل ابن عذارى يأتي بعده ابن خلدون ، فالذي أودعه في مقدمته ومتن كتابه العبر عن الغرب الاسلامي عظيم الفائدة ، بسبب اطلاعه الواسع على مؤلفات مؤرخي المغرب والأندلس الذين تقدموا على عصره ، ثم بسبب اشتغاله بالسياسة وتقلبه في عدد من الوظائف ونظرا لرحلاته الواسعة .

وقد قام في القرن الماضي العالم الايطالي ميكائيل عماري بنشر (سنة ١٨٥٨) كتابه الحافل «المكتبة العربية الصقلية» وفيه جمع أغلب ما تناثر في كتب العرب من أخبار عن صقلية والصقليين ايام دولة المسلمين ، والف كتابا اخر بالايطالية بعنوان «تاريخ العرب

بصقلية» جاء في خمسة أجزاء ضخمة ، ومن بين العرب يأتي المؤرخ الجزائري الاستاذ أحمد توفيق المدني على رأس الذين كتبوا عن صقلية وخاصة كتابه«المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا» ثم الدكتور احسان عباس الذي كتب أطروحة عن صقلية اهتم بها بالجوانب الأدبية والحياة الثقافية للعرب فيها ، وجاء بعدهما عزيز أحمد فكتب تاريخ صقلية الاسلامية » هذا وأولت بعض الدراسات حول الدولة الأغلبية مثل كتاب محمد الطالبي موضوع صقلية اهمية خاصة .

ولدت الخلافة العباسية ولادة خراسانية مشرقية ، وقد ظلت هذه الخلافة طيلة حياتها غارقة في بؤرة مشاكل المشرق ، ولذلك يلاحظ ان اهتمام هذه الخلافة بالجناح الغربي من ديار الخلافة كان من الدرجة الثانية ، كما انها عجزت منذ أيام ولادتها عن مد سيطرتها عليه جميعا ، يضاف الى هذا كانت الدولة العباسية دولة قارية نادرا ما اهتمت بالبحر المتوسط أو فكرت ببناء أساطيل للنشاط فيه .

وفي العصر العباسي المبكر ارسلت بغداد عدة حملات نحو الشمال الأفريقي ، وقامت بمحاولات متعددة للحيلولة دون استقلال جميع بلدانه ، ولكنها اخفقت ونجح الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية في تأسيس حكمه في الأندلس ، كما نجح عبد الرحمن بن رستم في اقامة إمامة تيهرت الاباضية (في عمالة وهران جزائر اليوم)ونجح بنو مدرار الصفرية في تأسيس امارتهم في سجلماسة على طرف الصحراء ، ونال آل سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب التوفيق في تأسيس دويلة لهم في منطقة تلمسان ، وتمكن ادريس أخو سليمان من تأسيس دولته في المغرب الأقصى ، وكانت هناك من قبل دولة برغواطة على الساحل المغربي في بلاد تامسنا

وادراكا من بغداد لهذا كله وخشية أن تمتد الحركات الاستقلالية الى بلدان المغرب الأدنى ومصر ساعدت على قيام دولة الأغالبة وذلك في أواخر القرن الثاني للهجرة ، ولقد حازت دولة الأغالبة على

استقلالها ، لكنها لم تقطع قط وشائجها بالولاء للخلافة العباسية.

ولم تنعم دولة الأغالبة بصداقة أي من دول الشمال الأفريقي ، وكان نفوذها الفعلي على القبائل البربرية في الداخل غير قائم عمليا ، ثم انها لم تنعم بالاستقرار الداخلي الا بشكل نسبي، فقد عانت دوما من الاضطرابات الداخلية والضغوط الخارجية، وحفل تاريخها بفتن الجند ، وهكذا عندما وجدت نفسها محاصرة من الداخل انشدت نحو سواحل البحر المتوسط ، وتورطت في صراعاته السياسية والتجارية .

وكما سلفت الاشارة شغل البحر المتوسط منذ فجر التاريخ دور القلب النابض بالنسبة للحضارات ، فعلى شواطئه قامت ثم تطورت الديانات السماوية والفلسفات ، ومن بلدانه انتشرت الى بقية أجزاء العالم، وكان هناك صراع دائم بين القوى المختلفة حوله للتحكم بشؤون الملاحة فيه والسيطرة عليه وتحصيل الثروة .

ورأينا أنه بعد قيام الاسلام ، ومع انتشاره في المشرق والمغرب باتت أوربا محاصرة من قبل العرب ، وخاصة أوروبا الغربية، ونطاق الحصار الذي فرضه العرب كان جديدا كليا : لغويا وقانونيا وحضاريا ودينيا ، مما ادى الى تغيير جذري للنظم الاقتصادية والقانونية والحضارية العامة والدينية في أراضي روما الغربية ، ذلك أن جميع الطرق لم تعد تقود الى روما بل الى حواضر الاسلام ، وتعطلت سياسة استيراد القمح وسواه الى أوروبا. فوجدت أوروبا الغربية نفسها مضطرة الى الاعتماد على الذات بالانتاج المحلي ، ومن ثم اكتشاف الأجزاء الشمالية منها ، وإزالة الغابات لزراعة الحبوب مكان الأشجار ، وهكذا قيل انتهت فعليا العصور الكلاسيكية القديمة وبدأت العصور الوسطى ، فحلت اللهجات ذات الجذور الجرمانية محل اللغة اللاتينية ، وأخذت النظم الاقطاعية بالظهور ، وهذا موضوع سنعود اليه في الجزء الثالث المقبل من كتاب المدخل .

ولم يقتصر عمل العرب في سبيل السيطرة على المتوسط بالاعتماد

على الأساطيل بل اهتموا بتحصين شواطىء بلادهم ، فأقاموا المواقع الدفاعية ، ومنائر الانذار ، وبعد سقوط الخلافة الأموية وحلول الخلافة العباسية محلها ، ولعدم اهتمام هذه الدولة القارية بالبحر والسفن ضعفت السيطرة العربية على شواطى المتوسط ، وزاد الاعتماد على انظمة الدفاع ، مما أدى الى تطور كبير في قواعد هذا النظام ، واخذت أعدادكبيرة من العلماء والزهاد بالالتجاء الى مواقع الدفاع والمرابطة فيها ، وهكذا بدأت مواقع الدفاع هذه تعرف باسم الرباطات ـ جمع رباط ـ ومع الأيام اخذت الرباطات تؤدي وظائف دينية ثقافية ، وذلك بالاضافة الى مقاصدها الحربية ، وصارت الرباطات مراكز للعلم أقبل عليها الطلاب ، وحوت المكتبات ، وشغل رجالاتها أنفسهم بالتعليم والتثقيف والنسخ وغير ذلك ، ونجم عن هذا تأثير مزدوج داخلي وخارجي ، بحيث صار بامكان أصحاب الرباطات التأثير بالرأي العام ، وفي رسم السياسة العامة واتخاذ القرارات الهامة (٤) .

ولقد كان لنظام الرباطات دوره الأهم على شواطى الشمال الأفريقي ، خاصة في أرجاء سواحل دولة الأغالبة ، ولقد ازدهر هذا النظام بشكل رائع ومعطاء خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، ومازالت شواطى تونس تحوي آثار عدد من الرباطات مثل رباط المنستير وسواه .

واهتمت دولة الأغالبة بتأمين موارد اقتصادية كافية ، وملكت جيشها الخاص ، ورعت الحركات الثقافية في القيروان ، واعتنت بالعلم والعلماء ، وقلدت السياسة الدينية للخلافة العباسيه في المركز ، وكانت حركة المواصلات بين بلدان المغرب والمشرق نشطة جدا ، حيث تدفق التجار والحجاج وطلاب العلم من الشمال الأفريقي على بلدان المشرق ، وكان لهذا أعظم الآثار على مستقبل الغرب الاسلامي وافريقيا وحتى على أوروبا .

وحينما يعرض المرء تاريخ قيام الاسلام يلاحظ ان موقع مكة على طرق قوافل التجارة العالمية قبل الاسلام مع وجود الكعبة فيها

دفعها نحو تزعم عالم شبه جزيرة العرب ،ثم هيأها لتكون مركز قيام الاسلام ،ومرة ثانية بعد قيام الاسلام وانتشاره في الشمال الافريقي والأندلس ،وجد المسافرون من الغرب نحو الشرق أن المدينة المنورة هي محطتهم الأولى والعظمى قبل التوجه نحو العراق

وهكذا نال القادمون للتعلم والتفقه دروسهم الاسلامية الأولى في المدينة ، ثم ذهبوا نحو استكمال التعليم في العراق ، وكثير منهم لم يذهب ، بل اكتفى بما نهله من دار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومعروف أن المدينة كانت عاصمة الاسلام الأولى ، فيها عاش كبار الصحابة ، وفيها تأصلت معارف الشريعة الاسلامية ، وفي المدينة نشطت الأعمال الفكرية في القرن الأول للهجرة ، وأثمرت في القرن الثاني بقيام مدرسة أهل المدينة في الفقه على يد الامام مالك ابن أنس ، وحين جاءت هذه المدرسة الى الوجود ، كانت مدرسة أخرى كبيرة قد قامت بالكوفة في العراق على يد الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت .

ومن الملاحظ أن الخلافة العباسية كان لها سياسة دينية خاصة، فأبو جعفر المنصور ، وهو المؤسس الفعلي للخلافة العباسية، ادرك بفكره المخطط مكانة الأداة الدينية في خدمة المقاصد السياسية والمصالح الاستراتيجية للدولة ، لذلك اهتم بالدين وبرجاله ، يضاف الى هذا ان عالم القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد) قد عرف تيارات فكرية سياسية نادت بوحدة المذهب العقائدي للدولة ، وهذا ما نراه في الامبراطورية البيزنطية في حركة عبادة الصور ، وفي حياة شارلمان وتأسيسه للأمبراطورية الكارلونجية في الغرب الأوروبي وعلاقته بالبابوية.

وطبيعي أن نجد لدى العباسيين الاهتمام بالدين ، فهم قد وصلوا الى السلطة بوساطة ثورة انطلقت من مفاهيم الاسلام القائمة على المزج بين العمل الديني والدنيوي ، واختلف حالهم عن بني امية،

فمعاوية نال الخلافة اغتصابا بقوة السلاح ، بينما نالوها عن طريق شرعية الثورة وحق الوراثة .

وبعد شيء من التردد اعتمد العباسيون على مدرسة العراق الفقهية التي أسسها أبو حنيفة ، وفي الغرب الاسلامي ، خاصة في الأندلس والدول المستقلة ، وجد الأمراء والحكام أنفسهم بحاجة إلى تقليد طرائق العباسيين ، أو لنقل إن الحكم الذي تم نيله ـ هنا وهناك ـ بالاعتماد على الصراع بين العصبيات القبلية وسواها وجد نفسه بحاجة إلى دعائم لسلطته غير عمليات التوازن بين القوى القبلية ، فكان أن لجأ إلى اعتماد سياسة دينية خاصة ، وطبعا إن هذا العمل أمر لابد منه في أية دولة اسلامية وخاصة لدى دول المواجهة مع أعداء الاسلام ، ولابد من القول هنا إن الدين بكل تأكيد لم يكن قط أفيون الشعوب ، فالأفيون يخدر ، بل كان محركا للشعوب ، وكان بلا شك أخطر الأدوات الاستراتيجية في التاريخ ومازال كذلك

وفرضت ظروف المواجهة في الغرب الاسلامي التشدد والتعصب والتظاهر بالمثالية ، ومثالية الاسلام كانت تؤخذ من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لامن كوفة أبي حنيفة ، وتلميذ المدينة ظهيره أعلى وأمتن من ظهير تلميذ الكوفة ، يضاف إلى هذا إن تبني الخلفاء العباسيين لفقه أهل العراق قد جعل القائمين على مدرسة المدينة يفتشون على مناطق نفوذ لهم ، ويمكن أن نجد شواهد على هذا في حياة الامام مالك بن انس ، فهو قد اظهر اكثر من مرة المعارضة للسلطة العباسية والتحبيذ لأمراء من الغرب الاسلامي .
من هذا كله نخلص إلى القول بأن العالم الاسلامي عاش بعد قيام الثورة العباسية مباشرة وطوال سنين عديدة في القرن الثاني للهجرة في ظل مدرستين للفقه والتشريع ، وهما مدرسة المدينة ، ومدرسة الكوفة (أو العراق) ومن الملاحظ أنه بعد وقت ليس بالطويل بذلت محاولات لدمج المدرستين في مدرسة جديدة واحدة .

واستهدفت عملية المزج الوصول إلى حل وسط بين الطرفين بشكل

منطقي مؤصل ، وهذا ما نشهده في سيرة كل من الامامين الشافعي وأسد بن الفرات ، وكما هو مشهور نجح الامام الشافعي في عمله ، وأخفق ـ كما سنرى ـ أسد بن الفرات ، لأن الشافعي نجا من ظلمة الوظيفة ، ولم يعش في دياجير الولاية إلا لوقت قصير ، وهكذا أوقف حياته على العلم ، وأما ابن الفرات فإنه في الوقت الذي كان عليه فيه العطاء تولى وظيفة القضاء أولا ، ثم جمع إلى القضاء إمارة الجيش الذي توجه إلى صقلية لفتحها ، وقد توفي أثناء تأدية هذه المهمة ، فهل ياترى جاء تعيينه في وظائفه بناء على خطة مسبقة ، أم أن ذلك جاء بالصدفة ؟

وفي سبيل الحصول على الاجابة لنبدأ أولا بالتعرف إلى سيرة حياة الامام أسد بن الفرات : ولد الامام أسد في مدينة حران الشامية ، التي كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد اتخذها مقرا له ، وحدثت ولادته كما هو مرجح سنة اثنتين وأربعين ومائة للهجرة (٧٥٩ م) وكان والده جنديا من جنود العباسيين أصله من خراسان ، وقد ترك هذا الجندي مدينة حران إلى إفريقية في حملة عسكرية وجهتها بغداد ضد خوارج المغرب من الاباضية الذين كانوا مسيطرين آنئذ على أجزاء كبيرة من المغربين الأدنى والأوسط ، ودخل أسد بن الفرات مدينة القيروان وله من العمر عامين ، وقد أقام فيها مع أسرته خمس سنوات ، ثم تحولت أسرته إلى مدينة تونس ، فأقامت بها نحو تسع سنين ، وخلال هذه السنين تعلم القرآن ، وأخذ يختلف إلى حلقات مشاهير علماء تونس ، وفي مطلع سن الشباب يمم أسد وجهه نحو المشرق ، فحل بالمدينة المنورة ، والتحق بحلقة الامام مالك بن أنس ، فأخذ عنه علوم أهل الحجاز ، وروى عنه كتاب الموطأ ، وكان ابن الفرات كثير السؤال ، شديد الالحاح يلتهم العلم التهاما ، ويود لو أن الامام مالكا أوقف وقته كله عليه ، ولما تعذر هذا نصحه الامام مالك بالذهاب إلى العراق للالتحاق بالامام محمد بن الحسن الشيباني ، صاحب الامام أبي حنيفة وخليفته .

وبالفعل توجه ابن الفرات نحو العراق ، والتحق بالامام محمد بن

الحسن ، وأكمل على يديه تحصيله لعلوم الامام مالك بحكم انه كان من تلاميذه السالفين ، كما أخذ عنه علوم مدرسة اهل العراق ، ومكث ابن الفرات في العراق مدة لابأس بها ، ولقد اولى الامام الشيباني ابن الفرات عظيم عنايته ، فقد عرف فقره ، لذلك اسكنه معه في دار واحدة ، وقام بتأمين نفقته ، وخصه بمجالس للتدريس خاصة ، وتحدث ابن الفرات عن علاقته بالامام الشيباني ووصف حاله معه بأنه قال له :"إنني غريب ، قليل النفقة ، والسماع منك نزر ، والطلب عندك كثير ، فما حيلتي ؟ فقال لي : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك ، فتأتي فتبيت عندي واسمعك ، قال ابن الفرات : فكنت أبيت عنده ، وكنت في بيت في سقيفة ، وكان يسكن العلو ، فكان ينزل إلي ويجعل بين يدي قدحا فيه ماء ، ثم يأخذ في القراءة ، فإذا طال الليل ورأني نعست ، ملأ بيده منه ونفح به في وجهي فأنتبه ، وكان ذلك دأبي ودأبه حتى اتيت على ما أريد من السماع عليه » .

لقد زق الامام الشيباني ابن الفرات بالعلم زقا ، ورعاه طوال إقامته في العراق ، وعندما أكمل ابن الفرات تحصيله ، وكان الامام مالك ابن أنس قد توفي ، أخذ ابن الفرات الطريق نحو المغرب ، فحط رحاله في مصر ، والتحق بالامام عبد الرحمن بن القاسم ، أحد كبار تلاميذ الامام مالك ورواة علمه القدماء ، ولازمه ابن الفرات « فكان يغدو إليه كل يوم ويسأله ويجيبه ابن القاسم ، حتى دون ستين كتابا وسماها الأسدية » وقد حوت هذه المدونة الأسدية راي مدرسة اهل المدينة حول جميع المسائل التي تعلمها ابن الفرات في العراق .

وعاد ابن الفرات إلى القيروان يحمل معه علوم مدارس الاسلام ، ويروى أنه « لما عزم على الرحيل من مصر وجه معه ابن القاسم بضاعة وقال له : إذا قدمت إفريقية فبعها واشتر بثمنها رقوقا ، وانسخ الكتب » ، ولما حل أسد بن الفرات في القيروان ، اظهر ما كان لديه من أسديته وأسمعها الناس ، وانتشرت العلوم التي حملها أسد إلى القيروان ، وانتشر معها صيت أسد بن الفرات ، وذاعت

شهرته ، ولعل أهم الذين سمعوا الأسدية منه هو الامام سحنون ، فبعدما مضى أسد بن الفرات إلى صقلية قام الامام سحنون باستخراج مواد مدونته من أسدية ابن الفرات ، ومعروف أن مدونة الامام سحنون هي أعظم كتب المالكية في الغرب ، وانه إلى الامام سحنون يعود الفضل في توطيد أقدام المالكية في الشمال الأفريقي ، فبعدما تغيب أسد بن الفرات غدا الامام سحنون أعظم علماء إفريقية مكانة ، وأكثرهم نفوذا وشعبية وشهرة .

وأثناء عمل ابن الفرات في القيروان سعى نحو وضع قواعد مدرسة للفقه جديدة قوامها مبادىء مدرستي العراق والحجاز ، لكن النجاح لم يتحقق له لأسباب منها أنه لم يملك الوقت الكافي للتفرغ لمهمته ، فقد كلف سنة أربع ومائتين (٨١٩ م) بمهمة القضاء من قبل الأمير زيادة الله بن الأغلب ، ثم إنه في هذه الفترة وسنوات عدة مقبلة عانت امارة الأغالبة من اضطرابات للجند كادت ان تودي بالحكم الأغلبي ، ونجا ابن الفرات خلال سنوات الفتنة من التورط فيها ، وكان دائما مع ماتمليه عليه الشريعة لا أهواء القوى المتصارعة ، وعندما قضي على اضطرابات الجند رأت الادارة الأغلبية أنه من الأسلم للمستقبل اشغال الجند بنشاط حربي خارجي ، وفي هذا نرى احدى خلفيات الحملة ضد صقلية (٥).

شكلت جزيرة صقلية بموقعها الجغرافي مكانا استراتيجيا هاما ، وحصنا منيعا وسط البحر هيمن على حركة الملاحة بين شرقي البحر المتوسط وغربيه ، كما كانت بمثابة جسر انتقلت عبره الحضارات ، وعنت السيطرة على صقلية دائما القدرة على مراقبة كل السواحل الأفريقية والايطالية ،كل هذا بالاضافة لما تنعم به صقلية ذاتها من ثروات ، وماتدره أراضيها من خيرات ، وصقلية كانت دائما موضع صراع بين قوى ايطاليا وافريقيا .

لقد رغب العرب دوما في فتح صقلية وانتزاعها من الامبراطورية البيزنطية ، وتحين الأغالبة فرصهم لفتحها عام ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م ، وساعدهم على الشروع في قهر أراضيها ما وصلت اليه أحوالها

انذاك من اضطراب وتدهور وفساد ، ذلك أن الولاة البيزنطين كانوا قد أسرفوا في استغلال مواردها دون عناية بأحوال السكان ، لذلك أجدبت الأراضي الزراعية وهجرها الفلاحون ، واشتغلوا بالرعي ، كما كسدت التجارة والصناعة بسبب الضرائب الباهظة ، لذلك انهارت الأحوال عامة ، واضطربت أمور المجتمع بسبب ما اعتادت بيزنطة عليه من نفي المجرمين والخارجين على القانون اليها من جموع المنبوذين وأعداد كبيرة من العبيد ، وكانت أحوال الكنيسة سيئة ، ومكانتها متداعية لتخليها عن مهامها الأساسية وانصراف رجالاتها والقائمين عليها الى مباهجهم الدنيوية .

ولاشك أن هذه الأحوال قد شجعت الأغالبة على التخطيط لفتح صقلية ، حيث يتحدث المؤرخون عن انفجار العديد من الاضطرابات في الجزيرة في مطلع القرن الثالث للهجرة ، وكان أهمها حركة أوفيماس (فيمي في المصادر العربية) فقد ذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل « أن ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقا اسمه قسطنطين سنة احدى عشرة ومائتين ، فلما وصل اليها استعمل على جيش الاسطول انسانا روميا اسمه فيمي ، كان حازما شجاعا ، فغزا افريقة ، وأخذ من سواحلها تجارا ونهب ، وبقي هناك مديدة ، ثم إن ملك الروم كتب الى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمي مقدم الاسطول وتعذيبه ، فبلغ الخبر الى فيمي ، فأعلم أصحابه فغضبوا له ، وأعانوه على المخالفة ، فسار في مراكبه الى صقلية واستولى على مدينة سرقوسة ، فسار اليه قسطنطين ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم قسطنطين الى مدينة قطانية ، فسير اليه فيمي جيشا فهرب منهم فأخذ وقتل ، وخوطب فيمي بالملك ، واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلا اسمه بلاطة ، فخالف على فيمي وعصى ، واتفق هو وابن عم له اسمه ميخائيل ـ وهو والي مدينة بلرم ـ وجمعا عسكرا كثيرا فقاتلا فيمي وانهزم فاستولى بلاطة على مدينة سرقوسة ، وركب فيمي ومن معه في مراكبهم الى افريقة ، وأرسل الى الأمير زيادة الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية ، فسير معه جيشا في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائتين »(٦)

في الحقيقة كان بلاطة قد راسل الأمير زيادة الله ، بعد التجاء فيمي اليه ، وعرض عليه طلبا فيه عدم مساعدة فيمي والوقوف على الحياد ، ولم يعلن زيادة الله عن قراره في الوقوف الى جانب واحد من الطرفين ، فهو بالأصل كان يريد الاستيلاء على الجزيرة ، والآن تهيأت الفرصة ، لكن الحملة تحتاج الى نفقات كبيرة ، واعداد للراي العام في دولته ، ولم يكن يطمع بالحصول على مساعدات من الخلافة العباسية ، مع أن هذه الخلافة كانت الآن في ظل حكم المأمون نشطة عسكريا في منطقة الثغور مع بيزنطة ، ولذلك التفت الأمير زيادة الله نحو الفقهاء ، وعلماء الدين ، فعن طريقهم كان من الممكن اعلان الجهاد ، وتجنيد العساكر ، وجمع الأموال اللازمة ، لهذا عقد مجلسا لبحث مسألة صقلية والصراع فيها ، وحضر المجلس الى جانب رجال الدولة عدد من الفقهاء مع القاضي الامام اسد بن الفرات ، وقام المجتمعون بفتح ملف العلاقات الاسلامية الصقلية ، فذكر بعض الفقهاء بأنه توجد معاهدة للهدنة بين المسلمين والبيزنطين قديمة ، ينبغي التمسك بها ، وقام الامام اسد بن الفرات برفض هذا الموقف وافتى بأن المعاهدة هي بحكم الملغاة ، لأن الجانب البيزنطي خرقها اكثر من مرة ، ولم يتمسك بشروطها ، وأنه من واجبات الأمير اعلان الجهاد ، ونفذ الأمير الأغلبي قرار قاضي المسلمين ، فأعد اسطولا كبيرا من سبعين سفينة ،شحنها بعشرة آلاف مقاتل من الرجالة ، وسبعمائة من الفرسان ، وببراعة متناهية وفهم سياسي عميق اسندت قيادة هذه الحملة الى القاضي اسد بن الفرات ، فاجتمعت له بذلك الامارة والادارة والقضاء في آن واحد .

وفي ربيع شهر ربيع الأول من عام ٢١٢ هـ/ حزيران ٨٢٧ م اقلعت الحملة العربية من ميناء سوسة تريد جزيرة صقلية ، وتوقفت أولا أمام مدينة مازر ، وهناك التقت بالاسطول البيزنطي للجزيرة فسحقته ، ودخل المسلمون الجزيرة ، واخذوا يحتلون مواقعها الواحد تلو الآخر ، وشرع ابن الفرات بحصار مدينة سرقوسة برا وبحرا ، بعدما ما أتاه المدد من القيروان ،ومن المفيد هنا ملاحظته أن

قاضي افريقية رفض حين توجه لغزو صقلية أن يصطحب فيمي واعوانه

واثناء حصار سرقوسة وصل اسطول بيزنطي كبير لفك الحصار عنها ، وامده اسطول من البندقية ، وبسبب ذلك ولتأخر النجدات من القيروان ، اصيب جيش الأغالبة بانتكاسة ، لكن على الرغم من ذلك لم يتوقف عن متابعة الجهاد ، ثم أصيب بانتكاسة ثانية ، حيث انتشر الطاعون بين صفوفه ، واثناء هذا مات أسد بن الفرات قائد الحملة ، وكان ذلك سنة ٢١٣ هـ/ ٨٢٩ م (٧)

لقد استغرقت اعمال فتح صقلية أكثر من سبعين سنة خاض العرب خلالها ملاحم رائعة حتى خلصت الجزيرة لهم ، واخفقت جميع جهود الأمبراطورية البيزنطية في الحفاظ عليها ، وقبل الحديث عن مراحل الفتح ثم تاريخ الجزيرة ومحاولات التوسع من هناك في ايطاليا مفيد أن نقدم وصفا موجزا لجغرافية هذه الجزيرة.

قام عماري في كتابة « المكتبة الصقلية » بجمع ماجاء في المكتبة العربية عن جغرافية صقلية في قرابة ١٦٠ صفحة ، ومن هذه المواد :

قول ابن حوقل :« واما صقلية فجزيرة طولها سبعة أيام في اربعة أيام ، والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون ، وليس لها مدينة مسكنة ، معروفة غير المدينة المعروفة ببلرم ، وهي قصبة صقلية على نحر البحر من الشمال ، ... عليها سور من حجارة مانع شامخ ، يسكنها التجار ، وفيها المسجد الجامع »

وتحدث الشريف الادريسي عن صقلية باسهاب ، ومن ذلك قوله :« جزيرة صقلية فريدة الزمان فضلا ومحاسن ، ووحيدة البلدان طيبا ومساكن ، وقديما دخلها المتجولون من سائر الأقطار ، والمترددون بين المدن والأمصار ، وكلهم أجمعوا على تفضيلها وشرف مقدارها ، وأعجبوا بزاهر حسنها ، ونطقوا بفضائل ما بها ، وما جمعته من متفرق المحاسن ، وضمته من خيرات سائر المواطن ...

فأما صقلية المقدم ذكرها ، فأقدارها خطيرة ، واعمالها كبيرة ، وبلادها كثيرة ، ومحاسنها جمة ، ومناقبها ضخمة ، فإن نحن حاولنا احصاء فضائلها عددا وذكرنا أحوالها بلدا بلدا ، عز في ذلك المطلب ، وضاق فيه المسلك ، لكنا نورد منها جملا يستدل بها ، ويحصل على الغرض في المقصود فيها إن شاء الله تعالى . فنقول : إن هذه الجزيرة .. مائة بلد وثلاثون بلدا بين مدينة وقلعة ، غير مابها من الضياع والمنازل والبقاع» (٨).

ووصف أبو حامد الغرناطي جزيرة صقلية وقد لفت انتباهه بركانها المشهور فقال :« وفي بحر الروم جزيرة يقال لها صقلية فيها جبل قريب من البحر تخرج منه نار تضيء بالليل الى عشرة فراسخ ... لايحتاج معها أحد في تلك المواضع الى ضوء ولا الى سراج في طريق ، ولا في قرية لكثرة ذلك الضوء ، ويخرج من تلك النار جمر كبار كأعدال القطن يتقطع ، فيقع بعضها في البر فيصير حجرا أبيض خفيفا يطفو على الماء لخفته ، والذي يقع في البحر يصير حجرا أسود مثقبا تحك به الأرجل في الحمام ، يطفو على الماء أيضا ، وإن وقع جمر من تلك النار على حجر أو رمل احترق الحجر ، واشتعل كما يشتعل القطن حتى يقع ذلك الحجر ويصير غبارا كالكحل» (٩).

ومن أشهر مدن صقلية :

بلرم : هي من أهم مدن الجزيرة قديما وحديثا ، جميلة الموقع والمنظر معتدلة المناخ ، مياهها متدفقة ، وهي فينيقية التأسيس ، اتخذها العرب حاضرة لحكمهم في صقلية ، وغدت مركزا حضاريا هاما خاصة في ظل الكلبيين في العصر الفاطمي ، وماتزال بعض مواقعها تحمل الطابع العربي الاسلامي من ذلك:
قصر الفواره ـ ويقع فوق جزيرة تحيط به بركة صناعية من جهاته الثلاث ، وقد بني أيام حكم الأسرة الكلبية ، واتخذه فيما بعد الملوك النورمانديين مكانا للهوهم وخلاعاتهم ، وماتزال خرائبه ماثلة حتى الآن ، ونضيف الى هذا القصر قصر العزيز ثم قصر القبة والقصر الملكي ، وهو اية من ايات الفن والجمال ، كان مقر الدولة والأمراء

العرب ، وفي ضواحي بلرم العديد من الأبنية العربية والآثار الهامة .
مسينا: وهي ايضا مدينة جميلة الموقع ، وذات اهمية عالية ، لها ميناء واسع النشاط ، أتى زلزال في مطلع هذا القرن على مبانيها وسكانها.
ترميني: هي مدينة تكاد أن تكون اسلامية خالصة بحاراتها وازقتها ودورها ، وطرائق العيش فيها ، وهي نشطة الحياة فيها الكثير من الحمامات الحارة.
مازره: وكانت مدينة اسلامية حافلة الشهرة والنشاط ، ماتزال تحتوي على بعض المؤثرات الاسلامية .
مرسى علي : وكانت هذه المدينة من أكثر الموانيء نشاطا وحركة ، لأنها ربطت صقلية بافريقية.
اطرابنش: من مشاهير المدن أيام المسلمين بها مرسى على شكل هلال كان نشطا وله علاقات مع افريقية .
طبرمين: وكانت أهم المعاقل البيزنطية ، قاومت العرب طويلا ، وبعدما افتتحوها دكوها دكا ، وعلى مقربة منها قرية القنطرة العربية ثم قرية الزعفرانة ، وماتزال تحتفظان بهذين الاسمين .
سرقوسة : وكانت قبل الفتح العربي أشهر مدن صقلية ، تعرضت دوما لغاراتهم ، وهي مدينة ذات جمال رائع وبهاء وجلال.
نوطس : كانت أيام المسلمين مركز ولاية ، وذات أهمية عالية وظلت هكذا حتى القرن السابع عشر (١٠)

وسارت عمليات فتح صقلية في البداية بنجاح كبير، فبعد ثلاثة أيام من الاقلاع من سوسة وصلت القوات العربية الى مرسى مازره ، وبذلك قطعت في كل يوم مسافة مائة كليومتر ، ونزل العرب في مازره وفتحوها ، ذلك أنهم لم يجدوا من يدافع عنها ، وهكذا أتيح لهم انزال معداتهم وماحملوه معهم .

في هذا الوقت بلغت الأخبار بلاطة فخف نحوهم على رأس قوات عملاقة ، قيل بلغت عشرة أضعاف القوات العربية ، واعلن بلاطة انه سيقذف بالعرب الى البحر ، وتصدى له العرب واعترضوا سبيله

خارج مازرة ، وتقدم أسد بن الفرات على رأس القوات العربية وبيده اللواء ، وهو يتلو آيات من القرآن الكريم ، وشجع جنده ورفع من معنوياتهم ، وحمل المسلمون معه بصدق وعزيمة ، فهزموا عدوهم هزيمة ساحقة .

وفرت فلول قوات بلاطة نحو سرقوسة، ولاحقها المسلمون بدون تمهل وبذلك استولوا على جنوب صقلية ، ووقفوا أمام أسوار هذه المدينة ، واخفق المسلمون في اقتحام هذه المدينة الحصينة ، وطال الحصار وقلت المؤن لدى المسلمين ، وطالب بعض الجند أسد بن الفرات بالعودة الى تونس ، فأدبهم ، وتابع الحصار ، واخذت المؤن والمساعدات تصل الى داخل سرقوسة وكذلك وصلت بعض المساعدات الى العرب ، واستمر أسد بن الفرات يناضل حتى أجهده القتال فتوفي شهيدا ، ودفن تحت أسوار سرقوسة .

واختار المسلمون أميرا جديدا اسمه محمد بن أبي الجواري ، وكانت معنوياتهم قد تدنت فاتخذ الأمير الجديد قرارا بالانسحاب واخلاء الجزيرة والعودة الى افريقية ، وفيماهم منسحبين واجههم اسطول كبير قدم من القسطنطينية نجدة لسرقوسة ، وسد الاسطول البيزنطي الطريق أمام المسلمين ، فعادوا مضطرين الى الجزيرة ، وعزموا على الجهاد والصبر حتى الشهادة ، ووصلت في ساعات الشدة هذه بعض الامدادات من افريقية ، والأهم انه وصل الى الجزيرة اسطول اندلسي قوي بقيادة أصبغ بن وكيل الذي اشتهر باسم « ابن فرغلوش ».

واتفق المسلمون معا على متابعة الجهاد في الجزيرة وصد الروم عنها ، على أن تكون الامارة عند تحقيق النصر لابن فرغلوش ، وحقق العرب عدة انتصارات وتوجهوا الآن لفتح مدينة قصر يانة ، فحاصروها ، وفي سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م حل الوباء بين صفوف المسلمين فمات بسببه ابن فرغلوش ، ثم مات محمد بن ابي الجواري، فولى المسلمون أمورهم أميرا جديدا اسمه عثمان بن قهرب.

في هذه الأثناء انسحب الأندلسيون الى بلادهم فبادر زيادة الله ابن الأغلب بارسال جيش جديد الى صقلية قوامه ثلاثين الفا بقيادة أمير عرف باسم زهير بن عوف ، فاشتد ساعد المسلمين واستؤنفت حركة الفتوح ، وسار العرب من نصر الى نصر .

وتوجه العرب الآن ضد مدينة بلرم ، وقاومهم الروم من داخلها مقاومة شديدة ، وحدث اثناء الحصار أن تمكنت قوة عربية سنة ٢١٩ هـ/ ٨٣٤ م من فتح مدينة مسينا ، مما كان له أكبر الآثار على الوضع في بلرم ، وهكذا في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م تفاوض الروم مع العرب على أن يسلموهم بلرم شريطة السماح لهم بالانسحاب بحرا الى القسطنطينية ، وهذا ماكان واتخذ العرب بلرم عاصمة لهم في الجزيرة ومنها أخذوا يتابعون أعمال الفتح.

وبات الروم الآن والقوات المسيحية محصورين في مثلث من صقلية يمتد من الشرق نحو الجنوب الغربي من مسينا الى قصريانة ثم يرجع من قصريانة نحو الجنوب الشرقي الى مدينة نوتو ، وحاول المسلمون خرق هذا المثلث أولا باحتلال قصريانة فأخفقوا ، ثم باحتلال سرقوسة فأخفقوا ايضا ، وفي سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م توفي الأمير زهير بن عوف ، فولى أمر الجزيرة اغلبي هو أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب .

رأى الأمير الجديد أن وضع المسلمين وقواهم في نمو مضطرد ، لكن المساعدات البيزنطية لم تنقطع عن الجزيرة فقرر عزلها بحريا ، وحقق الاسطول العربي نجاحات واسعة حيث دمر السفائن البيزنطية واستولى على بعض منها ونشر الرعب في قلوب جميع الأعداء.

وتمكن المسلمون سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م من احتلال جزء من قصر يانة ثم انسحبوا منها ، وفي هذه الآونة وزع العرب نشاطاتهم بين اكمال فتح صقلية وفتح الجنوب الايطالي ، وبالفعل تدخل العرب في ايطاليا أولا لصالح مملكة نابولي واستطاعوا احتلال أجزاء واسعة من ايطاليا واستولوا على مدينة باري الساحلية ، ووصلت

قواتهم الى أرباض روما لاحتلالها ، لكن نشـوب بعض الخـلافات الداخلية بين صفوفهم ردتهم .

ومنذ سنة ٢٣٨ هـ/ ٨٥٣ م غدت مدينة باري مقرا لامارة عربية مستقلة تحـكم الجنوب الايطـالي ، واليه نقلت المعـارف العـربية والفنون على اختلاف الوانها ، وهكذا عبرت الحضارة العربية عبـر صقلية والجنوب الايطالي الى داخل أوربا مما سيكون له فيما بعـد ابعد الآثار واهمها.

وفي سنة ٢٣٩ هـ/ ٨٥٤ م حاول العـرب مجـددا فتـح رومـا والاستيلاء ايضا على جميع سواحل ايطاليا ، وفتح جزيرة كريت ـ وهذا موضوع سنعود له بعد قليل ـ وحقق العرب نجـاحات كبيرة في البحر ضد الأساطيل الأوربية ، ومجددا بدا البحر المتوسط يتحـول الى بحيرة عربية ، وتوالت النجاحات داخل صقلية ، وتمكن العـرب ايضا من فتح جزيرة مالطة ، لكن المؤسف أن امكانات دولة الأغالبة كانت لاتسمح بمتابعة الانفاق على مشاريع الجهاد البحرية والبرية ، ولنتذكر أن فتح صقلية احتاج سبعين سنة ، وقد نجـم عن النفقـات الكبيرة وسواها أزمات خانقة داخل أوساط الأغالبـة وفي افـريقية عامة ، وفيما جهود الأغالبة منصرفة الى ايجاد الحلول للمشاكل الداخلية ولمتابعة الجهـاد في صـقلية وفي الجنوب الايطـالي (١١) ، استغل دعاة الدعوة الاسماعيلية هـذا الوضـع ، فنشـطوا في ديار كتامة وسواها ، وأخيرا تمكن أبو عبد الله مـن الاطـاحة بـالحكم الأغلبي واقامة الخلافة الفاطمية في المغرب.

إنه قدر لايعرف الرحمة ، كيف أطيح هكذا بدولة الأغالبة العربية وجبهات الجهاد بالمتوسط بأمس الحاجة اليها والى قواها ، والشيء نفسه تكرر فيما بعد على أرض المغرب العربي ، فعندما تفرغت دولة المرابطين لاسترداد الأراضي العربية ، تعرضت هي الأخرى لما نجـم عن دعوة المهدي بن تومرت ، وسقطت دولة المرابـطين للمـوحدين ، وذهبت بعض الأراء حديثا الى ابن تومرت كان باطنيا؟ (١٢).

لقد بحثت في تاريخ قيام الدولة الفاطمية في اكثر من كتاب ، وليس بودي البحث في هذا الموضوع مجددا الآن ، بل الذي ابتغي تبيانه أن عبد الله المهدي ، أول خلفاء الدولة الفاطمية لم يستقر طويلا في مدينة القيروان ، ولم يتخذ مدينة تونس عاصمة له ، بل أنشأ مدينة المهدية على ساحل المتوسط ، ولقد كان للفاطميين سياسة بحرية خاصة بهم وامتلكوا اساطيلهم ، لكنهم لم ينشطوا مثل الأغالبة ، ذلك أن أعينهم كانت ترنو نحو المشرق للانتقال إليه ، ومع ذلك لم يقصروا في الحفاظ على هيبة ملكهم ، وقد انعكس هذا كله على أوضاع صقلية .

بعيد دخول ابي عبدالله الداعي الى رقاد ، وازالته لملك بني الأغلب ، راسله بعض المتنفذين في صقلية بالاعتراف بالسلطة الجديدة ، وكانت الأوضاع في الجزيرة أنذاك على درجة عالية من الاضطراب ، واستمرت كذلك وزاد الفاطميون بسياستهم الاستبدادية الخرقاء في اضطراب الأحوال فيها واضعافها ، ففي سنة ٢٩٧ هـ/ ٩١٠ م بعث المهدي الفاطمي الحسن بن أحمد بن ابي خنزير واليا من قبله على صقلية ، وكان ابن أبي خنزير هذا من زعماء كتامة ، فيه جفاء و جهل وعصبية ، أراد تغليب العنصر البربري على الجزيرة ،فقاومه أهلها وطردوه ، وعين المهدي واليا جديدا على الجزيرة ، لكن الأمور لم تعرف الاستقرار ، واعلنت صقلية استقلالها وسلمت الحكم لأحمد بن زيادة الله بن قرهب ، وكان من أقرباء الأغالبة ، وانتمى ابن قرهب بالولاء الى الخلافة العباسية مما اثار خوف المهدي الفاطمي ، وفي سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣ م بعث المهدي باسطوله وجيشه ضد صقلية ، فرده أهل صقلية بعدمادمروابعض سفنه وفي سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م ارسل المهدي حملة ثانية ضد صقلية ، واستخدم وسائل الأرهاب وجيش دعاته ، فكان لذلك أثاره ، حيث دانت الجزيرة مجددا للفاطميين واعتقل ابن قرهب وحمل إلى افريقية حيث أعدم ، ومع هذا ما لبثت الأمور أن عادت إلى الاضطراب في الجزيرة ، وكان لهذا تاثيرات مدمرة ، وقد تزامن مع ذلك مع بدايات نشاطات شعوب النورمان ، فأخذ هؤلاء ينشطون قرب صقلية ويسعون للتعاون مع

مسيحييها لكسب قاعدة في أطراف الجزيرة ، وكان المسلمون قد شغلتهم شؤونهم الداخلية وصراعاتهم عما سوى ذلك .

استمرت الأحوال المتردية في صقلية حتى سنة ٣٣٥/ ٩٤٦ م ، ففي هذه السنة عين الخليفة الفاطمي الثالث - المنصور اسماعيل الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي الكتامي اميرا على صقلية ، فأسس فيها حكم أسرة وراثية استمرت تحكم الجزيرة حتى تاريخ سقوطها للنورمان ، وعرفت هذه الأسرة بالأسرة الكلبية ، وقد استمر حكم هذه الأسرة أكثر من قرن ، وخلال ذلك عاشت الجزيرة خيرة أيامها ، فقد تعربت ، وازدهرت فيها الثقافة العربية ، واستطاع أمراء الكلبيين الدفاع عن صقلية ضد محاولات القوى البيزنطية والأوربية وهزموها في عدة معارك مشرفة وهكذا ظل الجنوب الايطالي بأيدي المسلمين ، لا بل حاولوا فتح روما .

لقد أرسل الحسن بن علي عدة حملات ضد الجنوب الايطالي ،وفي سنة ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م خاض ضد الجيوش البيزنطية معركة المجاز التي عدت من أعظم معارك التاريخ الاسلامي ، فيها دمر القوات البيزنطية ، فقد التقت هذه القوات بشرذمة قليلة من المسلمين ، صمدت أمام تفوق العدو العددي فانتصرت ، وقتل المسلمون من البيزنطيين «خلقا عظيما حزت منهم رؤوس عشرة الاف » والطريف في خبر هذه المعركة أن الحسن بن علي «اعتل .... لفرط الفرح بما انعم الله به عليه ، فكانت وفاته من حمى حادة لسبعة أيام (١٣) ، وهكذا أعيقت أعمال استثمار نتائجها الكبيرة ، وليت الأمر اقتصر على هذا !

حدثت هذه المعركة أيام المعز لدين الله الفاطمي ، وكانت الخلافة الفاطمية مشغولة بمد سلطانها على جميع بلدان المغرب ، استعدادا لتوجيه جيوشها ضد مصر ، لذلك عندما وصل الى المهدية وفد بيزنطي للتفاوض على الصلح استقبل بالترحاب ، وتعاقد البيزنطيون مع المعز لدين الله على عدم معاودة الهجوم على صقلية ، وذلك مقابل أن يخلي المسلمون لهم طبرمين ورمطة التي كان سكانها

من المسيحيين ، أي أن ما أخفقت بيزنطة في الحصول عليه في معركة المجاز بقوة السلاح نالته بالمفاوضات ، وهكذا نال العدو قاعدة على أرض صقلية ، كانت نقطة الانطلاق لاسقاط هذه الجزيرة .

فبعد معركة المجاز بأمد قصير تمكنت جيوش الفاطميين من الاستيلاء على مصر ، والى مصر ارتحل المعز لدين الله الفاطمي ، وهناك تورطت الخلافة بالصراع ضد القرامطة ومن أجل السيطرة على بلاد الشام ، وتركت صقلية بامكاناتها لوحدها لتواجه قوى أوربا المتنامية خاصة في المجال البحري لدى النورمان ولدى جمهوريات ايطاليا الناشئة .

وتأثرت صقلية بتردي أحوال الخلافة الفاطمية ، وبتمزق الأندلس وبقيام حكم دول الطوائف ، ثم بما شهدته ساحات المغرب من رفض للولاء الفاطمي ، وهجرة قبائل هلال وسليم وقيام دعوة الرباط ، ورسم صورة ملخصة للأحوال في صقلية لسان الدين بن الخطيب بقوله :«ثم تداول ولاية صقلية أمراء من هذا البيت إلى أن انقطع عنهم امداد المسلمين ، لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن ، فكان استخلاص العدو لها في سنة خمس وثمانين واربعمائة (١٠٩٢ م) .

وكان عدو الله الذي تغلب عليها الملك رجار ، وهو الداهية ، العديم النظير في أبناء جنسه : حزما ودهاء وسياسة »(١٤)

وتحدث الشريف الادريسي عن سقوط صقلية في كتابه نزهة المشتاق الذي قدمه لروجر الثاني بن قاهر صقلية فقال :«ولما كان في سنة اربعمائة وثلاث وخمسين سنة من سني الهجرة ، افتتح غرر بلادها وقهر بمن معه طغاة ولاتها واجنادها الملك الأجل والهمام الأفضل المعظم القدر ، السامي الفخر رجار بن تنقريد ، خيرة ملوك الأفرنجيين ، ولم يزل يفرق جموع ولاتها ، ويقهر طغاة حماتها ، ويشن عليهم الغارات في الليل والنهار ، ويرميهم بصنوف من الحتوف والبوار ، ويعمل فيهم ماضي الشفار ، وعوامل القنا الخطار

إلى أن استولى على جميعها غلبة وقهرا وفتحها قطرا فقطرا ، ، وملكها ثغرا فثغرا ، وذلك في مدة ثلاثين عاما .

واقرهم على اديانهم وشرائعهم ، وامنهم في انفسهم واموالهم واهليهم وذراريهم ، ثم اقام على ذلك مدة حياته إلى أن وافاه الأجل المحتوم » (١٥)

لقد قاومت صقلية مدة ثلاثين سنة لوحدها ، وحين سقطت ؛ سقطت عسكريا ، ولم تسقط من جوانب الحضارة والنظم ، ولم تقم محاولات جادة لاستردادها ، وقد ورث النورمان املاكها في إيطاليا ، ولم يكتفوا بهذا بل احتلوا مالطة وهاجموا سواحل الشمال الأفريقي فاحتلوا المهدية وغيرها ، ولا شك أن هذا التراجع العربي كان له ابعد الآثار في أحداث الحروب الصليبية ، ولقد أعطى الحكام النورمان لجمهوريات ايطالية البحرية امتيازات تجارية واسعة في جزيرة صقلية ، وسمحوا لهم باستثمار مؤسسات التجارة والصناعة التي كان العرب قد شيدوا صروحها بكل عناية وبراعة ، وفي المحصلة «إن اعتداءات النورمان على ايطاليا وصقلية وشواطىء الأدرياتيكي ، وهجمات جنوى وبيزا في المياه الغربية للبحر المتوسط وهجمات الأقطاعيين الفرنسيين في الأندلس ، وحركات البنادقة في المياه البيزنطية ، بالاضافة إلى التشجيع القوي الذي بذلته البابوية واتباع الاصلاح الكلوني للقيام بهجوم عام على المسلمين من أجل دوافع دينية ، ثم العاطفة الدينية التي دفعت بالآلاف من مسيحي غرب اوربا لزيارة الأماكن المقدسة ، هذه الاتجاهات كلها تفاعلت فيما بينها لانتاج ما نسميه بالحرب الصليبية الأولى ، ويمكن القول بعبارة أخرى : إن الحرب الصليبية الأولى تمثل خليطا مركبا من عدة عناصر كانت تعمل منذ أمد في أحداث غرب البحر المتوسط ، وتتلخص في العاطفة الدينية ، وجشع البحارة الايطاليين والمغامرين الاقطاعيين للحصول على السلب والنهب ، والرغبة في كسب الامتيازات في ميداني النقل والتجارة» (١٦)

★ ★ ★

ولم ينتزع العرب من الامبراطورية البيزنطية جزيرة صقلية فقط بل فتحوا أيضا جزيرة كريت (أقريطش)وحولوها إلى قاعدة بحرية عربية متقدمة وظلوا محتفظين بها لفترة طويلة ، وبالاضافة الى كريت امتلكوا جزر الأندلس الشرقية - البليار - ومن المفيد أن نختم هذا الفصل بالحديث عن كريت ، ذلك أن الحديث عن جزر البليار هو مرتبط بتاريخ الأندلس والمغرب ، ولا يعنينا بهذا المدخل مباشرة (١٧)

وتعد جزيرة كريت بين أهم جزر المتوسط عرفت الحضارة قبل أن تعرفها بلاد الأغريق ، وكانت لها عبر التاريخ علاقات مع مصر والشام وسواها ، وبعد قيام الاسلام ونجاح حركة الفتوحات حاول العرب أكثر من مرة فتح هذه الجزيرة ، لكن بيزنطة دافعت عنها وحالت بينهم وبين ذلك حتى مطلع القرن الثالث للهجرة .

واختلفت حكاية هذا الفتح عن غيرها من الفتوحات البحرية ، فقد كان فتحا «شعبيا» - اذا جاز التعبير - ولم يكن فتحا رسميا ، وراءه دولة أو نظام حاكم ، ونحن نذكر أن فتح الأندلس كان بحريا من بعض الجوانب ، وقد امتلك أهل الأندلس أساطيلهم منذ فترة مبكرة ، ولا صحة لما ذهبت إليه بعض الآراء من أن الأندلس صار لديها أساطيلها بعدما تعرضت لمخاطر الفيكونكغ ، وجابت السفن والأساطيل الأندلسية جميع بقاع المتوسط للتجارة والنقل والأغراض الأخرى ، وجرت العادة في الأندلس أن «كل بلد يتخذ فيه السفن أسطول ، يرجع نظره إلى قائد من النواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته ، ورئيس يدبر أمر جريه بالريح أو بالمجاذيف ، وأمر ارسائه في مرفئه »(١٨)

وبما أن الأساطيل العربية قد ملكت السيطرة على البحر المتوسط ولامتداد الشواطىء العربية شرقا وغربا ، فقد اعتادت السفن الأندلسية على الرسو في أي بلد اسلامي .ارادت ، يقول ابن خلدون: « والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمه من أمم البحار ، فقد كان الروم والأفرنجة

والقوط بالعدوة الشمالية من هـذا البحـر الرومـي ، وكانت أكثـر حروبهم ومتاجرهم في السفن ، فكانوا مهرة في ركوبـه والحـرب في أساطيله ....

فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم ، وصارت أمـم العجـم خولا لهم وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية في حـاجاتهم البحـرية أممـا وتـكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بصراء بهـا ، فشرهـوا الى الجهاد فيه ، وأنشأوا السفن فيه والشـواني وشـحنوا الأسـاطيل بالرجال والسلاح ، وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر مـن أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر ، وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والأندلس .....

وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هـذا البحـر من جميع جوانبه ،وعظمت صـولتهم وسـلطانهم فيه فلم يكن للأمـم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتـح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومـة مـن الفتـح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه "(١٩)

وكانت بعض الأساطيل الأندلسية قد اعتادت على الرسـو أمـام ميناء الاسكندرية عند قفولها من الغزو " ليبتـاعوا مـا يصـلحهم ، وكذلك كانوا على الزمان ، وكانت الأمـراء لا تمـكنهم مـن دخـول الاسكندرية ، انما كان الناس يخرجون اليهم فيبـايعونهم»(٢٠)لقـد روى هذا الكندي في كتابه ولاة مصر ،وعرض ذلك لدى الحـديث عن وقائع سنة ١٩٩ هـ/ ٨١٤ م ،وكانت أوضاع مصر آنذاك مضطربة بدأت المشاكل فيها منذ أواخر ايام الرشيد واشـتدت أثناء الصراع على الخلافة بين الأمين والمأمون ،واضطرمت في الفترة التـي مـكث فيها المأمون في مدينة مرو، واستولى اثناء بعضها ابراهيم بن المهدي على عرش الخلافة في بغداد.

وكان والي مصر المطلب بن عبد الله الخزاعي ، وعهد هذا الوالي

إلى محمد بن هبيرة بن هاشم بن حديج بولاية الاسكندرية ، واستخلف هذا الوالي عمر بن عبد الملك (ويقال له ايضا عمر بن هلال) على ولاية الاسكندرية التي لم تنعم بالاستقرار ، ووجد فيها عدة قوى تصارعت من أجل السلطة في الاسكندرية .

وقام والي الفسطاط المطلب بن عبد الله ، بعزل عمر بن عبد الملك عن الاسكندرية وعين بدلا عنه أخاه الفضل بن عبد الله ، وغضب عمر بن عبد الملك من عزله وتعيين المطلب لأخيه بدلا عنه وأراد الاستيلاء على السلطة في الاسكندرية والخروج على والي مصر المقيم في الفسطاط .

في هذه الآونة كان قد تغلب على بلدة تنيس القريبة أحد قآدة الجند واسمه عبد العزيز الجروي ، وطمع بالاستيلاء على مصر ، وعندما سير والي الفسطاط ضده حملة نهرية هزمها عند شطنوف على النيل وأسر أميرها السري بن الحكم ، ودعا الجروي عمر بن عبد الملك للتحالف ، فاستجاب وقرر الثورة بالفضل بن عبد الله وطرده من الاسكندرية ، ولكي يحقق هدفه رأى أن يستعين بالأندلسيين المرابطين أمام ميناء الاسكندرية .وكان عدد هؤلاء الأندلسيين يتراوح مابين الأربعة آلاف الى الخمسة وكان قوام اسطولهم أربعين سفينة ، ويرجح أنهم لجأوا الى الاسكندرية في مطلع الخريف لذلك العام ، واستجاب هؤلاء لطلب عمر بن عبد الملك فاستولوا معه على الاسكندرية ، ونادى عمر بن عبد الملك الآن بالجروي واليا على مصر ، لكن أهل الاسكندرية غضبوا من تدخل الأندلسيين في شؤونهم فثاروا بهم وأخرجوهم من المدينة بعدما قتلوا عددا منهم ، وهكذا عاد الفضل بن عبد الله الى عمله .

ولم يجلب هذا الأمن والاستقرار الى الاسكندرية ، حيث قام المطلب بن عبد الله بعزل أخيه الفضل وعين بدلا عنه اسحق بن ابرهة بن الصباح ، ثم مالبث أن عزله وعين بدلا عنه ابا بكر بن جنادة بن عيسى المعافري ، الذي انتمى الى عشيرة قوية ، ومع هذا لم يعد الاستقرار الى الاسكندرية لأن الأوضاع اضطربت بشدة في الفسطاط حيث تحالف الجروي مع أسيره السري بن الحكم ضد المطلب واجتذبا بعض جند الفسطاط إليهما مما اضطر الفضل الى

مغادرة مصر الى الحجاز بحرا ، وتسلم الولاية في الفسطاط السري ابن الحكم بناء على اجماع الجند وكان ذلك في رمضان سنة ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م ٠

وفي هذه الأثناء تمكن عمر بن عبد الملك من طرد المعافري من الاسكندرية واستولى على مقاليد الأمور فيها من جديد ، وبذلك اتاح مجددا السبيل للأندلسيين للنزول في بر الاسكندرية ودخول المدينة ، والتسلط على اهلها ، الذين كانوا قد أخرجوهم من قبل ونقموا عليهم سلوكهم ونسبوا إليهم مفاسد كثيرة ٠

وظلت خواطر أهل الاسكندرية غير مرتاحة لتسلط الأندلسيين ، ولهذا قرر عمر بن عبد الملك اخراجهم الى سفنهم ، وهكذا فسدت العلاقة بين الطرفين ، وتربص الأندلسيون شرا بعمر بن عبد الملك ٠

وساعدت أوضاع الاسكندرية الأندلسيين على احكام قبضتهم عليها ففي ظل الأوضاع المضطربة والنزاعات على السلطة خرج من بين صفوف اهل المدينة حركات شعبية كان ابرزها واحدة عرفت بالصوفية ، تبنى افرادها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصاروا يسيرون في المدينة وقد علقوا على اعناقهم المصاحف « ويعارضون السلطان في أمره ، فتراس عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفي ، فصاروا مع الأندلسيين يدا واحدة ، واعتضدوا بلخم ، وكانت لخم أعز من في ناحية الاسكندرية ، فخوصم ابو عبد الرحمن الصوفي الى عمر بن هلال في امراة ، فقضى على ابي عبد الرحمن ، فوجد في نفسه من ذلك ،وخرج الى الأندلسيين ، وألف بينهم وبين لخم ، ورجا اهل الأندلس أن يدركوا من عمر بن هلال ، فساروا الى عمر وهم زهاء عشرة آلاف من لخم ومن الأندلسيين ، ومن ضوى إليهم فحصروه في قصره ، فعلم عمر أن القصر لايمنعه منهم ، وخاف أن يدخل عليه عَنوة ، فيفضح في حرمه ، فاغتسل وتحنط وتكفن ، وامر أهله ان يدلوه إليهم فدلي ، فأخذته السيوف فقتل ، ثم دلي إليهم أخوه محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فقتل ، ثم دلي إليهم ابن

عمه ابو هبيرة الحارث بن عبد الواحد فقتل ، ثم دلي إليهم حديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم ....

وكان مقتل عمر بن هلال واهله في ذي القعدة سنة مائتين ، ثم فسد أمر لخم والأندلسيين عند مقتل عمر بن هلال ، وقام بأمر لخم رباح بن قرة ، وسار الى الأندلسيين فحاربهم فانهزمت لخم ، وظهر الأندلسيون بالاسكندرية عنوة في ذي الحجة سنة مائتين ، فولوها ابا عبد الرحمن الصوفي ، فبلغ من الفساد بالاسكندرية والقتل والنهب ما لم يسمع بمثله ، فعزله الأندلسيون عنها ، وولوا رجلا منهم يعرف بالكناني ، ثم حاربت بنو مدلج أهل الأندلس ، فظفر بهم الأندلسيون فنفوهم عن البلاد » (٢١)

وكانت أنباء تغلب الأندلسيين على الاسكندرية قد وصلت الى عبد العزيز الجروي المتغلب على تنيس ، ولم يرضه ما حدث لحليفه عمر ابن هلال ، وقرر استرجاع الاسكندرية من الأندلسيين ، وقام بعدة حملات ضد هذه المدينة وحاصرها أكثر من مرة فأخفق ، ثم إنه « سار الى الاسكندرية مسيره الرابع ،فأغلق الأندلسيون حصنها ، فحاصرهم الجروي أشد الحصار ، ونصب عليهم المنجنيقات ، وأقام على ذلك سبعة أشهر من مستهل شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس ، فأصاب الجروي فلقة من حجر منجنيق ، فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين ، ومات السري بن الحكم بالفسطاط بعده بثلاثة أشهر » (٢٢)

لقد مكث الأندلسيون يتحكمون بالاسكندرية أكثر من عشر سنوات ، حيث ظلت الأمور مضطربة في مصر وفي المشرق ايضا ، ويبدو أن عدد الأندلسيين في الاسكندرية ازداد كثيرا بوصول أندلسيين جدد اليها لاسيما من سكان ربض قرطبة الذين ثاروا ضد الأمير الحكم بن هشام في سنة ٢٠٢ هـ/ ٨١٧ م فبطش بهم ، وهدم الربض وأجلى أهله (٢٣) فجاء بعضهم الى المغرب الأقصى « فصعدوا الى مدينة فارس ، وكانوا ثمانية الاف بيت ، فنزلوا عدوة الأندلس وشرعوا بها في البناء يمينا وشمالا ... فسميت عدوة الأندلسيين » (٢٤)

وترجم ابن الأبار في الحلة السيراء للحكم بن هشام فتحدث عن فتنة ربض قرطبة ووصف تدمير الربض وشتات سكانه حيث ساروا « كل بحسب ما أمكنه ، واستمروا ظاعنين على الصعب والذلول ... متفرقين في قصي الكور وأطراف الثغور ، ولحق جمهورهم بطليطلة لمخالفة أهلها الحكم ، ولجأ آخرون الى سواحل بلاد البربر ، وأصعدت منهم طائفة عظيمة ـ نحو الخمسة عشر الفا ـ في البحر نحو المشرق ، حتى انتهوا الى الاسكندرية » (٢٥)

وفي المشرق ترك المأمون مرو وجاء الى بغداد ، وأعاد هيبة الدولة العباسية واستقرارها في المركز ، واهتم بشؤون مصر ، فوجه عبد الله بن طاهر بن الحسين الى مصر ، فأقبل على راس قوة برية بحرية ، وتمكن من الاستيلاء على مدينة الفسطاط ودخل اليها « يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة احدى عشرة » ثم قرر الزحف ضد الاسكندرية ، ونزل عليها « في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ، وحصرها بضع عشرة ليلة ، فخرج اليه أهلها بأمان ، وصالح الأندلسيين على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا ، على أن لايخرجوا في مراكبهم أحدا من مصر ، ولاعبدا ولاأبقا ، فإن فعلوا فقد حلت له دماؤهم ، ونكث عهدهم ، وتوجهوا ، فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم ، فوجد فيها جمعا من الذين اشترط عليهم أن لايخرجوهم ، فأمر ابن طاهر باحراق مراكبهم ، فسألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل » (٢٦)

وسار الأندلسيون نحو جزيرة كريت حيث تمكنوا من فتحها ، لكن لماذا نحو كريت ، ومن أين ولدت هذه الفكرة لديهم ؟ يبدو أن الأندلسيين كانوا أثناء سيطرتهم على الاسكندرية قد تابعوا نشاطاتهم داخل البحر المتوسط ، وقد اضطروا لذلك لتأمين المؤن وأسباب الاستمرار ، وهكذا أغاروا على كريت عدة مرات ، ولربما أغاروا على صقلية ايضا ، وفي السنة التي نزل فيها عبد الله بن طاهر الفسطاط بعثوا ضد كريت « عشر سفن أو عشرين ، عادت بكثير من الأسرى والغنائم ، بعد أن عرفت المكان معرفة دقيقة» (٢٧)

ولعلهم قصدوا كريت بعد مغادرتهم الاسكندرية لأنهم عرفوا أخبار مشروع الأغالبة لفتح صقلية الذي شرع في تنفيذه في العام نفسه ، وكان الأندلسيون حين قصدوا كريت تحت لواء قائد منهم اسمه أبو حفص عمر بن عيسى البلوطي ، ونزلوا على شاطىء كريت دون أن يلقوا مقاومة ، ولانعرف هل نزلوها للاغارة فقط أم للفتح ، وينقل فازلييف عن المصادر البيزنطية أنه « لم يكد جند العرب يبتعدون عن الشاطىء الى الداخل قليلا حتى امر أبو حفص بحرق السفن ، فلما رجع العرب الى الشاطىء كادوا يثورون لما احسوا من يأس خوفا على نسائهم واطفالهم، فهداهم أبو حفص حينئذ وامتدح لهم غنى الجزيرة ، وجمال الكريتيات وصلاحهن للزواج.

فلما استقر العرب في الجزيرة ابتنوا حصنا حصينا احاطوه بخندق عميق ، فسمي لهذا بالخندق ، ومن هنا جاء كما نعرف الاسم الحديث كاندى »(٢٨) واذا صحت هذه الرواية لم تكن فكرة الاستقرار في كريت موجودة إلا في راس البلوطي ، ومهما يك من امر أكمل العرب فتح كريت ، ويقول فازلييف « واخذ العرب تسعا وعشرين مدينة لم تحفظ لنا اسماؤها ، واسترقوا سكانها ولم يسمحوا للمسيحين بالاحتفاظ بدينهم إلا في مدينة واحدة » وانتمى الأندلسيون بعد استقرارهم في كريت الى الخلافة العباسية (٢٩)

كان على عرش القسطنطينية الامبراطور ميخائيل الثاني من الأسرة العمورية (٨٢٠ ـ ٨٢٩ م)وحاول هذا الامبراطور الحيلولة بين العرب وبين فتح صقلية ،كما جهد في سبيل استرداد كريت فأرسل لهذا الغرض ثلاث حملات بحرية باءت جميعا بالاخفاق (٣٠) وكانت في هذه الآونة جبهة الثغور العربية البيزنطية مشتعلة ، ففي منطقة الثغور اقام الخليفة المأمون وهناك قضى ، وبعد المأمون قام المعتصم بحملة عمورية الشهيرة ، ولاشك أن هذه الضغوط الشديدة على بيزنطة قد ارغمتها على توزيع امكاناتها العسكرية وهذا قد سهل بعض الشيء فتح كل من صقلية وكريت ٠

لقد احتفظ العرب بجزيرة كريت مدة تبلغ قرنا ونصف القرن

خاضوا خلالها معارك شديدة ضد الأساطيل البيزنطية ، واستطاع البيزنطيون استرداد كريت في الفترة التي تلاشت بها قوى الدولة العباسية ، وفي المقابل عاشت الامبراطورية البيزنطية في ظل حكم الأسرة المقدونية فترة ازدهار وقوة عسكرية ، وانجبت هذه الأسرة واستخدمت عددا من كبار القادة العسكريين كان من اشهرهم نقفور فوقاس ، واستطاع نقفور أن يجتاح منطقة الثغور الشامية ، ولم تثمر جهود سيف الدولة الحمداني في التصدي له حيث اقتحم على راس قواته مدينة حلب واحدث فيها مذبحة مهولة ودمارا مروعا وساق منها قطارا من الأسرى فيه أكثر من عشرين الف فتى وفتاة ، ونقفور هذا نفسه استغل الضعف العربي فقام بحملة كبيرة ضد كريت في سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م واستطاع الاستيلاء عليها بعد ما واجه مقاومة هائلة ، وعندما وصل خبر سقوطها إلى القسطنطينية تقبله شعبها بفرح عظيم ، وعلى العكس شعر المسلمون بحزن عميق واسى كبير ، ومع انهم في إفريقية وفي مصر ملكوا ما يكفي من الامكانات لاسترداد الجزيرة تواكلوا واهملوا الأمر ، واكتفى المعز بكتابة رسالة تهديد إلى بيزنطة وتقريع إلى كافور الاخشيدي ، لكن ذلك لم يجد ، والمشكلة هنا أن هموم المعز كانت منصرفة نحو احتلال مصر ، وهموم كافور كانت مستقطبة حول الدفاع عن ملكه ، (٣١) وكانت الأندلس منصرفة نحو همومها مع أعداء الشمال والصراع ايضا مع الفاطميين في بر المغرب الأقصى والبحر مع مشاكل أخرى .

لقد توالت الانتكاسات العربية في البحر المتوسط ، ومن الجانب الآخر كانت قوى أوربا تتصاعد ، وقد أثر هذا تأثيرا كبيرا على مسار أحداث الحروب الصليبية ، وتعاظم التدهور في هذا المجال في المشرق اكثر منه في المغرب ، وقد أجمل ابن خلدون حكاية العرب والبحر المتوسط بقوله :« والمسلمون ... قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر ، وسارت اساطيلهم فيهم جائية وذاهبة ، والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية ، فتوقع بملوك الافرنج ، وتثخن في

ممالكهم ...وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه ، من سواحل الأفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لايعدونها ، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا ، واختلفت في طرقه سلما وحربا ، فلم تسبح للنصرانية فيه الواح .

حتى إذا ادرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن ، وطرقها الاعتلال مد النصارى أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة ، فملكوها ، ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة ، وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا ، واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام ، وغلبوا على بيت المقدس ، وبنوا عليه كنيسة لاظهار دينهم وعبادتهم ، وغلبوا بني خزرون على طرابلس ، ثم على قابس وصفاقس ، ووضعوا عليهم الجزية ، ثم ملكوا المهدية مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلكين بن زيري ، وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر ،وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ، ولم يعتنوا بشيء من أمره لهذا العهد ، بعد أن كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في اخبارهم ، فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك ، وبقيت بإفريقية والمغرب فصارت مختصة بها ....

ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر ، بكثرة العوائد البدوية بالمغرب ، وانقطاع العوائد الأندلسية ، ورجع النصارى فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه ، والمران عليه ، والبصر بأحواله ، وغلب الأمم في لحته وعلى أعواده ، وصار المسلمون فيه كالأجانب إلا قليلا من اهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الأمصار والأعوان ، أو قوة من الدولة تستجيش لهم أعوانا ، وتوضح لهم في هذا الغرض مسلكا »(٣٢)

ملاحق الكتاب

obeikandl.com

أسد بن الفرات

(من المقفى للمقريزي ـ مجلدة برتو باشا)

أسد بن الفرات بن سفيان ، أبو عبد الله ، مولى بني سليم ، قاضي إفريقية •
أصله من أبناء جند خراسان •

ومولده في سنة اربع واربعين ومائة ، واقام بالكوفة • وكتب عن اهلها وكتب بالري عن جرير بن عبد الحميد •

واخذ الموطأ عن مالك بن انس ، وروى عنه المسائل الأسدية ، وهو معدود من كبار أصحاب مالك •
قدم مصر ، ومضى الى إفريقية ، وولي القضاء بها من قبل زيادة الله ابن إبراهيم بن الأغلب شركة مع أبي محرز محمد بن عبد الله بن قيس في• • • •

ثم غزا جزيرة صقلية وذلك أن اهلها كانوا معاهدين• فنزع بعض اهلها الى زيادة الله يستدعيه الى دخول الجزيرة ، وذلك أن ملك الروم سخط عليه ، وكتب الى صاحب صقلية أن يعاقبه ويمثل به • فلما خافه استدعى أصحابه الى الخلاف معه فأجابوه • فمضى في مراكبه نحو سرقوسة إحدى مدائن جزيرة صقلية ، فنزل بمرساها وقاتل البطريق الذي كان بها حتى قتله ، ثم لبس الديباجة التي يلبسها الملوك والخف الأحمر ، واخذ الأموال التي بسرقوسة ، واستولى عليها ، واعطى أصحابه الأموال ، ثم رغب الى زيادة الله في أن يمده •

فجمع زيادة الله العلماء وشاورهم في غزو صقلية • وكان في

عهدهم أنهم إذا دخل عندهم رجل من المسلمين مرتدا أن يسلموه الى المسلمين فأحضر زيادة الله أسد بن الفرات وأبا محرز ،في أخرين وسألهم عن ذلك ، فقال أسد : نسأل رسلهم إن كانوا احتبسوا أحدا من المسلمين ارتد عندهم •

فسألوهم فقالوا نعم ، فعلنا ذلك ، ولا يحل لنا في ديننا رد من اتى إلينا ودخل في ديانتنا •

فقال أسد : قد نقضوا عهدهم وجاز لنا أن ننقض ما عقدنا لهم ، وإنما تتآدى إلينا الحقائق عنهم برسلهم فبهم عاهدناهم وبهم نجعلهم ناقضين ، وقد قال الله تعالى :« فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون »(١)• فكما لاندع السلم ونحن الأعلون فكذلك لانتمسك به ونحن الأعلون •

فأخذ زيادة الله بقول أسد وأمر بإنشاء المراكب والاستعداد للغزو • وعرض أسد نفسه على زيادة الله للخروج في الغزاة ، فولاه على الجيش ، وفيهم اشراف اهل إفريقية من قريش ، والعرب ، والجند ، والبربر ، والأندلسيين ، واهل العلم والبصائر ، واقره على القضاء مع قيادة الجيش • فخرج في حفل عظيم ، وعدة جليلة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائتين • فقال لمن حوله والله ما ولي ابي ولا جدي ولاية قط ، ولا راى احد من اهل بيتي ولا سلفي مثل هذا الجمع يتبعه ، ولا بلغت ما ترون إلا بطلب العلم فأجهدوا انفسكم في طلبه ، فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة •

واجتمع لزيادة الله من المراكب سبعون مركبا ، وجعل فيها سبعمائة فرس ، ثم فصل أسد بالعساكر يوم السبت للنصف من شهر ربيع الآخر ، فكانت طريقه على قلعة البلوط ، ثم على قرى الريش ، ثم سار الى قلعة الدب وقرية الطاووس • وذلك أنهم اصابوا في القلعة دبا انيسا ، وفي القرية طاووسا • ثم سار الى معركة بلاطة فظهر له فيها جمع من الروم فنازلهم وواضعهم الحرب فانهزم المشركون ، واصيب لهم خيل وسلاح • ومن ذلك اليوم

سميت معركة بلاطة • ثم دخل الى حصون الروم ومدنهم وقراهم ينسفها ويغير عليها • وبعث السرايا الى قصور صقلية وقراها فأصابوا سبيا كثيرا ، ومن الدواب والمواشي ما لا يحصى كثرة • وكثرت الغنائم عند المسلمين فصاروا في رغد من العيش ، حتى نزل على سرقوسة ، وحصر اهلها اشد الحصار ، ونصب عليهم المجانيق وقاتلهم برا وبحرا •

وكانت المراكب تأتيهم من القسطنطينية لتنصرهم ، فربما تغلب المسلمون عليها قبل دخولها • وبث السرايا من كل جهة ، واختط الناس المنازل من سرقوسة الى قطانية وما حولها ، وتزوج المسلمون في الروم وسكنوا القرى ، وسارع الناس الى إمدادهم والغزو إليهم من إفريقية والأندلس وغيرهما ، واتتهم مراكب من الأندلس فيها كليب الأعرج ورجل يقال له المشاط فنزلوا وافتتحوا قلعة تعرف بقلعة حفص • واحرق اسد مراكب سرقوسة وقتل جماعة من اهلها فانقطعت المواد عن سرقوسة ، واشتد عندهم الغلاء وذبحوا خيولهم • واشير على اسد أن يرجع وقيل له . سلامة مسلم واحد خير من الروم بأسرهم ، فأبى أن يرجع وقال : ما كنت لأضيع على المسلمين غزاة وفيهم خير كثير •

وامر بالزحف واخذ اللواء بيده وقرأ سورة يس حتى فرغ منها ، ثم قال : أيها الناس ، لاتهابوهم ، إنهم عبيدكم ، هربوا من ايديكم ، ثم هم قد وقعوا لكم يشير الى من انهزم من الروم عند فتح إفريقية •

ثم إنه زحف وقاتل قتالا كثيرا ، واشتدت الحرب ، وهزم الله المشركين ، وكانوا في مائة الف وخمسين الفا ، وقتل بلاطة ملكهم في خلق كثير منهم • وجرح أسد، فلم تزل به جراحته حتى مات وهو على حصار سرقوسة في شهر رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين فدفن بمدينة بلرم •

جرجي الأنطاكي وزير روجار

(من المقفى للمقريزي ـ مجلدة برتو باشا)

جرجي بن ميخائيل الأنطاكي ، وزير روجار ملك الافرنج بجزيرة صقلية • كان من جملة النصارى وعمل هو وأهل بيته لملك القسطنطينية مدة ورفع عليه وعلى أهله فأمر الملك بوصولهم إليه بالأهل والولد ، فجمعوا في مركب وخرجوا في أربعين نفسا فلقيهم أسطول السلطان تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد الغرب ، وذلك في سنة ذيف وثمانين وأربعمائة ، وهو راجع من غزو جزائر القسطنطينة ، فأخذهم وأتى بهم الى المهدية من أرض إفريقية • فسألوا الحضور بين يدي تميم فأمر بإحضارهم فذكروا أنهم حساب وأن السلطان ينتفع بهم في الخدم. فأحسن تميم اليهم وقدلهم الأمور. فظهر نصحهم وولى جرجي هذا عاملا على مدينة سوسة وجعل سمعان أخاه بين يديه وكان لم يبلغ الحلم. فجعل يلتقط الأخبار من اخوته ومن غيرهم ويوصلها اليه. فبلغ السلطان يحيى ابن تميم عن سمعان أنه نقل عنه كلاما. فضاق به صدره وثقل على يحيى بن تميم فأمر من خنقه ليلا.

ومات السلطان تميم وقام من بعده ابنه يحيى بن تميم فخافه جرجي ، وكتب الى السلطان عبد الرحمن (٢) وزير الملك روجار بن روجار ملك الفرنج المعروف بأبي تليس صاحب جزيرة صقلية يأمره فيه أن يبعث له شينيا غزوانيا ليهرب فيه • فوصل الشيني الى المهدية في سنة اثنتين وخمسمائة ، وفيه رسول الى السلطان يحيى ابن تميم • فأخذ جرجي وجميع اقاربه وسار بهم بحيث لم يعلم به أحد •

فلما قدموا عليه أحسن إليهم وولاهم الدواوين بصقلية فأظهروا النصح فصار لهم عنده منزلة • وشب الملك روجار وشارك عبد الرحمن الوزير في الأمر والنهي • فتقرب إليه جرجي بكل ما يوافقه • فبعث جرجي رسولا الى مصر كرات متعددة •

ولم يزل جرجي يسعى بالسلطان عبد الرحمن حتى أخذه روجار وجعله في قفص حديد وقتله • وولى وزارته ابا الضوء كاتب إنشائه ، وكان من أهل الأدب ، فلم ينهض بالأمر فولى جرجي الوزارة فجمع الأموال ورتب قواعد الملك وحجب روجار عن الرعية ، وجعل له زيا كزي المسلمين ، لا يركب ولا يظهر للرعية إلا في الأعياد ، وبين يديه الخيل المسومة بسروج الذهب والفضة ، والأجلة المرصعة بالأحجار ، والقباب بالهوادج ، والبنود المذهبة والمظلة والتاج على رأسه •

ونعت جرجي بالسيد الأجل المرتضى عز الملك المظفر فخر الجلال نظام الرئاسة زعيم الجيوش شرف الوزراء أمير الأمراء • وأوقف روجار على سير الملوك ، وأمر كاتبا من كتابه يعرف بالحنش فجمع له سيرة •

فلما كانت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة عند أخذ المهدية بلغت شوانيه مائتي شيني ومائة طريدة ، غير الحمالة • فخرج جرجي في الأسطول بنفسه وفتح الجزائر التي بين المهدية وصقلية •ثم صار في ملكه من سواحل إفريقية ما بين أول طرابلس الى الحمامات بقرب تونس ، وفي البر الى قرب القيروان • واتسعت دولة روجار بتدبير جرجي • فلما وقع الغلاء في المغرب مع الفتن ، رحل إليه من الأمراء والقضاة والفقهاء والأدباء والشعراء عالم كبير ، فأوسعهم جرجي وروجار رفدهما وأنزلاهم عندهما ، فعمرت الجزيرة أحسن عمارة وقصدها السفارة من كل البلاد بأنواع البضائع وطرف التجارة ، الى أن كانت سنة ست وأربعين وخمسمائة ، مات جرجي الوزير وهو في التسعين • فأقر روجار ولده ميخائيل بن جرجي في الوزارة •

ثم مات روجار في العشر الأول من ذي الحجة سنة ثمان واربعين وخمسمائة ٠

obeikandl.com

جعفر بن محمد الكلبي الصقلي

(من المقفى للمقريزي ـ مجلدة برتو باشا)

جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين ،الكلبي ،الصقلي ، أمير صقلية •

كان من أمراء بني أبي الحسين بصقلية يتوارثون إمارتها مدة سنين وأول من ولي منهم الحسن بن علي في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة من قبل الامام المنصور بنصر الله أبي الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله (٣) المهدي الفاطمي •

ثم ولي بعد الحسن بن علي ابنه أبو الحسين أحمد بن الحسن ، ثم ابو القاسم علي بن الحسن بن علي ، ثم ابنه جابر بن أبي القاسم علي ، ثم جعفر بن محمد هذا •

وكان أبوه أبو عبد الله محمد بن الحسن قد قدم الى مصر مع المعز لدين الله ، ومات بالقاهرة. فلما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز ، ونافق حمزة بن ثعلة الكتامي بأسوان في سنة ثمان وستين وثلاثمائة أخرج اليه جعفر بن محمد هذا ، فأخذه ودخل به القاهرة ومعه أمواله وجواهره ونعمه ، فلما قتل أبو القاسم علي بن حسن أمير صقلية لعشر بقين من المحرم سنة اثنتين وسبعين في الجهاد،وقام من بعده ابنه جابر كتب قوم من اهل صقلية الى العزيز يعرفونه عجز جابر عن القيام بأمر صقلية • فأمر العزيز جعفر بن محمد هذا أن يمضي من مصر الى صقلية وعقد له بولايتها • وقد كان في رتبة ابيه من الوزارة والحال الجليلة • فخاف منه الوزير يعقوب بن كلس وأراد إبعاده ، فحسن للعزيز

ولايته صقلية وعرفه أن الثغر يتلف ما لم يله ، فتمت حيلته وولاه العزيز •

فخرج من القاهرة في البر ، ومعه خيل يسيرة فوصل الى مدينة المنصورية يوم الأربعاء لخمس خلون من صفر سنة ثلاث وسبعين وبين يديه عشرون فرسا بالسروج المحلاة المثقلة ، وخمسة بنود مذهبة وخمس عماريات ، ومه سبكتكين التركي فلقيه عبد الله بن محمد الكاتب وانزله • فنادى مناديه في الناس بإعطاء الأرزاق السنية ، فأتاه جماعة من الناس فلم يحمل ذلك عبد الله ونادى :« من مضى الى جعفر بن محمد بن الحسن فقد حل دمه » • وأخذ قوما سائرين نحوه فضرب أعناقهم • فرحل عند ذلك للذصف منه يريد المهدية ، ورحل معه عبد الله فأتته ثاني يوم وصوله خمسة مراكب حربية من صقلية بهدايا جليلة وعدة عظيمة بعث بها إليه ابن عمه جابر بن ابي القاسم • فركب فيها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر وسار الى صقلية فتسلمها من جابر بغير مدافعة واستقامت له أموره •

وكتب إليه العزيز في سنة خمس وسبعين يأمره أن يدفع الى الراهب الذي هو ابو جاريته السيدة العزيزية ، القلاع التي افتتحها جده الحسن علي بن بي الحسين، وان يدفع إليه كل شيء عنده من قديم وحديث فقدم الراهب الى صقلية فأنزله جعفر ووكل به ومنع أن يدخل عليه أحد ، حتى إنه كان إذا عبر الحمام صحبه عدة من المسلمين حتى يدخل ويخرج فيردونه الى موضعه • فأقام على هذا نحو اربعة اشهر • ثم جمع له كل شيخ وعجوز وعليل من النصارى ودفعهم إليه ، وهم نحو مائة نفس وامره بالرحيل ،(فأفلت وما صدق بنجاته) فمضى الى القسطنطينية ، وكتب الى العزيز بما كان فيه مع جعفر • وأمر جعفر بعد مسير الراهب فاشترى مركبا اندلسيا وشحنه بطرائف الأندلس واظهر أن ابن أبي عامر بعثه إليه، وكتب الى العزيز بأن صاحب الأندلس قد كتب إليه يدعوه الى طاعته ويعده أن يقطعه من الأندلس كل ما يسأله • فكتب إليه العزيز بأن

سلفه من بني أبي الحسين ما عرفوا قط إلا طاعته وطاعة أبائه ـ يحضه عليها ـ فبقي جعفر يداري أمره ، والقلاع بأيدي المسلمين ، فلم يرم أن مات في يوم (...) سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فولي بعده أخوه عبد الله بن محمد.

obeikandl.com

تاج الدولة الكلبي

(من المقفى للمقريزي ـ مجلدة برتو باشا)

جعفر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي الحسين ،الكلبي ، أبو محمد ، ابن أبـي الفتـوح ـ ويقـال ابـي الفتح ـ الأمير تاج الدولة ، سيف الملة ابن الأمير ثقة الدولة ٠

أحد أمراء صقلية المعروفين ب« بني أبي الحسين »٠ قام بـأمر صقلية نيابة عن أبيه الأمير أبي الفتـح ثقـة الدولة يوسـف لما فلج وتعطل جانبه الأيسر في سنة ثلاث واربعمائة ، فلقبه الحـاكم بـأمر الله منصور بن العزيز ب« تاج الدولة وسـيف الملة » فـاستقر على ولايته ٠

وفي أخر رجب سنة خمس واربعمائة خالف عليه اخوه الأمير علي ابن يوسف ، فقتله بمعونة أخويه أحمد وحسن ٠

ثم خرج أهل صقلية عن طاعته لظلمه وحصروه ، فخـرج إليهـم ابوه يوسف في محفة حتى ردهم عن محاربته ، وصرفه عنهم ، وولى عليهم ابنه تأييد الدولة أحمد الأكحل بن يوسف في سـادس المحـرم سنة عشر واربعمائة ، وسيره من صقلية الى القـاهرة فقـدمها ٠ وسار ابوه من بعده إليها بأموالها وكانت كثيرة جدا ٠

جوهر الجدالي

(من المقفى للمقريزي ـ مجلدة برتو باشا)

اصله من قبيلة جداله احدى قبائل البربر في صحراء بلاد المغرب التي يخرج اليها من السوس الأقصى.

قدم مصر حاجا في عشر الخمسين واربعمائة ، ومر في طريقه بالسوس الأقصى على رجل يقرأ عليه مذهب الامام مالك وحديث النبي صلى الله عليه وسلم . فسمع منه فأعجب به . فلما عاد من الحج الى السوس قصد ذلك الفقيه . فلما سمع كلامه قال له : يا فقيه ، ما عندنا من هذا الذي تذكره شيء إلا الشهادتين والصلاة .

فقال له الفقيه : فاحمل معك من يعلمهم عقائد الاسلام وكمال دينهم . قال : فابعث معي أحد الفقهاء ، وعلي حفظه وبره واكرامه.

فأرسل معه فقيها من طلبته يقال له عبد الله بن ياسين فدخل الجوهر وعبد الله بن ياسين الى الصحراء ، وفيها قبائل ، منهم لمتونة ، وجدالة ولمطة ومسوفة وغيرهم ، فنزلا على قبيلة لمتونة ، وهي على ربوة عالية . فلما عاينا القبيلة نزل الجوهر عن جمله واخذ الجمل الذي عليه عبد الله بن ياسين ، تعظيما له .

وأقبلت اعيان لمتونة يتلقون الجوهر الجدالي ليهنئوه ـ كما جرت العادة ـ بالسلامة ، وكان من أكابر تلك الصحراء . فرأوه يقود ذلك الجمل فقالوا له : من هذا ؟

فقال : حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جاء يعلم أهل الصحراء ما يلزمهم في دين الله من الاسلام .

فرحبوا بهما وانزلوهما . ثم اجتمعت طائفة كبيرة من تلك القبيلة وقالوا : تذكر لنا ما أشرت اليه انه يلزمنا .

فقص عليهم عبد الله عقائد الاسلام وقواعده وبين لهم ، حتى فهم ذلك أكثرهم . ثم اقتضاهم الجواب فقالوا : اما ذكرت من الصلاة والزكاة فذلك أمره قريب ، واما قولك : من قتل يقتل ، ومن سرق يقطع ، ومن زنى يجلد ، فأمر لانلتزمه ، ولاندخل تحته . اذهب الى غيرنا !

فرحل عبد الله والجوهر عنهم ، والجوهر الجدالي يجر زمام جمل عبد الله بن ياسين . فنظر اليه شيخ كبير السن من لمتونة ، فقال : ارايتم هذا الجمل ؟ لابد أن يكون له في هذه الصحراء شأن يذكر في العالم .

وانتهوا الى جدالة قبيلة الجوهر ، فتكلم عبد الله بن ياسين فيهم وفيمن اتصل بهم من القبائل . فمنهم من سمع وأطاع ، ومنهم من عصى . ثم إن المخالفين لهم تحيزوا وتحزبوا . فقال عبد الله بن ياسين للذين اقبلوا عليه وقبلوا سنة الاسلام : قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء المخالفين للحق ، الذين انكروا دين الاسلام واستعدوا لقتالكم . فالفوا لكم حزبا واقيموا لكم راية ، وقدموا عليكم اميرا . فقال الجوهر : أنت الأمير .

قال عبد الله : لايمكنني هذا ، إنما أنا حامل امانة الشرع واقص عليكم نصوصه ، وابين لكم طريقه ، واعرفكم سلوكه ، ولكن كن أنت الأمير ! فقال الجوهر : لو فعلت هذا لتسلط قبيلي على الناس وعاثوا في الصحراء ، ويكون وزر ذلك علي .

فقال عبد الله بن ياسين : فهذا ابو بكر بن عمر راس لمتونة وكبيرها يفعل ذلك .

فأجاب . فعقدوا له راية وبايعوه بيعة الإسلام ، وتبعته زمرة من قومه وسماه عبد الله بن ياسين أمير المسلمين ، وعادوا الى جدالة وجمعوا اليهم من أمكن من الطوائف الذين حسن اسلامهم وسماهم عبد الله « المرابطين ».

وتألبت عليهم احزاب من الصحراء معاندون من أهل الشر والفساد (فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على اولئك الأشرار بالمصلحين من قبائلهم ، فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم تحت زرب عظيم وثيق نحو الفي رجل من أهل البغي والفساد) (٤) وتركوهم اياما بغير طعام. ثم أخرجوهم شيئا بعد شيء وقتلوهم عن آخرهم. ومن ذلك الوقت دانت لهم أكثر القبائل واستقام خلق كثير.

ولما ولي الأمر أبو بكر بن عمر استبد به دون الجوهر فداخل الجوهر الحسد وشرع في فساد الأمر سرا . فعلم ذلك ، وعقد له مجلسا وثبت عليه ما ذكر عنه فحكم فيه بأنه يجب عليه القتل لأنه نكث البيعة وشق العصا ، وهم بمحاربة أهل الحق . فقال الجوهر :« وانا ايضا احب لقاء الله حتى ارى ما عنده ».

ثم كثرت طائفة المرابطين ، وساروا لقتال الفرنج فقتل عبد الله ابن ياسين ، وذلك في عشر الستين وأربعمائة . ثم جمع أبو بكر بن عمر قبائل السوس حتى اخذ مدينة سلجماسة ، وولى عليها يوسف ابن تاشفين اللمتوني ، من بني عمه ، وعهد اليه من بعده . فلما مات أبو بكر ، خلفه يوسف بن تاشفين ، ودعي بأمير المسلمين . فافتتح بلاد المغرب شرقا وغربا بأيسر سعي ، وبنى مدينة مراكش . ثم أخذ المعتمد بن عباد ملك الأندلس . ثم مات فقام من بعده ابنه علي بن يوسف ، ثم اسحاق بن علي بن يوسف . وقتل اسحاق سنة اثنتين واربعين وخمسمائة ، وانقضت دولة الملثمين التي انشأها الجوهر الجدالي بقيام دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت.

الوزير اليازوري

(من المقفى للمقريزي ـ مجلدة برتو باشا)

الحسن بن علي بن عبد الرحمن ، ابو محمد اليازوري ، الوزير الأجل الأوحد المكين ، سيد الوزراء وتاج الأصفياء ، قاضي القضاة وداعي الدعاة ، علم المجد ، خالصة امير المؤمنين ، الناصر للدين .

كان ابوه من اهل ضيعة من ضياع فلسطين يقال لها «يازور» ، وله بها حال متسعة كبيرة . فلما اتسعت حاله ، وكثر ماله ، انف من المقام بها وتحول الى الرملة وسكنها فشهر بها . وعرف بالصدق في القول وسماحة النفس ، فتقدم الشهود بها ، ورد اليه قضاء اكثر أعمال الرملة . ونشأ له ابنان أصغرهما الحسن هذا . فخلف أخاه القائم بعد أبيه ، واربى على ابيه واخيه في حسن الطريقة وجميل السيرة وشرف الأعلاق .

واتصل بخدمة خيرة جارية الوزير علي بن احمد الجرجرائي فأحسنت اليه واعتنت به ومنعت من التعرض لصرفه من الحكم الى ان توفيت ، فصرف عن الحكم .

وقدم الى القاهرة وتلطف بكثرة مداخلته وتوصل الى خدمة السيدة أم الخليفة المستنصر وواظب خدمتها وخدمة حواشيها ولازم بابها للسعي في عوده الى الحكم بفلسطين . وصار يتردد الى الوزير ابي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي حتى اختص به وافضى اليه بما يجده من استبداد ابي سعد سهل التستري بأمور الدولة وما يلقى من امتهانة له ، فيشاركه في التدبير عليه ويلقنه من ذلك ما يجد

به سبيلا الى المكر به . فنفر منه ابو سعد ومقته وهم بالايقاع به ، فعوجل وقتل ، واليازوري مع ذلك يتردد الى قاضي القضاة وداعي الدعاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ولاينقطع عنه ليرده الى الحكم ببلده . ففهم القاضي سوء راي أبي سعد التستري فيه فانحرف عنه ولم يلتفت اليه . واستمر عليه لهذا بعد قتل ابي سعد.

فاتفق أن قاضي القضاة حضر يوما بباب البحر، أحد أبواب القصر، على عادته في كل اثنين وخميس ، وجلس ينتظر خروج السلام اليه ، وجلس معه من الشهود من جرى رسمه بذلك ، فدخل اليازوري وجلس معهم فالتفت اليه القاضي وقال له . بأمر من جلست ههنا ؟ اتظن أن المجالس كلها مبذولة لكل أحد أن يجلس فيها ؟ لهذا مجلس لايجلس فيه الا من أذنت له حضرة الامامة وشرفته به . اخرج ، فوالله لاتصرفت على أيامي أبدا.

فخرج ورجلاه لاتكادان تحملانه ، ووقف على باب البحر الى أن خرج قاضي القضاة ، فسار في أعقابه وسبقه ووقف بباب داره ، فلما نزل صقع (٥) له استعطافا لئلا يريه أنه وجد من كلامه ، فلم يعره طرفه ودخل ، فانصرف اليازوري . ولقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي خليفة قاضي القضاة فقال له : ياأبا محمد ، قد كان يجب أن لاتريه وجهك عقيب ما جرى لك معه اليوم .

ثم انصرف عن القضاعي واقبل على ابي عبد الله احمد بن محمد ابن أبي زكريا خليفة قاضي القضاة فخاطبه بأجفى من خطاب القضاعي له . فتركه وقد عظم همه .

ووافى منزله فوجد قد حضر اليه من ضياعه ثلاثون حملا من التفاح لتباع بمصر ، فأنفذ منها خمسة أحمال الى الوزير الفلاحي ، وبعث لقاضي القضاة خمسة احمال وللقائد الأجل عدة الدولة رفق خمسة أحمال ولابن ابي زكريا ثلاثة احمال وللقضاعي خمسة أحمال ، وفرق حملين على حواشيهم ، وكان ثمن هذه الأحمال يبلغ جملة ثلاثمائة دينار فلم يلتفت احد منهم اليه ولاعطف

عليه .. (٦) ولاتقدم منا اليه من الجميل ما يوجب ان يكافئنا عليه . وهذا رجل حر له مروءة توجب أن نصطنعه ونحقق حسن ظنه بنا .

وركب اليازوري من الغد ووقف عند باب البحر فلما اقبل رفق من داره يريد القصر تلقاه وسلم عليه ، فأكرمه ورحب به وسأله عن حاله ، ثم دخل الى القصر وقضى حق الخدمة وخرج فوجده واقفا على حاله. فسلم عليه. وسار معه الى داره حتى وصل اليها ، فأذنثى اليازوري راجعا. وأقام على ذلك اياما.

فخف على قلب رفق ، وقويت رغبته في اصطناعه . وصار اذا وصل الى داره أمر اليازوري بالنزول معه ، فينزل ويجلس معه ويحادثه ، وكان حلو الحديث فكه المحاضرة . فأطال جلوسه معه ، وبقي رفق اذا غاب عنه يشتاق اليه ، واذا هم بالقيام عنه امسكه الى ان تحضر المائدة ، وأكثر منه حتى عد من خواصه .

ولما ضجرت أم المستنصر من عرض خدمتها على أبي نصر ابراهيم أخي أبي سعد سهل التستري ، وامتناعه ، حتى وقفت امور خدمتها وبقي بابها مغلوقا مدة ثلاثة اشهر ، قال رفق في بعض الأيام لليازوري ، وقد أفضى به الحديث الى كثرة رغبة السيدة أم الخليفة في أبي نصر وامتناعه : إني أرى رايا ، فما عندك فيه ؟

قال اليازوري : ما هو ؟

قال : تكتب رقعة تلتمس خدمة السيدة وتعرض نفسك عليها .

فقال اليازوري : كنت أظن جميل رايك في وإيثارك مصلحة حالي فأكذبني ظني .

فقال : بماذا ؟

قال : لهزئك بي . فاني قد اجتهدت في العود الى قرية كنت فيها فبخل علي بها . فكيف إذا تعرضت لهذا الأمر الكبير ومناواة الوزراء ؟

فقال له : أما ترضى بي سفيرا لك في هذا الأمر وعلي استفراغ

الوسع لوجوب حقك علي ؟ فإن قضت الأقدار ببلوغ الغرض في ذلك، فقد ادركنا ما نؤثره . وإن تكن الأخرى ، فعلى اكثر من العطلة ما نحصل .

فاستجاب الى ذلك ، وكتب رقعة يعرض نفسه وماله على السيدة ، ويخطب خدمتها ويبذل الاجتهاد فيها . فأخذ رفق الرقعة وركب من الغد الى القصر ، ودخل الى السيدة وقد أحضرت أبا نصر وعاودته في الخطاب وهو على حاله من الامتناع الى أن أضجرها.

فانتهز رفق الفرصة بضجرها وقال : يا مولاتنا قد طال غلق بابك ووقوف خدمتك وكثرة امتناع الشيخ أبي نصر مما تريدينه منه . وههنا من انت تعرفينه ، وهو رجل مسلم وقاض ، وكثير المروءة ، وهو مستغن بماله وأملاكه عن التعرض لمالك ، وهو ثقة ناهض كاف .

فقالت: من هو؟

فقال القاضي أبو محمد اليازوري وهذه رقعته ، فأمرته بتسليمها الى أبي نصر. وقالت: ما تقول فيه؟

فلم يصدق بذلك وقال: يامولاتنا ، هو والله الثقة الأمين الناهض الذي يصلح لخدمتك ، وفيه لها جمال ، وما تظفرين بمثله .

فوقع ذلك منها بالموافقة لما كان في نفسها من الغيظ بامتناعه عليها ، وقالت لرفق : قل له يجلس في داره غدا الى أن انفذ اليه .

فسر رفق بذلك سرورا كبيرا وخرج ، فرأى اليازوري فقال له : أقمح أم شعير ؟

قال : بل بر يوسفي ـ وقص عليه وقال له : اغد الى دارك فلا حاجة الى الاجتماع اليوم ، واذا كان الغد فاجلس حتى يأتيك رسول السيدة .

ففعل ، وجاء من الغد الرسول يستدعيه . فركب الى باب السيدة وقد جلست له وراء المقطع ، وردت اليه أمر بابها والنظر في ديوانها الذي هو باب الريح ، فبلغ ذلك الوزير أبا نصر صدقة بن يوسف الفلاحي فشق عليه كون هذا الأمر لم يكن على يده مع علمه

أنه لايقدر عليه ، فإن السيدة لم تكن تسمع قوله لما في نفسها منه بقتل أبي سعد ، ولم يسعه الا المجاملة . واستدعى أمراء الأتراك وأمرهم بالمضي اليه وتهنئته ، فلما دخلوا على اليازوري تلقاهم واعظمهم لسعيهم اليه ، وعندما هنؤوه شكرهم واثنى عليهم وقال : ما أنا الا خادم ونائب لموالي الأمراء . أسأل في تشريفي بما يعن لهم من خدمة أنهض فيها وابلغ الغرض فيما يرسمون .

فنهضوا ، وقام لوداعهم واتوا الى الوزير (الفلاحي) واعلموه بما كان من اليازوري ، فقلق لذلك . ولم تطل الأيام حتى قبض على الوزير وقتل ، واقيم بعده في الوزارة ابو البركات الحسين بن محمد الجرجرائي . فأقبلت حال اليازوري تزيد ومنزلته ترتفع وأمره يتأكد وخلعت عليه السيدة خلعة ثانية ، ولقب بالمكين الأمين عمدة أمير المؤنين . وأمرته أن لايقوم لأحد ، فان خدمته لاتقتضي اعظام أحد اذا دخل اليه . فكان يعتذر الى من يأتيه من الجلة الرؤساء والأكابر عن ترك القيام ويقول : لو ملكت اختياري لبالغت في تكرمتكم بما تستحقونه ـ الى أن تمهد عذره في ذلك ، ما خلا القائد الأجل عدة الدولة رفق الذي كان سفيره : فانه كان اذا اقبل اليه وثب قائما ووفاه حقه من الاعظام فبلغ ذلك السيدة فقالت له : لاتتحرك لأحد بالجملة !

فكان بعد ذلك اذا جاء ، يعتذر اليه فمكث كذلك مدة ، وحاله آخذة في الترقي ورئاسته تزداد اجلالا الى أن صار يحضر بحضرة الخليفة المستنصر اذا اراد ان يستدعي الوزير كما كان قد تقرر لأبي سعد التستري مع الوزير الفلاحي فشق هذا على الوزير ابي البركات . وذلك انه كان اذا حضر اليازوري عند المستنصر تحدث طويلا ، وتكون السيدة من وراء المقطع فيدور بينهم الكلام فيما يحتاج ثم تستدعي الوزير ابي البركات فاذا دخل وعرض ما يريد من أمور الدولة لايجيبه الا اليازوري ، ثم يلتفت الى الخليفة بعد ما يجيب الوزير ويقول : اليس هو الصواب ؟

فيقول الخليفة : نعم .

ويخرج الرسول من وراء المقطع ويقول عن السيدة : هو الصواب . فصار الوزير كأنه انما يعرض على اليازوري لاعلى الخليفة والسيدة،ولايقدر على الاعتراض فيما يقوله ولايجد بدا من امتثال ذلك .

فشق عليه ما صار اليه واخذ في اعمال الحيلة فأشار عليه ابو الفضل صاعد بن مسعود أن يحسن للخليفة تولية اليازوري القضاء ، فاذا تقلد القضاء وقع في هور كبير وشغله عن ملازمة السيدة فيصل الوزير حينئذ الى استخدام ولده مكان اليازوري ، ويستوي له الأمر ويملك جهتي السلطان والسيدة .

فاتفق حضور قاضي القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عند الوزير وتقلقة من خليفتيه ابي عبد الله محمد القضاعي وابي عبد الله احمد بن ابي زكريا وشكوى المذكورين من قاضي القضاة مع توعك ابي محمد اليازوري وتخلفه في داره ايامافخلا الوزير بالخليفة واعاد عليه ما ذكره كل من القاضي وخليفتيه وشنع امر قاسم وقبحه . فقال الخليفة : فمن نستبدل به ؟

فقال : عبيدك كثير ، وبين يديك من يتجمل الحكم به مع ثقته وامانته وقربه من خدمتك.

فقال : ومن هو ؟

قال: القاضي ابو محمد.

قال :ذاك في خدمة مولاتنا الوالدة ، ولاتفسح له في ذلك

فقال: ياأمير المؤذين هي ـ خلد الله ملكها ـ اغير على دولتك واحسن نظرا اليها من ان تحول بينها وبين ما يجملها ومع هذا فلم ينقل مما هو فيه الى ما هو دونه ، بل الى ماهو أوفى منه .

فأجاب الى ذلك وقام وقد استقر لهذا وتم له ما اراده ، وشرع في الحال في كتابة سجله واعداد الخلع له ليخلع عليه في غد ذلك اليوم خوفا من نقض ما استقر .

وبلغ ذلك كله القائد رفق فأنفذ الى اليازوري وقص عليه الخبر وقال له : تلطف في امرك كما تريد ـ فعظم هذا على اليازوري وخاف

من ابعاده عن خدمة السيدة ، فانها كانت اجل الخدم واوفاها واسناها محلا واغناها : فان كل من كان في الدولة من وزير وامير وغيرهما محتاج اليه .

فلما كان مع عشاء الآخرة حمل على نفسه وهو محموم ، وركب الى باب الريح ، ودخل واعلمها مكانه، فأكبرت حضوره في مثل ذلك الوقت مع ماتعلمه من توعك بدنه ، فخرجت وراء المقطع وسألته عن حال مرضه وما الذي دعاه إلى العناء في هذا الوقت على ماهو عليه ، فرمى نفسه بين يديها وقص عليها القصة كلها وقال : إنما الغرض إبعادي عن خدمتك وحرماني السعادة التي الحقتني بها ليقع التمكن مني .

قالت : وما الذي تكره من ذلك ؟

فقال : يامولاتنا ، هور الحكم واسع ، واحوال قاضي القضاة قاسم بن النعمان فيه مشهورة ، ولو كانت جارية على النظام المستقيم لشغلت عن خدمتك ، فكيف والحاجة داعية إلى تجديد إصلاحه وإحكام نظامه ، وفي هذا شغل كبير ؟

فقالت : لايضيق صدرك بهذا الأمر ، فبابي لك ، وخدمتي موفورة عليك ولااستبدل بك أبدا .

فقال : يامولاتنا ، قد قدمت القول إن هور الحكم كبير واسع ، واشتغالي به يحول بيني وبين ملازمة بابك .

فقالت : خلفاؤك في الحكم ، القضاعي وابن ابي زكريا هما ينفذان من الأحكام مايجوز تنفيذه . فإذا تحررت الأحكام نزلت ففصلت ذلك ، وقرر لنزولك يومين في الجمعة لفصل الأحكام . فإذا نزلت كان ولداك ينوبان عنك في تنفيذ أمور خدمتي . وهذا التقرير لايغلبك فعله.

فقبل الأرض لها ودعا وشكر وانصرف .

فلما كان في غد ذلك اليوم وهو الثاني من المحرم سنة إحدى واربعين واربعمائة ، استدعي إلى حضرة أمير المؤمنين وخلع عليه وقرىء سجله في الايوان ، وخرج والدولة بأسرها بين يديه ، فأقام في تنفيذ

الأحكام عدة أيام وولداه ينوبان عنه في بـاب الريح . وجعـل الوزير يبعث للسيدة من يطارحها في ذكر بـابها ويعـرض لهـا بـذكر ولد الوزير . فقالت : وما هو الأمر الذي يعجز ولدا القاضي أبي محمـد عنه ، وقد لقنا فعل أبيهما وفهما منه مايحتاجان إليه ، ومع ذلك إلى أن يجيء أبوهما ، وما كنت بالذي يستبدل به بوجه ولاسبب .

فلما سمع ذلك الوزير أبو البركات ، أسقط في يده وقـال : اردنا وضعه ، والله تعالى يريد رفعه .

فقال له أبو الفضل صاعد : أما إذا جرى الأمر بخلاف مـا ظنناه وأملناه ، فليس إلا مجـاملة الرجـل ومـواثقته على السـلامة ، فتواثقاوتعاهدا . وصار لايسلم على الوزير ولايجتمعان إلا يومـا في الشهر ، يحضر إليه في داره . فإذا صار إليه احتجب الوزير عن كل أحد ، وخلا به ، وبالغ في إكرامه ، وهو في الباطن يدبر عليه ، فكفاه الله أمره ، وقبض عليه وشغرت رتبـة الوزارة عدة أيام ، والسـيدة تعرضها على اليازوري وهو يمتنع . فأقيم أبو الفضل صـاعد وخلع عليه وعمل واسطة لاوزيرا فصار إذا أحب أن يعرض على الخليفـة أمرا مما يتعلق به يتقدم اليازوري إلى الحضرة ، ثم يستدعى بـأبي الفضل ، فإذا عرض ما أحب لايجيبه إلا اليازوري ، فصار في نفسه منه مثل ماكان في نفس غيره من الوزراء . وأقبل ينصب عليه ويحمل الرجال على مكروهه ويوهمهـم أنه إذا سـأل لهـم زيادة أو ولاية ، يعترضه اليازوري بما يبطل رأيه ويفسده . فـاستدعى ناصر الدولة حسين بن حمدان بعض خواص اليازوري وقال له : اعلم أن القاضي له من الثناء الجميل كثير ، ونحن شاكرون له ، معتـذرون بجميله ، مفتقرون إلى جاهه في جميع أمورنا . وأعتقاؤه من هذا الأمر لايبرئه من ذمنا إن وقفت حوائجنا ، ويكون الشـكر فيه لغيره إن قضيت . وهذا الرجل عميد الملك هوذا يحمل الرجال عليه ويشعرهم أنه يجهد في قضاء حوائجهم ، وأنه يعترضه بما يبطلها عليهم ، وفي هذا الأمر ما يعلمه . فقل له عني : ياسيدنا ، أما إذ تريد شكر الرجال وسلامة صدورهم لك وخلاص نياتهم في طاعتك ، فادخل في هذا الأمـر . فإن أحسنت عرفوا ذاك لك وشـكروه منك ، وإن أسـأت كان لك ضرره

وشره . وإلا فاعتزل جانبا ولاتلعب بروحك مع الرجال لئلا يتلفك ابو الفضل . وإن أذن لي في المثول بحضرته ذكرت له ذلك .

فلما بلغ هذا لليازوري قال له : أمهلني الليلة وبكر إلي .

فبكر إليه وهو خال فقال له : أعد علي قول ناصر الدولة .

فأعاده فقال : اقره عني السلام وقل له : والله إلا ادخل فيه ويكون لي خيره وشره !

فأبلغ ذلك ناصر الدولة ، فقال : هذا هو الصواب .

فلما كان بعد يومين قرىء سجله بالوزارة ولقب بالوزير الأجل ، الأوحد ، المكين ، سيد الوزراء ، وتاج الأصفياء ، وقاضي القضاة ، وداعي الدعاة ، علم المجد ، خالصة أمير المؤمنين ، وخلع عليه في اليوم السابع من المحرم فنظر في الوزارة ، ومضى فيها مضي الجواد ، ونهض مسرعا بنهوض غبر به في وجوه من تقدمه .

وكاتب ملوك الأطراف فأجابوه بما يليق بقدره ووفور حقه من الرئاسة ، ما خلا معز بن باديس صاحب إفريقية ، فإنه قصر به في المكاتبة عما كاتب به من تقدمه من الوزراء ، وكان يكاتب كلا منهم « بعبده » ، فجعل مكاتبته « صنيعته » . وكان لابن باديس بالقاهرة نائب ، فاستدعاه اليازوري وعتب صاحبه وقال له : أظنه انتقصني عمن تقدمني إذ لم أكن من أهل صناعة الكتابة . وإن لم أكن أوفى منهم ، فما أكون دونهم . ومن رفعه السلطان ارتفع و إن كان خاملا ، ومن وضعه اتضع وإن كان جليلا نبيلا ، فاكتب إليه بما يرجعه إلى الصواب .

فكتب إليه بذلك ، وقد أذكى اليازوري عليه عيونا يطالعونه بما يتفوه به ، فلما وقف ابن باديس على كتاب وكيله قال : ما الذي يريد مني هذا الفلاح ؟ أكتب له « عبده » وهو أكار ؟ والله لاكان هذا أبدا ! وإن الذي كتبت به إليه لكثير .

فطالعه عيونه بقول ابن باديس . فأحضر الوكيل وقال له : قد جرى صاحبك على عادته في الجهل . فاكتب إليه بما يردعه ، وإلا عرفته بنفسي إذ لم يعرفني .

فكتب إليه بذلك فأجاب بأقبح من الأول . فدس اليه اليازوري من تلطف حتى أخذ سكين دواته . فلما وصلت إليه أحضر الوكيل وقال له : قد كنت أظن بصاحبك أن الذي حمله على ما كان منه نزوة الشبيبة وقلة خبرة بما تقضي به الأقدار ، وانه إذا نبه تنبه . فإذا الجهل مستول عليه ، وظنه بأن بعد المسافة بيننا وبينه يمنع من الانتصاف منه ، والوصول إليه بما يكره . وقد تلطفنا في أخذ سكينه من دواته ، وهاهي ! فأنفذها إليه وأعلمه انا كما تلطفنا في أخذها فإننا نتلطف في ذبحه بها ـ ودفعها إليه ، فكتب الوكيل بذلك إليه فازداد شرا وبطرا وطغيانا . فدس إليه من أخذ نعله ـ وكان يمشي في الأحذية السندية ـ فلما وصلت أحضر الوكيل وأعلمه بما انتهى إليه من جهل صاحبه ، وقال : اكتب إلى هذا البربري الأحمق وقل له : إن عقلت وأحسنت أدبك ، وإلا جعلنا تأديبك بهذه

فكتب إليه ، فجرى على عادته في إطلاق الكلام القبيح ، فتشمر له حينئذ اليازوري ، وبعث مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم ، أحد الأمراء ، إلى طرابلس المغرب ، وبها من العرب زغبة ورياح وقد حدثت بينهما حروب ، فسار إليهما بخلع كثيرة وأموال وافرة ليصلح بينهما . فتحمل ماكان بينهما من الدماء ، ودفع إليهم الديات ، وزاد في إقطاعاتهم . وبعثهم على محاربة إفريقية وأباحهم ديار ابن باديس،وقام في هذا قياما عظيما حتى سار المذكورون واستولوا على أعمال القيروان وضايقوا ابن باديس وحصروه إلى أن نفدت أمواله وقلت عدده،وتفلت منه رجاله وأشرف على التلف ففر بحشاشته في زي امرأة من القيروان إلى المهدية ، وترك حرمه وداره وأمواله وغلمانه . فأخذ العرب المدينة وقتلوا الرجال وسبوا النساء ونهبوا ماكان في قصوره وجالوا في المدينة وأخربوها . وحمل مانهب إلى القاهرة من الآلات والأسلحة والعدد والخيام ، وكان لدخول ذلك يوم عظيم .

وكان في البحيرة طائفة يقال لها بنو قرة قد اقتطعوها وملكوها وعمروا ضياعها ، واشتدت شوكتهم ، وخشن جانبهم وعظم أمر

مقدميهم حتى انتشر ذكرهم وذل لهم عدوهم وثقل أمرهم حتى (على) ولاة الاسكندرية ، واجتمع معهم الطلحيون فصاروا يدا واحدة . وكانت لهم واجبات على الدولة ، ولم يكن لهم إقطاع ، بل كان مايستحقونه من واجباتهم يحمل مع واجبات العسكر بالاسكندرية إلى الوالي فينفقه فيهم . وكان الوالي بالاسكندرية في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ناصر الدولة حسين بن حمدان والد ناصر الدولة الثائر بالقاهرة على المستنصر . فلما انقضت سنة أربع وأربعين وأربعمائة استحق الطلحيون على الدولة عن واجباتهم ثلاثة الاف دينار ، فواصلوا اقتضاء ناصر الدولة إنفاقها فيهم ، فوعدهم ، وكتب إلى الحضرة يلتمس لهم ذلك . فوعده الوزير انه إذا حمل إلى رجال العسكر استحقاقاتهم حمل ذلك في جملته ، وكان قد بقي لحمل المال مدة شهرين ، فاستبعدوا الصبر إلى ذلك الوقت وواصلوا مطالبته ، وحملوا بني قره على معونتهم عليه ، فاضطهدوه والزموه بالمسير معهم ومع جيرانهم الطلحيين إلى الحضرة لالتماس ذلك . فلم يجد بدا من إجابتهم ، وسار معهم إلى الجيزة وطلع إلى الوزير وعرفه الحال . فقال : ما أخرنا ذلك عنهم إلا لأن السنة كثيرة النفقات والطوارىء . ولكن هذه الف دينار ، فخذها وانفقها فيهم إلى أن نحمل باقي مالهم مع مال العسكر .

فأخذ الألف وعاد إليهم وعرفهم ما قال الوزير . فامتنعوا من أخذ الألف ، وذكروا أنهم قد تعبوا وكلفوه المسير معهم ولايرجعون إلا بعد قبض الثلاثة الاف . والزموه بالعود . فعاد وعرف الوزير ما كان منهم . فغضب وأمر لهم بألف أخرى وقال : قد ذكرنا لك أنا لم نؤخر عنهم ذلك إلا لضيق الحال وانتظار ما يصل من الريف فنحمل إليهم باقي استحقاقهم . ولم يبق الآن إلا الف ، ونحن نحمل اليهم ذلك بعد هذا .

فعاد اليهم ناصر الدولة ، فأبوا إلا أخذ الجميع ، وانهم لايبرحون من مكانهم إلا بجميع مايستحقونه وجفوا في الخطاب . فعاد الى الوزير وعرفه ما كان منهم. فاشتد غضبه وقال: اجابتهم

الى ماالتمسوه دفعة بعد أخرى طمعهم. ووالله لاأطلقت لهم درهما واحدا! ـ واستعاد الألفي دينار من ناصر الدولة ، وتقدم بتجريد العسكر لهم. فتسرع من خف مع يمن الدولة كافور الشرابي وساروا اليهم ، اذا بهم متأهبين للقائهم ، فجرت بينهم ذوبة قتل فيها اثنان من العسكر ، وحال بينهما الليل. فلما بلغ ذلك الوزير عظم عليه اقدامهم على العسكر ، سيما بني قرة ، فانهم كانوا أشد حربا من الطلحيين.

وكان بالقاهرة من مقدميهم ثلاثة نفر ، وهم ضيوف مكرمون ، فأشير على الوزير بقبضهم ليكف عادية باقي بني قرة • فاستدعى صاحب الستر سيف الدولة مبشر ، ومتولي الشرطة سنان الدولة ابن جابر ، ومتولي الصناعة عظيم الدولة عطاء ، وأمرهم بأخذ الثلاثة ليلا وتسييرهم تحت الحفظ والحوطة الى الجيزة والتحيز بهم عن العسكر الى حيث يأمنون على انفسهم ، وتخلية سبيلهم • ففعلوا ذلك • وأصبح الناس وقد علموا بمضيهم • وكلموا الوزير في ذلك فقال : قبح السمعة في القبض عليهم وهم في ضيافتنا منعني من ذلك • فهم في هذه الحال كالحرم • فلم أستجز فعل ذلك ، بل أطلقتهم ، ووالله لا أخذتهم إلا من ظهور دوابهم !

فقال شخص من الأكابر يعرف بعجلان بن مطر اللواتي : قد فعل هذا الوزير شيئا لم يسبقه إليه أحد ، من إطلاق هؤلاء القوم ، واستحيى فيهم بما فعله • ووالله ليظفرن بهم لأن هذا تقليد البغي ، فإن كان فيهم بعد ذلك كائن فالدائرة عليهم •

فكأنما نطق بالغيب : فإنهم تشمروا عند وصول الثلاثة الى الحاجر ونزلوا به • وأخذ الوزير يجر العساكر لهم حتى كمل له ما أراد ، وسيرها وقد تجمعت حشود بني قرة • فالتقوا بكوم شريك فكانت الدائرة عليهم وقتل منهم خلق كثير وانهزموا • فتبعهم العسكر ظنا انهم يعودون الى اللقاء ، فلم يثنهم شيء عن قصد برقة ، وأسلموا أموالهم وكل ما في أيديهم للنهب ، ففاز به العسكر وغنموه ، وانقلعت شأفة بني قرة والطلحيين من البحيرة ، الى

اليوم ، وبقوا مشردين مطردين يجاورون العربان على اقبح صورة أربعين سنة ٠

وقد كان الوزير لما اخرج العسكر لقتال بني قرة ، فند اهل الدولة رايه ، وحكموا انهم لاينتقلون من البحيرة ابدا لقوة بأسهم وشدة شوكتهم ولائتلافهم بالطلحيين ٠ فأكذب جميل فعله ظنهم ٠ ثم إنه راى في كون العساكر في أعمال البحيرة كلفة كبيرة ٠ فنقل بني سنبس من الداروم بفلسطين ، وكانوا قد ثقلت وطأتهم بتلك الأعمال وصعب أمرهم ، فسدّى بهم الى البحيرة ، وهم اعداء قيس ، واوطأهم ديارهم واقطعهم ارضهم ، فامتحى اسم بني قرة ٠

وكان تجهيزه العساكر لبني قرة في شهر رمضان سنة ثلاث واربعين واربعمائة ، وتسييرهم في مستهل شوال ٠ فخطاه الناس كلهم وغلطوه في فعله وحكموا بأنه لم يجرد قط عسكر في شوال فظفر ، وانهم لايأمنون على العسكر ان يهزم وينكسر ٠ وكان يمن الدولة له زم القصور والخدمة في الرسالة ، وهو ايضا زمام الأتراك والقيصرية ، وليس في الدولة من يجري مجراه جلالة ، وبينه وبين الوزير مباينة شديدة ، ويتوقع له الشر ويتربص به الدوائر ٠ فصار ينتظر انهزام العسكر ليقبض عليه ، والأقدار تؤيده بالسعادة العظيمة ٠ فلما اراد أن يسير العسكر من الجيزة رتب على الميمنة سنان الدولة بن جابر ، وعلى الميسرة حصن الدولة حيدرة بن منزوي ، وجعل في القلب ناصر الدولة بن حمدان ، وهو المقدم عليهما. وقرر معه أن يكون اللقاء في يوم الخميس الخامس من شوال ،بطالع تخيره له ٠ وبعث معه عدة من طيور الحمام ليطالعه بما يكون منه ومنهم يوما بيوم ٠ فلما كان اليوم الذي تقرر فيه اللقاء ، جلس الوزير في داره وهو شديد القلق كثير الاهتمام بأمر العسكر ، واحتجب عن الناس لشغل سره بهذا الأمر ٠ وجلس ينتظر سقوط الطائر بما يكون ٠ فلم يزل كذلك الى الساعة الخامسة من النهار ٠ فقام ليجدد طهارته وعبر بالبستان وقد أطلق الماء في مجاريه ، فراى ورقة تمر على وجه الماء فأخذها متفائلا بها فوجدها

أول كتاب كان وصل من القائد فضل الى الحاكم بأمر الله ، قد ذهبت طرته وعنوانه وبقي صدره ، وهو : كتب عبد مولانا الحاكم بأمر الله امير المؤمنين من المخيم المنصور في الساعة الخامسة من نهار يوم الخميس الخامس من شوال ، وقد أظفره الله عز وجل بعدو الله تعالى وعدو الحضرة المطهرة ابي ركوة المخذول • وهو في قبضة الاسار ، والحمد لله رب العالمين •

فلما وقف على ذلك سجد الى الأرض شكرا لله تعالى واستشعر الظفر وعجب من موافقة اليوم وعدة الأيام من شوال والاعلام بالظفر • ثم تجهز للصلاة ، فما فرغ حتى سقط الطائر بانكسار بني قرة وانهزامهم وبما من الله تعالى به من الظفر بهم • فأخذ الكتاب والورقة التي وجدها في الماء وركب الى القصر ودخل الى الخليفة المستنصر بالله واوقفه على الكتاب ، فسر وابتهج • واراه الورقة التي وجدها في الماء وقال : هذا اعجب يا امير المؤمنين ــ وحدثه حديثه •

فعجب من هذا الاتفاق ثم تواصلت الأخبار من ناصر الدولة بالبشرى وشرح الحال في الظفر وانهزام القوم • فخلع على الوزير ، وزيد في القابه : الناصر للدين ، غياث المسلمين • فقوي أمره ، وذل خائب أعدائه ، وعادوا يتقربون إليه بالخدمة ، فأغضى عنهم ولم يؤاخذ أحدا منهم • وقدمت الرؤوس ممن قتل وأموال كثيرة من أموال اهل البحيرة •

فلما خلا سر الوزير من أهل البحيرة ، نظر في أمر مدينة صقلية فإن اهلها كانوا أعلنوا خلافهم ، وكاتبوا ابن باديس صاحب إفريقية وملكوه عليهم ، فأساء فيهم السيرة • فثاروا به واخرجوه وكاتبوا ملك الروم فبعث إليهم بطريقا فحكم فيهم مدة ، فلم يصبروا له ووثبوا به واخرجوه عنهم ، وبعثوا إلى المستنصر يطلبون عفوه ويستصرخونه فكتب الى مستخلص الدولة الكلبي ابن ابي الحسين ، فوليهم مدة • ثم بعثوا يشكون منه ، فسير الوزير صمصام الدولة ابن لؤلؤ ، احد الأمراء ــ وكان رجلا عاقلا ــ ومعه

خلع نفيسة وأمره أن يصلح ذات بينهم ، فإن رضوا بأبن أبي الحسين خلع عليه وقرأ سجله بتجديد ولايته ٠

وإن امتنعوا من الطاعة له ، لبس هو الخلعة وقرأ سجلا كتب له بولاية صقلية ، وأن يتلطف في إخراج بني أبي الحسين من جزيرة صقلية ويحملهم الى القاهرة- فسار الى صقلية وتحدث في الصلح ٠ فامتنعوا من ذلك ولم يجد فيهم حيلة فأظهر سجله ولبس خلعته فرضوا به ٠ وأخرج جميع من كان بصقلية من بني أبي الحسين ، وهم زيادة على ثلاثين رجلا ، وخلت منهم ٠ فاستقام أمره ٠

وبعث الوزير رسله الى اليمن ، وقد ثار فيها علي بن محمد الصليحي ٠ فما زالوا به حتى دخل في طاعة الدولة وبعث النجاوى الى القاهرة ، ومعها هدية جليلة تبلغ عشرة الاف دينار ٠ فجاء من ذلك ما ليس في المظنون ولم ير مثله فيما تقدم ٠

ثم إنه عطف على النوبة واضعف عليهم البقط فحملوه واستمر بعده وكانت الهدنة قد انعقدت مع الروم في وزارة أبي نصر الفلاحي ، وقدم من قبلهم رسولان ، أحدهما يعرف بابن اصطفانوس هو المتكلم - وكان داهية أديبا شاعرا نحويا فيلسوفيا نظارا ، ولد ببلاد الروم ونشأ بأنطاكية ، ودخل الى العراق وأخذ عن العلماء والأدباء ، فاشتهر ذكره وبعد صيته ٠

والآخر صاحب حرب يعرف بميخائيل ٠ فأعجبهما حسن زي الدولة وكريم أفعالها وجميل سيرتها ، سيما ميخائيل فإنه أطربه ذلك ، وكان خيرا عاقلا ٠ فلما عادا الى بلادهما ، قضت الأقدار بموت متملك الروم وتملك ميخائيل هذا بعده ٠ فأقام في المملكة نحو الخمس سنين ٠

وقصر النيل بمصر في سنة اربع واربعمائة ، ولم يكن بالمخازن السلطانية شيء من الغلال ، فاشتدت المسغبة وغلا السعر.
وكان لخلو المخازن سبب :وهو أن الوزير الناصر للدين أبا محمد اليازوري لما أضيف إليه القضاء في وزارة أبي البركات الجرجرائي ، كان ينزل الى جامع عمرو بن العاص بمصر في يومي

السبت والثلاثاء من كل اسبوع ليجلس في الزيادة منه للحكم ، على رسم من تقدمه من القضاة، فإذا صلى العصر طلع الى القاهرة • وكان في كل سوق من اسواق مصر عريف على ارباب كل صنعة يتولى أمورهم • ومن عادة اخبازٍ مصر في ازمنة الغلاء انها متى بردت لم يرجع منها الى شيء لكثرة ما تغش به • وكان لعريف الخبازين دكان يبيع الخبز ،وبجانبها دكان رجل صعلوك يبيع بها الخبز ايضا ، والسعر يومئذ اربعة ارطال بدرهم وثمن • فرأى الصعلوك ان خبزه قد كاد يبرد ، فخاف من كساده فنادى عليه :اربعة ارطال بدرهم ليرغب الفقير فيه • فمال الناس إليه لأجل تسمحه بثمن درهم ، واشتروه بأجمعه ، وبقي خبز العريف لم يعطف عليه احد فغضب، ووكل بالرجل عونين من الحسبة اغرماه عشرة دراهم • فلم يطق ذلك ومضى الى الجامع واستغاث بقاضي القضاة وكان هناك• فأحضر المحتسب وانكر عليه فقال :العادة جارية باستخدام عرفاء في الأسواق على ارباب الصنائع ، وتقبل قولهم فيما يذكرونه ، وقد حضر عريف الخبازين بالسوق الفلاني واستدعى عونين من الحسبة ، فوقع الظن انه انكر شيئا يوجب فعل ذلك ، فاستدعى القاضي الخباز وأمره ، فقص على المحتسب خبره • فقال القاضي للمحتسب :رجل يرخص على الناس اقواتهم فيجازى على ذلك بما يؤذيه ـ ثم سأل الخباز كم أخذ منه • فقال : اخذ مني العريف خمسة دراهم ، وكل ما في يدي مائة درهم •

فقال :يصرف هذا العريف عاجلا ، ويغرم ما اخذه من هذا المسكين ويعاد إليه •

والتفت الى صاحب دواته فقال له : انظر ما معك فادفعه الى هذا الخباز فناوله قرطاسا فيه ثلاثون رباعيا ، فكاد عقل الخباز يذهب من شدة فرحه • وعاد الى دكانه فإذا عجنته الثانية قد خبزت فنادى عليها : خمسة ارطال بدرهم ! فمال الناس إليه واشتروا خبزه لرخصه • فخاف من هناك من الخبازين تلاف أخبازهم ، فإنها بردت ، وباعوا مثل بيعه • فنادى : ستة ارطال بدرهم !فقادتهم

الضرورة الى بيع أخبازهم كذلك • وصـار يريد مـكايدة العـريف بإرخاص السعر ويزيد رطلا رطلا ، والخبازون يتبعونه في بيعه خوفا على بوار أخبـازهم ، الى أن بلغ النداء : عشرة أرطـال بـدرهم ، وانتشر ذلك في سائر البلد ، وتسامع به الناس فتسارعوا إليه ، حتى إنه لم يخرج قاضي القضاة مـن الجـامع إلا والخبـز في جميع البلد عشرة أرطال بدرهم •

وكانت العادة انه يشترى للديوان السلطاني في كل سنة غلة بمائة الف دينار وتجعل متجرا، فلما عاد قاضي القضاة الى القـاهرة مثـل بحضرة الخليفة المستنصر ،وعرفه ما من الله تعالى به في هذا اليوم من إرخاص السعر ، وتـوفر الناس على الدعاء لأمير المؤمنين ، وأن الله ــ جلت قدرته ــ فعل ذلك ، وحل إسـعاد الناس بحسـن نية أمير المؤمنين في رعيته بغير موجب ولا فاعل له ، بل بلطف الله تعالى واتفاق قريب يسير • وقص عليه الخبر ثم قال :يا أمير المؤمنين ،إن

المتجر الذي يقام بالغلة فيه اوفى مضرة على المسلمين ، وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها ، حتى تتغير في المخازن وتتلف . والمصلحة ان نقيم متجرا لاكلفة على الناس فيه ويفيد اضعاف فائدة الغلة ولايخشى عليه من تغير في المخازن ولا انحطاط سعر : وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما اشبه ذلك . فامضى المستنصر له ما رآه ، واستمر ذلك ودام الرخـاء على الناس مدة سنين .

ثم قصر النيل في سنة سبع واربعين بعد خمس سنين من نظره في الوزارة ، ولم يكن بمخازن السـلطان مـن الغلة الا مـا ينصرف في جرايات من في القصور ومطبخ الخليفة وحواشيه لا غير . فورد على الوزير من ذلك ما شغل سره وكثر له فكره . ونزع السعر الى ثمانية دنانير التليس(٧) الدوار ، واشتد الامر على الناس .

ففتح الله له من التدبير ان نظر في امـر النواحـي . وكانت عادة التجار أن يقرضوا المعاملين حين اعسارهم وضيق الحال عليهـم في المقام للديوان بما يجب عليهم من الخراج ، مالاً يبتاعون بـه منهـم

غلاتهم عند ادراكها ليصيبوا فيها ربحا. فاذا استقرت مبايعتهم حضروا مع المعاملين الى الديوان وقاموا عنهم للجهبذ بما كتب عليهم ، ويثبت ذلك في روزنامج الجهبذ مع مبلغ الغلة . فاذا ادركت غلاتهم وصارت في الجرون (٨) اكتالها التجار وحملوها الى مخازنهم يريدون فيها السعر الغالي . فمنع الوزير من ذلك في هذه السنة ، وكتب الى العمال بسائر النواحي ان يستعرضوا روزنامجات الجهابذة ويحصروا منها ما قام به التجار عن المعاملين ومبلغ الغلة الذي وقع الابتياع عليه وان يقوموا للتجار ما وزنوه للديوان ويربحوهم في كل دينار ثمن دينار، تطييبا لقلوبهم ، وان يضعوا ختومهم على المخازن ويطالعوا بمبلغ ما يحصل تحت ايديهم فيها .

فلما تحرر ذلك جهز المراكب لحمل الغلات من النواحي ، واودعها في المخازن السلطانية بمدينة مصر ، وقرر ثمن التليس ثلاثة دنانير بعد ما كان بثمانية دنانير . وسلم الى الخبازين ما يبتاعونه لعمارة الاسواق ، ووظف ما تحتاج اليه مصر والقاهرة ، فكان الف تليس دوار كل يوم :مصر ، سبعمائة . والقاهرة ثلاثمائة . فاستمر لهذا التدبير مدة عشرين شهرا حتى ادركت غلة السنة الثانية ، فتوسع الناس بها وزال عنهم الغلاء ،وما كادوا يتالمون لحسن هذا التدبير .

وبلغ ميخائيل متملك الروم (٩) ما بمصر من الغلاء المذكور ، فراى لكثرة محبته في الدولة ان يحمل الى القاهرة مائة الف قفيز من الغلة وقدم كتابه وعين الغلة والكيل الذي تستوفى به عند وصولها ، وسيرها الى انطاكية ، واعد هدية الهدنة على العادة وهدية من ماله ، فضعّف هدية الهدنة . فلما راى الروم ذلك منه نفرت قلوبهم وظنوا به الميل الى الاسلام وقتلوه واقاموا بعده رجلا يعرف بابن سقلاروس(١٠) من اهل انطاكية ، وكان عسيرا لجوجا خبيث الطباع . فقبض على الهديتين وقال : انا انفق ثمنها على قتال المسلمين .

وكان للوزير عيون بالقسطنطينية فكتبوا اليه بذلك . فسير مكين الدولة ابن ملهم الى اللاذقية في عسكر ، فسار اليها وحاصرها .

ونودي في بلاد الشام بالغزو الى بلاد الروم . فلما اشتد الامر على اهل اللاذقية بعثوا إلى ابن سقلاروس بما هم فيه . فكتب إلى المستنصر يستوضح ما الذي اوجب ذلك ؟ ـ فكتب إليه بأن الذي فعله في نقض ما استقر مع من تقدمه من الهدنة وقبضة الهدية اوجب ذلك . فأجاب بأنه يحمل الهدية . فاشترط عليه إطلاق كل من في بلاده من الأسرى . فأجاب بأنه إذا أطلق من لهم في بلاد الاسلام من أسرى الروم ، أطلق من عنده من المسلمين . فأجيب بأنه لايصح التماسه لذلك : فإن من أسر من بلاد الروم تفرقوا في الممالك بالعراق والدولة الفاطمية والمغرب واليمن وغير ذلك ، ولا حكم للحضرة على جميع الممالك حتى يرتجع منها من صار في أيدي أهلها . وبلاد الروم بخلاف ذلك ، ومن حصل فيها من المسلمين كان كمن هو معتقل في دار واحدة لايمكنه الخروج منها إلا بإرادتهم ، وبين الحالين فرق كبير . فاجاب بإنه يطلق من في بلاده من أسرى المسلمين . فاشترط عليه مع ذلك النزول عما صار في أيدي الروم من الحصون الاسلامية ، فامتنع من ذلك وقال : إذا أسلم إلينا ما صار في أيدي المسلمين من حصون الروم ، سلم ما في أيديهم من حصون المسلمين . فثقل اليازوري الجيش بجيش أخر وقدم عليه الأمير السعيد ليث الدولة ففتحت اللاذقية . وأجيب ابن سقلاروس بأنه لايصح أن يسلم إليه ما صار في أيدي المسلمين من الحصون لأنهم قد ابتنوا فيها العمارات وانشأوا البساتين فلا يصح تسليمها اليهم . فإنه يصير المسلمون لهم ذمة ، فاجاب بأنه يدفع إليهم ثمن املاكهم وينقلهم إلى بلاد المسلمين . ثم اجابوا إلى تسليم ما في أيديهم من الحصون الاسلامية .

وكانت العادة جارية بأنه إذا وصلت هدية الروم أن تقوم في بيت المال ، وتحمل إليهم هدية قيمتها نحو الثلثين من هديتهم ليصير للاسلام مزية عليهم بالثلث . فاشترط الوزير على ابن سقلاروس ان تكون قيمة ما يحمل إليهم من الهدية عوضا عن قيمة هديتهم النصف من ذلك . فأجابوا إليه .

فاشترط الوزير ان يؤدي إليه جزية كل من تضمه دار البلاط ، التي هي دار الملك ومحل الملك ومكانه . فامتنع من ذلك . فثقل الجيش بجيش ثالث ، فأوغلوا في بلاد الروم يقتلون ويأسرون وينهبون ، فاشتدت بلية الروم ، وبعث ابن سقلاروس مكاتباته بالاذعان إلى القيام بالجزية عن دار البلاط ، وشرع في تجهيزها فبلغت نيفا وثلاثين الف دينار ، وحمل ذلك إلى انطاكية . فبلغه صرف الوزير اليازوري ، فأعيدت إلى القسطنطينية . وزينت بلاد الروم لموته وكثر فرحهم بما صرف عنهم من خشونة جانبه .

واتفق انه كان بالعراق رجل يعرف بأبي الحارث البساسيري صار اسبهسلار كبير القدر يبلغ اقطاعه نحو ثلاثين الف دينار ، فوقع بينه وبين الوزير رئيس الرؤساء ابي القاسم بن المسلمة وزير القائم بأمر الله العباسي في سنة سبع واربعين واربعمائة وعانده الى أن اخرجه من بغداد ، فقصد ديار بكر • وكاتب المستنصر ، وهو بأعمال حلب يرغب في الخدمة ويعرض نفسه ويستأذن في الوصول الى الحضرة ، وانه في ثلاثمائة غلام . فأخذ الوزير الكتاب وقبله احسن قبول. واستشار اهل الدولة في الاذن له، وكلهم اشار بذلك وان في قدومه ما يوجب مجيء غيره طمعا فيما ناله من الكرامة ، وفيه زيادة في عدد رجال الدولة . فلم يوافق على مجيئه وقال • هذا الرجل قد كان اقطاعه بالعراق ما يزيد على ثلاثين الف دينار ، ومعه اولاد مولاه الملك أبي طاهر بن كاليجار وغيرهم من اولاد الملوك ، واجلهم اقطاعه الف ومائتا دينار ، فإن اقتصر به على مثل ما لهم من الواجب لم يرض ، وإن زيد عليه كان قبيحا . وايضا فإنا لانطيق من عندنا اليوم من الاتراك ، فكيف اذا انضاف اليهم مثل هذه العدة؟ والصواب أن يبقى بحيث هو ، ونحسن اليه ونقيمه لمناصبة أعداء الدولة. فإن نهض بذلك كان الدفع للدولة والاسم لها. وإن قصر عنه كان ذلك برأسه.

واتفق وصول طغر لبك السلجوقي من خراسان بالغز الى بغداد في هذه السنة ، وللوزير بها أعين . فكتبوا اليه بوصوله وأنه مزمع

على المسير من بغداد الى بلاد الشام ليملكها كما ملك بغداد . فقلق من ذلك لعظم أمر طغر لبك ، وانه دوخ الممالك وقتل الملوك واحتوى عليها وانتشر صيته وكبر في نفوس الملوك شأنه ولم يبق له معاند يخافه .فرأى أن الحيلة أبلغ في مراده من دفعه عن البلاد بالاستعداد لكثرة ما معه من العساكر . وكتب اليه يهنئه بقدومه الى العراق ويبذل له من الخدمة ما يوفي على أمله ، وان أرض مصر كلها بحكمه وانه وإن كان مستخدما لدولة ويدعو اليها ، فإنه يعلم كثرة الاختلاف ممن يجاورها في نسبها واتفاق الكلمة ووقوع الاجماع على الرضى بالخليفة الصحيح النسب الصريح الحسب الهاشمي العباسي ، وانه لايمتنع من الاقرار له بذلك ـ وأعطاه صفقة يديه على مبايعته وتسليم الدولة اليه ، وانه قد اتصل به ازماع حضرته على التوجه الى الشام ، وانه اشفق من تسليمها اليه ان تطأها عساكره مع كثرتها وتجمعها فتخربها وتعفي اثارها . فإن رأى اعفاءها من وطء العساكر لها ووصول ركابها اليها على وجه الفرجة والنظر الى دمشق وحسنها ، فلها عالي رأيها.

فلما وقف طغر لبك على كتاب اليازوري قال . هذا كتاب رجل عاقل ، يجب أن يعتمد ما أشار به ـ وأذن للعساكر في العود الى بلادها . فمضى كل عسكر الى وطنه ، وقوض خيامه وضربها على الجانب الغربي يريد الشام . فكتب عيون الوزير اليه بذلك ، فقلق شديدا وكتب الى طغر لبك لا تغرنك الأماني والخدع بأن أسلم اليك اعمال الدولة واخون امانتي لمن غذاني فضله وغمرني احسانه وتتعين علي طاعته وموالاته . فإن كنت تسلم الي ما في يدك لصاحبك من بلاد العراق واعمالها ، سلمت اليك ما في يدي لصاحبي . والواجب أن تكون كلمة الاسلام مجموعة لابن بنت النبي ، الذي هو أولى بمكانه من غيره . وإن رغبت الى ما في الموادعة والمهادنة انتظمت الحال بين الدولتين وأمن الناس بينهما . فإن أبيت إلا الخلاف ونزع بك الهوى الى الظنون الفاسدة والأطماع الكاذبة ، فليس لك عندي إلا السيف . فإن شئت فأقدم ، وإن شئت فسر

فغاظ ذلك طغر لبك وقال . خدعني هـذا الفـلاح وسـخر مني ـ وكتب الى ابـراهيم ينال أخيه . رد إلي العسـكر مسرعا ـ فـأنفذ ابراهيم ليردهم فلم يرجع احد منهم وقالوا : فينا من بينه وبين وطنه شهران وثلاثة وخمسة ، وقد سرنا معه حتى وطـىء الأعمـال وملك البلاد وفتح المدن واحتوى عليها وفاز فيها ، ولم نحصل منه الا على التعب والنصب والخيبة . واذا كنا لم نصب في طول سفرنا خيرا فما عسى أن نؤمله اذا عدنا ؟ ـ ومضوا . هذا وقـد بـث اليازوري عيونه وجواسيسه في عسكر طغر لبك واستفسد اعيانهم والطفهـم واكثـر امانيهم ومواعيدهم ، وتوصل الى زوجة طغر لبك ، والى ابـي نصر منصور الكندري وزيره ، والى ابراهيم ينال أخيه وصاحب جيشه فمالوا اليه وتقاعسوا عن طغر لبك . ومـا كفـاه ذلك حتـى حمـل الخاتون زوج طغر لبك على قتله ، فقالت : امـا بيدي فـلا ، ولكني أتحيز عنه بغلماني ، وهم حمية عسكره ـ وكانت عدتهم نحـو اثني عشر الفا ـ وفي اعتزالي بهم عنه ضعف لجانبه . واعتزلت عن طغـر لبك بهم ، وكان ذلك سبب الظفر به .

ثم أن طغر لبك بعث في سنة خمسين واربعمائة الى سنجار الفين وخمسمائة من الغز الى البساسيري فقدمها وظفر بها وقتل جميعها وأفلت منهم نحو المائتي فـارس . فلم يقـاتل بعـدها رجـال الدولة الفاطمية ، وعاد عن بغداد ، فقـوي البسـاسيري وكثـف جمعـه . وقصد أعمال العراق يفتحها بلدا بلدا ، والوزير يمده بما يستعين بـه على ذلك من المال والراي والتدبير ، الى أن وصل الى بغداد وناصب القتال ، وقسم عسكره فرقتين ، فرقة تقاتل في النهار ،واخرى تقاتل من صلاة المغرب الى الفجر ، حتـى دخلهـا واقبـل يملك محـالها وشوارعها الى أن وصل دار الخلافة وحصرها ونصب عليها القتـال من كل جانب وفرق النقـابين في جميع جهـاتها . فلمـا أشرف على أخذها صعد القائم بأمر الله الى أعلى الدار واستشرف على الناس واقبل ينادي : يا أهل بغداد ! ـ ويحضهم على نصرتـه والدفـاع عن حوزته . واستذم من قريش بن بدران وطلب منه الأمـان ، فـأخذه ومنع منه البساسيري ، واسلمه الوزير ابـن المسـلمة . واسـتولى

البساسيري على دار الخلافة بما فيها وكسر منبر الجامع وقال : هذا منبر يعلن عليه ببغض آل محمد ـ وانشأ منبرا اخر وخطب عليه للمستنصر . ثم لف ابن المسلمة في جلد ثور وصلبه حتى جف عليه فمات . واقامت الخطبة للمستنصر اربعين جمعة ، والقائم معتقل في قلعة الحديثة عند مهارش نحو عشرة أشهر . وعزم اليازوري أن يحمل الى مهارش عشرة آلاف دينار ويستخلص الخليفة من يده ويحمله الى القاهرة على حال جميلة ، فاذا قرب منها تلقاه بأهل الدولة احسن لقاء وبالغ في اكرامه وانزله في القصر الغربي وحمل اليه ما يناسبه واقام له الراتب السني في كل يوم وجعل له مائة دينار في كل يوم وجعله يركب في موكب المستنصر بين يديه يحجبه . فاذا ركب بين يديه عدة ركبات وانتشر في الأقطار خبر هذا الحال ، خلع عليه وعقد له الوية الولاية للعراق وكتب عهده بتقليده اياه وسيره اليه واعاده الى مملكته وخلافته من قبله . فمنعه حادث القدر ، الذي حل به قبل ادراك ما في نفسه.

وكانت حلب قد تغلب عليها صالح بن مرداس من أمراء بني كلاب في أيام الظاهر لاعزاز دين الله علي بن الحاكم ، وكثف أمره ، الى أن ولي أمير الجيوش أنوش تكين الدزبري دمشق واعمال الشام فحاربه وقتله . فقام من بعده ابنه شبل الدولة ـ نصر فحاربه الدربزي وقتله ايضا ، وملك حلب واستخلف عليها من غلمانه رضي الدولة منجوكتين فأقام بها عدة سنين . فلما مات الدزبري تغلب على حلب ثمال بن صالح بن مرداس في وزارة الجرجرائي . فكتب اليه بولايتها وقرر عليه مالا يحمله في كل سنة . وتمادى الحال على ذلك الى أيام الوزير الناصر للدين ابي محمد اليازوري ، فلم يرض بذلك . وعلم أنه لايطيق صرفه ، فرجع الى عادته في اعمال الحيلة واستعمال الخديعة ، وبعث اليه بقاضي مدينة صور ، فساس الأمر مع ثمال واحكم التدبير فيما قرر معه ، ووعده ومناه حتى نزل من قلعة حلب وسلمها الى وال من قبل المستنصر ، وسار من حلب يريد القاهرة . فلما بلغ الى رفح بلغه القبض على اليازوري فقال :والله ـ اني أموت بحسرة نظرة الى من استلني من ذلك الملك

وأخرجني بلا رغبة ولا رهبة الا بحسن السياسة . ولو رام ذلك مني لتعذر عليه .

وكان له من المآثر المرضية والخلال والافعال الجميلة والأخلاق الرضية ما يتجمل الملوك بذكرها : منها انه كانت له مائدة يحضرها كل قاض وفقيه وأديب وجليل القدر ، فيجتمع عليها قريبا من عشرين نسمة . حدث القاضي عمدة الدولة ابن حميد قال : كنت أجلس على يساره . فاذا ازدحموا وكثر تضايقهم على المائدة ، جذبني اليه حتى يكاد ينحرف عن مجلسه . فاذكر يوما ونحن مجتمعون ، اذ استؤذن على الفقيه ابي عقبة ، فأمر بدخوله . فلما دخل لم يجد موضعا فجذبني اليه بحيث صرت اذا مددت يدي الى المائدة لا أرجعها الى فمي الا بكلفة ، خوفا أن أصيبه بها . فبينا أنا كذلك وقد مددت يدي ورجعتها ، وهو قد مد يده فلم أمهل حتى ترجع فأصاب مرفقي جؤجؤ(١١) صدره ، فورد علي أمر عظيم من ذلك ، وتأخرت وقبلت الأرض وقلت : قد بسطنا إنعام سيدنا الى حيث لانستحقه ، وأخرجنا الى سوء الأدب . ولو انعمت بنصب مائدة نجتمع عليها بحضرته لكان لنا في ذلك الشرف الأوفى والفخر والأسنى ، ولم ننته الى هذا الحد في سوء الأدب.

فقال : وما الذي أوجب قولك هذا حتى ذكرت ما ذكرت ؟ ولقد نكدت بايراده .

فقلت : ياسيدنا نسيء أدابنا فتغفر ونعترف بالخطأ فتذكره علينا ، ونعتذر عن ذلك فتلومنا عليه . فما ندري بماذا نقابل احسانك ، ولا بأي لسان نشكر تفضلك .

فقال : وما الذي كان حتى تحتاج الى كل هذا ؟ ـ واقبل يجذبني وانا انقبض ، حتى زاد تمكني باجتذابه لي فوق ما كنت عليه أولا ، وقرب كتفي من صدره ، وهو منطلق الوجه ظاهر البشر . وكان قبل ذلك اليوم يسمع حديثنا على المائدة ولايكاد يجيب لأنه كان كثير الصمت قليل الكلام لاتسمع منه الا اللفظ القليل عن الكلام الكثير . فأبتدأ ذلك اليوم يتحدث بما يستطاب حتى يزيل عني ما اعتراني من

الغم بما كان مني ، واقمت معه خمس عشرة سنة قبل وزارته ملازما له في المبيت والصباح ، فكنت اراعيه في حالاته كلها ليلا ونهارا فلا اراه يتغير علي منهـا شيء ، ولايتبين لي منه غضـب مـن رضى . فحدثت ابي بذلك فقال : يا بني ، اني لم اكن لأؤثر سماع ذلك منك ، فكيف سماع غيري له ؟ فلا تحدث به أحدا ، وتلطف في تأمل ذلك الى ان تقف عليه ، فانك اذا حدثت به نسـبت الى غلظ الطبـع وثخـانة الحس ، والبله .

فأقبلت أدقق التأمل له في حالتي غضبه ورضاه ، شهورا قبـل أن يتبين لي : فـكان اذا رضي اوردت وجنتـاه بحمـرة . واذا غضـب اصفرت محاجر عينيه . فعرفت ابي بذلك فقال : يا بني، هذا غاية في سكون النفس وصحة الطباع واعتدال المزاج.

وكانت طبائعه قريبة من الاعتدال ، فاذا احس بميل طباعه عمـا يعهده ، أخذ في اصلاحه حتى تعود الى الاستقامة.
وحدثت بعض من كانت تقوم بخدمته من النساء قالت : كنت اتـولى صلا ح ما يشربه من الدواء في كل يوم، وكان لايعـطل شربـه يومـا واحدا .

وذلك انه كان يشرب السكنجبين والورد أسبوعا ، ثم يريح نفسه ثلاثة أيام ، ثـم يشرب النقـوع المغلي في الشـتاء ، والمنجـم في الصيف ، أسبوعا لكل منهمـا ، ويشرب مـاء البـزور أسـبوعا ويشرب ماء الجبن ثلاثة أيام ، ويشرب ماء البقل أسبوعا ، ثـم يشرب الراو ند المنقوع كذلك ، ويريح نفسه بين كل دواءين ثلاثة أيام ولا يخل بذلك في صيف ولاشتاء .

وكان ندي الوجه كثير الحياء لايكاد يرفع طرفه الا لضرورة . ولم يسمع منه قط في سؤال لفظة «لا» ، بل كان اذا سئل فيما يرى اجابة سؤاله اليه يقول «نعم» بإخفاض من طرفه وخفوت من صوته . فإذا سئل فيما لايرى الاجابة اليه يطـرق ولايرفـع بصره . وعرف هـذا منه ، وكان لايراجع فيه الا بعد مدة .

وكان كل من يحضر مائدته يستدعي منه الحضور بين يديه ليلا ليسمروا عنده ، وكان فيهم من يشرب المسكر ، فإذا حضروا عرف كل منهم مجلسه الذي تقرر له . وكان كل من لايشرب النبيذ يجلس عن يمينه ، ومن يستعمله يجلس عن يساره ، وتوضع بين يدي كل منهم الفواكه الرطبة واليابسة ، ويتفرد من لايشرب بحلاوة توضع بين يديه ، ومن يشرب يعمل بين يديه ما يستعمله ، وستارة الغناء مضروبة . فيجلسون بين يديه ، وهو مشغول يوقع ، وهم يتحدثون همسا وإشارة ، الى أن ينقضي اربه من التواقيع ، فيسند ظهره وينشطهم للحديث فيتحدثون . ويقول لمن عن يمينه : قد تجدد اليوم كذا وكذا ، فما عندكم فيه ؟ ـ فيقولون : سعادة حضرة سيدنا تمهد له صواب الآراء ، وقد خصها الله تعالى من ذلك بما لاتهتدي عبيدها اليه .

فيقول : بل يقول كل منكم ما عنده في ذلك ، ولايقوم في نفس واحد منكم أن ما راه خطأ فيمسك عن ذكره ، فربما كان الصواب مقرونا بذلك الراي وهو ضالة تصيب من لم تجر عادته بإنعام الفكرة فيه .

فيصقع أحدهم ويقول : الذي يراه العبد على وجه الخدمة كذا وكذا فلا يزال يسمع من واحد واحد حتى يستكمل الجماعة . ثم يعطف على شماله فيقول : قولوا ! ـ فيفعلون كفعل الأولين ، وهو يسمع ولا يرد على احد شيئا ، فلا يصوب المصيب ولايخطى المخطى ، ويبيت يضرب الآراء بعضها ببعض حتى يتمحض له الصواب ، ويصبح يرمي فلا يخطئ . وهكذا كانت افعاله طول مدته ، لم يستبد قط برايه ولاانف من المشورة ، بل يقول: المستبد برايه واقف على مداحض الزلل ، وفي الاستشارة حل عقول الرجال .

وبهذا العقل تم له ماكان يدبره حتى اثر في جميع ما رامه من أطراف الدنيا آثارا بقي ذكرها دهرا طويلا .

وأراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس

بينهما . فتقدم الى أصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه ، وما عليه من النفقات فعمل ذلك وتسلمه متولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين ، فنظم عليه عملا جامعا واختصره أيام (دولته)فجاء ارتفاع الدولة الفي الف دينار ، منها الشام : الف الف دينار ونفقاته بازاء ارتفاعه ،ومنها الريف وباقي الدولة : الف الف دينار ، يقف منها عن مغلول وينكسر عن موتى وهراب ومفقود ابواب : مائتا الف دينار وتبقى ثمانمائة الف دينار ، ينصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلاثمائة الف دينار ، وعن ثمن الغلة للقصور : مائة الف دينار، وعن نفقات القصور مائتا الف دينار . وعن عمائر ، وما يقام للضيوف الواصلين ، من الملوك وغيرهم ، مائة الف دينار ، ويبقى بعد ذلك مائتا الف دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون ، فحظي بذلك عند الخليفة ، وتمكن منه ، وارتفع قدره عنده . وكانت الدولة طول نظره في عرس ، لتوالي الفتوحات في ايامه وعمارة الأعمال بحسن تدبيره واستخدام الكفاة فيها بجودة اختياره .

وكان المستنصر يحضر عنده في كل يوم جمعة ويبيت عنده في لذة ومسرة ، فيحضر اليه من التحف والطرف والغرائب ما لايكاد يقدر عليه غيره . فاستمر على ذلك ثماني سنين . فكثر الحاسد له على ما يتأتى له من السعادة وتعينه عليه الأقدار . واستطال حساده مدته فابتغوا له الغوائل ونصبوا له الحبائل ، وركبوا عليه المناصب حتى كان هلاكه بأقل الناس قدرا وأحقرهم ، وأدناهم منزلة وأضعفهم قدرة ، وهم من أطراف الخدام ، ليبين الله اياته للناس ليعلموا أن الله على كل شي قدير : وذلك ان اثنين من أطراف المستخدمين ، أحدهما خادم يعرف بفرج المغراوي كان في حاشيته ، والآخر خازن في بيت المال يتولى خزانة الفرش يعرف بتنا ، تمحلوا له الأباطيل ونمقوا الأحاديث وزخرفوا القول وحكوا انه نقل الأموال الى الشام في التوابيت وفي شمع سبكه ، وانفذه الى القدس والى الجليل ، وانه قد عول على الهرب الى بغداد . فصدق

ذلك وقبض عليه بغير ذنب الا الملل والحسد الذي جـرت عادة الملوك به . وان مللهم بغير علة وحسدهم على تظافر من ينعمون عليه بمـا يصير في يديه ليتجمل به ، فيكون ذلك سبب حسدهم ومللهم .

واتفق ان المستنصر التمس من صفي الملك ولد الوزير عمل دعوة يدعوه اليها ، فدافعه عن ذلك ، استعظاما لحضوره عنده . فـأقام مدة حتى بعثه الوزير الناصر للدين على تكلف عملها ، فـاهتم لذلك وصنع ما يليق إعداده . وتقـرر الحـال على يوم . فلمـا تهيأ ذلك حضر صفي الملك الى ابيه وأعلمه بإنجاز ما يحتاج اليه ، فصار معه الى الدار بخواصه فرأى ما تقصر عنه كل صفة مـن ذلك انه فرش مجلسين بديباج بياض كله وفيه جامات كبـار حمـر بنقـوش كأجل من الأعدال ، وفي كل مجلس ثلاث مراتب وبساط ملء المجلس وسرادقين ـ يعني : سـتارتين ـ وحجلتين للصـدر ـ يعني شخاندتين ـ وكل مرتبة ثماني قطع ، ثمن ذلك خمسة الاف دينار .

فأقبل كل من حضر يبالغ في صفته ، الا ابـن حميد فـانه صـار ساكتا فلحظه الوزير . وطـاف المجـالس واسـتعرض كل مـا أعده ، وهو يقول : يزاد لههنا كذا ، ويترك هنا كذا ـ ثم عدل الى بيت الطهارة فدخله ، وقد أعد في دهليزه من الفرش والآلات والطيب وفي داخله من الفواكه والمشمومات كل مستحسن .

واستدعى ابن حميد منفردا ، وجلس في دهليزه وقال : ياعمـدة الملوك ما لي لم اسمعك تؤمن على ما قالته الجماعة ؟

فاعتل بما لم يقبله الوزير ، والزمه أن يصدقه فقال : ياسـيدنا عندي احد رأيين : إما أن تـأمر بإزالة لهـذه الفـرش ونصـب غيرها مما هو مستعمل ، أو تحمله الى الخليفة اذا انقضى جلوسـه عليه .

فقال : وما هو هذا ؟ اليس هو مما انعـم بـه وصـار الي مـن فضله ؟ وما قدره حتى تمتد عينه اليه وتتطلع نفسه له ؟ أما إزالتـه ونصب غيره ، فما كنت لأكسر نفس هذا الصـبي . وإن امـرت بإزالته حزن وانكسرت نفسه ـ وقام

فحضر المستنصر واقام يومه في الدار ، وأحضر اليه ما اعد له من الطرف . وركب اخر النهار وعاد الى قصره . وحضر خواص الوزير عنده على عادتهم . فانفرد بابن حميد وقال له : ياعمدة الدولة ، والله ما اخطأ حزرك فيما قلته بالأمس : منذ دخل الخليفة الى الدار الى ان خرج لم يطرف طرفة عن تأمل الفرش ، فاذا وجهت طرفي نحوه اطرق وتشاغل .

فقال : ياسيدي ، اذ فات الأمر الأول ، فلا يفوت الثاني .
فقال: والله لافعلت ، ولاغممت صفي الملك بحرمانه اياه !

واتفق ايضا ان ابن حميد دخل على الوزير في يوم بكرة ، وقد قدمت الدابة الى باب المجلس ، فخرج ليركب ، وعليه ثوب اسمر اللون مليح السمرة . فدنا منه ليصلح ثيابه لما ركب ، وجعل يلمس الثوب . فسار الوزير وعاد . فلما انقضت المائدة قال لابن حميد قد لحظتك اليوم تنظر الثوب الذي كان علي ، فعجبت من ذلك فلما مثلت بحضرة مولانا كنت بحيث جرت العادة . فأقبل يتأمل الثوب ، ولم يزل يزحف من الدست حتى قرب مني فتغافلت عنه ، ولحظته وقد مد يده الى الثوب ليلمسه ، فقلت في نفسي : زال عجبي من عمدة الدولة اذا كان الخليفة على هذه الصفة ، وهو ثوب ملحم خراساني .

فقال : الملوك اذا انعموا على أحد ممن في دولتهم نعمة وتظاهر بها ، استحال الاحسان والاصطناع حسدا ومللا .

وكان الوزير شريف الأخلاق ، عالي الهمة ، كريم الطباع ، وطيء الأكناف ، مستحكم الحلم ، واسع الصدر ، ندي الوجه ، يستقل الكثير ويستصغر كل كبير . فكان راتب مائدته في كل يوم كموائد الملوك في الأعياد والولائم . وكان لايبتاع لمطبخه من الطير ماهو معرق ، ولامصدر ، وسعر المعرق ستة اطيار بدينار ، والمصدر اربعة بدينار ، والمسمن ثلاثة بدينار ، والفائق اثنان بدينار ، فيعمل المسمن لداره ومن فيها ، واما مائدته فلا يقدم عليها الا الفائق .

فاتفق حدوث الغلاء في سنة سبع واربعين واربعمائة ، وصار الخبز طرفة من الطرف لقلته وغلاء السعر من قصور الذيل ، والمستنصر يحضر دار الوزير في كل يوم ثلاثاء على عادته ، وتقدم اليه المائدة ، فيراعي حالها فيجدها على ما يعهد لم يختل منها شيء، حتى الدجاج الفائق . فقال لصاحب مطبخه : ويلك ! يكون راتب مائدة الوزير الدجاج الفائق ومائدتي دون ذلك ؟

فقال : يامولانا ، ما ذنبي اذا قصر بك اصحاب دواوينك ومطابخك ولم (يطلقوا لمائدتك ما التمسه منهم ؟ والوزير ، فلا يتجاسر وكلاؤه أن) (١٢) يقصروا في شيء مما جرت به العادة في راتب مائدته وغيرها ، مع تقدمه اليهم في كل يوم بالزيادة فيها وفي راتب داره.

وكان الوزير ايضا اذا اعطى هنأ ، واذا انعم على انسان اسبغ ، واذا اصطنع احدا رفعه الى ما تقصر عنه الآمال والأماني. مع عظيم الصدقة وجزيل البر الذي عم به اهل البيوتات بما اقامه لهم من المشاهرات على مقاديرهم ، والأشراف سكان المنامة ، والفقراء واهل الستر بالقرافة بما يواصلهم به من البر والكسى ، ويجري ذلك على يد ابن عصفور احد الشهود بمصر ووكيل السيدة الوالدة ، فكانوا يظنون ان ذلك من انعامها وبرها او من انعام المستنصر . فلما قتل الوزير انقطع عنهم ما كان يصل اليهم من بره ، فاستنصروا بذلك (الوكيل) وواصلوا الخطاب فيه وقالوا : قد جفينا من مولانا ومولاتنا وانقطع برهما عنا ، فلو اذكرتهما بنا ؟ ـ واكثروا من ذلك على ابن عصفور . فقال لهم: الذي كنتم ترون ماكان ليجيئكم حتى يبعث الله ناصر دين آخر ! فحينئذ يأتيكم منه ماكان يصلكم به .

فقالوا : نحن التمسنا من مولانا ومولاتنا ، ولم نلتمس من ناصر الدين ، فقال : ما كان يجيئكم ذلك الا من الوزير ، فان بعثه الله لكم فعساه يبركم بما كان يبركم به ، فعجبوا من ذلك ،

واكثروا من الترحم عليه .

ولما تظافر الغلامان على الوزير حتى تم من القبض عليه ماتم ، لم يشعر مستهل المحرم سنة خمسين واربعمائة الا وقد قبض عليه فكتب رقعة الى ابي فرج البابلي ، لموضع تقدمته له ، وبما احسن به اليه وانعم عليه ، وانه هو الذي رفعه على جميع اصحاب الدواوين ، واستخلصه دونهم ، وظن انه يجازيه على ما صنع اليه ، ويفي له فخاب ظنه ، ونص الرقعة بعد البسمله : عرفنا يا أبا الفرج ، أطال الله بقاءك وادام عزك ، تغير الراي فينا ، وسوء النية والطوية فان يكن هذا الأمر صائر اليك ، فاحفظ الصحبة وار ع واجب الحرمة . وان يكن صائرا الى غيرك فابتغ لنفسك نفقا في الأرض . على اناننشير عليك اذا دعيت اليه الا تتأبى عنه ، فانه اصلح لك واعود علينا ، والسلام .

فدعي البابلي واستقر في الوزارة بعد اليازوري ، فتجرد لمقابلة احسان مصطنعه بكل قبيح ، وذكره في مجالسه بما لايستحقه منه . وكانت هذه الرقعة اعظم ذنوبه عنده ، فكان يقول . يخاطبني وهو على شفير القبر بنون العظمة ! ـ ولايذكره الا بالسفيلة والسقائط

ولم يقنعه كونه في الاعتقال بمصر حتى نفاه الى تنيس في صفر هو واولاده ونساؤه وحاشيته ، فاعتقلوا بها . وشرع في التدبير على قتله خوفا من الرضى عنه .

فحدث عظيم الدولة متولي الستر قال : كنت في جملة الصقالبة الموكلين على الناصر ثم على البابلي بعده ، فكنت ارى من رئاسة الناصر ـ على شبيبته ـ ورجاحته ، وسكون جاشه ، ومن طيش البابلي وخفته ونقصه ، ما اعجب منه . وهو أني لماكنت موكلا بالناصر ، كنت اراه ملازما بالعتبة بباب المجلس في القاعة لايتغير مكانه ، وكان البابلي يتعلى عليه ويراسله بما يمض ويوصينا اذا مضينا اليه بالجلب على فتح الباب والاكثار من قلقلته عند الفتح ، لنرعبه بذلك ، فوالله ما يكترث اليه ولا ينزعج . واذا دخل

اليه تذكار متولي الستر يكون جلوسه منه في الاعتقال كجلوسه منه في وقت وزارته ، ويخاطبه بما يرضى به فيجيبه عنه بسكون وهدوء كأنه في الدست جالسا . فأذكر وقد دخل اليه يوما فجلس ونحن وقوف بين أيديهما أكثر من ثلاثين صقلبيا ، فأدى إليه ما أوصاه البابلي به ، وأجابه عنه . فنهض ولبس نعله وقال له. يا سيدي ، صرفتني عن الستر بغير ذنب ثم أعدتني إليه بغير مسألة . فما كان معناك في ذلك ؟

فرفع طرفه إليه كأنه والله يخاطبه من دست الوزارة وقال له: كان صرفك في الأول برأيي واختياري . ثم أعدتك كذلك برأيي لما عرفته من ميل مولانا إلى أستخدامك .

فخرج تذكار وهو يقول : انظروا إلى هذا الرجل في سكون جأشه وقلة احتفاله في الجواب مع حاجته إلي في مثل هذا الوقت الذي تحقق قدرتي على الاحسان إليه فيه وعلى الاساءة . فوالله ما خاطبته إلا وأنا أظن أنه سيجيء بما يمهد عندي عذره فيه ، فلم يكن منه غير ما سمعتوه . ووالله ما أجد سبيلا إلى مقابلته بغير الجميل ، لما كنت أشاهد من أفعاله وجميل سيرته .

وكان أكثر وقته صائما ، ولا يكاد يفطر إلا أقله ،ذاك ، وهوكثير التلاوة ، ولا يسأل عن شيء من طعام ولا شراب .وكنت من حاله عجبا .

كان في حال وزارته كثير الصمت ، مواصل الاطراق ، شديد سكون النفس ، هادىء الطبائع .فكنا نحمل ذلك منه على التيه والصلف والاعجاب وقلة احتفاله بالناس .فلما صار في حالة القبض والخوف كانت حاله على مثل ما كنا نشاهده منه ونتهمه فيه .

وأخذ البابلي كلما حضر بين يدي المستنصر يكثر التثريب على اليازوري ، إلى أن كان اليوم الذي شغبت عليه الأتراك ووطئوا دراعته . فإنه لما دخل على المستنصر قال: يا أمير المؤمنين ، إنه لا ينفذ لك أمر ، ولا يتم لي نظر ، وهذا الكليب في قيد الحياة .

فقال: ومن هو هذا الكليب ؟
فقال: الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري .
فقال : أيها الوزير ، أعلم أني لم أصرف اليازوري عن خدمتنا ولنا في إعادته رغبة . فطب نفسا ودع ذكره ، فأنت أمن مما تخافه من جهته .

فقال : والله ، إن هذا لعجب فيمن حسن متابك ، يا أمير المؤمنين ، عنه ، مع قبيح فعله وماهم به من قتلك ، حتى إن السقية أقامت تدور في قصرك أسبوعا كاملا .
(فقال : أيها الوزير ، أقامت السقية تدور علي في قصري أسبوعا كاملا ؟) (١٣) .
قال : نعم.

فأطرق متعجبا وبقي متفكرا وأمسك . فظن البابلي بإمساك الخليفة أنه راض مما يفعله مع اليازوري ، وخرج ، واستدعى طاهرا كاتب السر وسيره لقتله . فنمى الخبر إلى أم المستنصر وقالت : أنت يا مولانا أمرت البابلي بقتل اليازوري ؟
فقال : لا.
قالت : قد سير طاهرا ابن غلام رشيد لقتله .

فاستدعى المستنصر سعيد السعداء وأنفذه إلى البابلي وقال: قل له : لم نأمرك بقتله ، فأنفذ من يعيد طاهرا ويمنعه من النفوذ .
فالفاه سعيد السعداء في الحمام ، فأعتذر إليه. فقال : لابد من الدخول إليك! ـ ودخل وأدى الرسالة إليه. فقال : نعم ، هوذا أخرج وأسير من يعيده .

وطول في الحمام. ثم خرج ، فإلى أن يكتب الكتاب ويسير النجاب ، جد طاهر في السير ووصل قبله إلى تنيس . فلم يدخل النجاب حتى نفذ الحكم في اليازوري . وذلك أن طاهرا لما وصل دفع كتاب البابلي إلى الأمير جمال الدولة صبح والي تنيس وفيه . إنا قد سيرنا طاهرا فيما أنت تقف عليه من جهته ، فتثبت منه فيه وتحضر معه لانجازه وتحذر من تأخيره من اليوم إلى غد .

فقال: وما الذي وصلت فيه ؟

فأخرج تذكرة بخط البابلي فيها : إذا وصلت يا طاهر أعزك الله ، إلى تنيس ، وقد شقيت ولهثت من العطش ، فلا تبل ريقك بقطرة دون أن تحضر حسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري إلى دار الخدمة وتمضي حكم السيف فيه . فقد كتبنا إلى الأمير جمال الدولة بمعونتك على ما تستدعيه من ذلك ، فقدمه ولا تؤخره إن شاء الله.

فقال له الوالي : أنت خليفة صاحب الستر ، ومرسل من جهة السلطان ، والأمر الذي وصلت فيه ممتثل . فأمض الحكم فيه .

فقال : بحضورك.

قال : وما معنى حضوري إذا بلغت غرضك فيما وصلت فيه ؟

فقال : لا بد من حضورك!

وأنفذ من أحضر اليازوري من الدار التي أعتقل به . فلما حضر أجلس على مصطبة بباب الدهليز ، وطاهر على مقابلته في مصطبة ، والصقالبة والسعدية خدام الستر وقوف ، والسياف قائم .وقال طاهر : ياحسن ، يقول لك مولانا : أين أموالي ؟

فلم يجبه ولم يرفع طرفه اليه. فقال له: لك أخاطب ياحسن بن علي بن عبد الرحمن. يقول لك أمير المؤمنين: أين أموالي؟ فلم يجبه ورفه طرفه ونظر الى طاهر والى الجماعة القيام وقال لطاهر: يا كلب تجيء وهذا معك ـ وأشار الى حيدرة السياف ـ وتسألني بعد ذلك ؟ ولكن قل له: يا مولانا ، قبض علي وأنا آمن على نفسي فإن كان عندي مال ، فقد وجدته في داري. وكتب داعيك وثقتك المؤيد في الدين في القمطرة الفلانية تشهد بذكر مالك أين هو.

فأشار طاهر إلى الذين معه فأخذوا اليازوري وضربت عنقه في الحال . وسار لوقته عائدا ، ومعه رأس اليازوري ، الى القاهرة ، فبلغ ذلك المستنصر فاغتم لقتله ، وحقد على البابلي حتى صرفه . وكان قتله في ليلة الثاني والعشرين من صفر سنة خمسين

واربعمائة . والقيت جثته على مزبلة إلى ان ورد امر المستنصر بعد ثلاثة ايام بتكفينه وتجهيزه والصلاة عليه . فغسل في مسجد وحنط بحنوط كثير وكافور ، وحمل بين العشاءين ومعه المشاعل ودفن .ثم حضر صقلبي بعد ذلك ومعه الرأس فدفنت معه في القبر .

ولم يتمكن احد في الدولة المصرية بعد الوزير يعقوب بن كلس تمكن اليازوري .وحكي انه حج في صباه .فلما زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم نام في الحجرة النبوية ، فسقط عليه شيء من الخلوق الملطخ بحائط الحجرة . فأتاه بعض خدام الحجرة وأيقظه وقال له : أيها الرجل ، إنك ستلي ولاية عظيمة . وقد بشرتك ، ولي منك الحباء والكرامة .

فصار إلى ما صار حتى إنه سأل المستنصر بالله ان يكتب اسمه على سكة الذهب والفضة فأذن له في ذلك . وطبعت باسمه نحو شهر ثم بطلت . وأمر المستنصر الا يسطر هذا في السير . وكانت صفة سكته :

ضربت في دولة ال الهدى
من آل طه وال ياسين
مستنصر بالله جل اسمه
وعبده الناصر للدين

في سنة كذا

ومن طريف التخلصات في المكاتبة ما وقع له ، وهو ان العالي بالله إدريس ابن المعتلي بالله يحيى بن الناصر علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب صاحب الأندلس كتب إلى المستنصر بالله من مدينة مالقة مكاتبة فيها :« من امير المؤمنين العالي بالله إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله ».

فعيب عليه بمصر قلة تصوره ومعرفته بأنه لا يجوز أن يكون امير

المؤمنين في زمان واحد إلا واحدا . ثم الجأت الضرورة إلى مـكاتبته بنحو ما كتب ، وكان اليازوري إذ ذاك في الوزارة وتدبير أمور مصر فقال : انا اخلص لكم هذه القضـية واعلقهـا بمعنى دقيق لا يبين للمكاتب ـ وكان صـاحب حيل ـ فـكتب إليه . مـن امير المؤمنين المستنصر بالله معد إلى العالي بالله أمير المؤمنين بمالقة.

obeikandl.com

الحسن بن عمار الكلبي

(من المقفى للمقريزي ـ مجلدة برتو باشا)

الحسن بن عمار بن علي بن أبي الحسين ـ واسمه محمد بن الفضل بن يعقوب أمين الدولة أبو محمد الكلبي ، أحمد شيوخ كتامة كان أبوه في خدمة الامام القائم بأمر الله ابي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي ، فبعثه على رجال كتامة الى تونس في فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد الذكاري ، وقد سبقه اليها مسنويه بن بكر الهواري من قبل ابي يزيد ، ودخلها في عاشر صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، فقتل وسبى وهدم الدور ، ولقي عمارا فقاتله وهزمه عمار وتبعه الى تونس وقتل كثيرا من أصحابه وأخذ ثلاثة آلاف جمل تحمل طعاما وغيره ، وعاد الى القائم بالمهدية ، فأمره أن يقيم بسوسة. ثم مات القائم ، وكان مع ابنه المنصور بالله ابي الطاهر اسماعيل حتى مات وقام من بعده ولده المعز أبو تميم معد. فسار من قبل أخيه الحسن بن علي متولي صقلية على اسطول الى بلاد الروم وعاد ، فخرجت عليه ريح شديدة بالقرب من صقلية فعطب الاسطول بأسره وغرق القائد في يوم الجمعة لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ودفن من الغد بصقلية.

ثم إن الحسن بن علي افتتح في سنة اثنتين وخمسين قلاعا بجزيرة صقلية ونزل على قلعة رمطة فحار بها فطال عليه أمرها فرجع إلى جزيرة صقلية وترك على رمطة ابن اخيه ابا محمد الحسن ابن عمار صاحب الترجمة ، فأقام عليها وطال مقامه . واستغاث الروم بصاحب القسطنطينية. فوجه إليهم عسكرا في البر وعسكرا في البحر ، والتقى ابن عمار مع مقدمة الروم في نصف شوال منها بشرذمة يسيرة فرزقه الله الظفر وقتل قائد الروم صاحب عسكر البر

وأسر صاحب عسكر البحر ، وانهزمت عساكرهم فتبعهم المسلمون فحزوا منهم عشرة آلاف رأس ، وغرق منهم في البحر خلق كثير. وكان في طريقهم خرق عميق في الأرض فحال بينهم وبين رؤيته الغبار فتواقعوا فيه وقت الهزيمة وسقط الخيل والرجال وصار بعضهم على بعض فهلك فيه من الروم خلق لايحصيهم إلا الله فماتوا كلهم ، وأسر منهم بعد هذا كله ألفا أسير فيهم مائة بطريق . وأخذ من أموالهم وسلاحهم وكراعهم ما يقصر عنه الوصف . ونزل من قلعة رمطة نحو ألف علج خوفا وجزعا.

وأقام الحسن بن عمار محاصرا لها ، ووجه بالقائد والبطارقة والرؤوس وكتاب الفتح إلى مدينة صقلية ، فخرج إليهم الحسن بن علي بالعدة والعساكر فتلقاهم فرأى ما سره وفرح بذلك فرحا شديدا ، ثم انصرف فاعتل من إفراط الفرح بحمى حادة ومات بعد ذلك بسبعة أيام لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة. وفتح الله قلعة رمطة على يد الحسن بن عمار لثلاث بقين منه ، فقتل جميع من كان بها من الرجال وسبى النساء ، واستولى على جميع ما فيها من نعمة ومتاع وغير ذلك.ثم قدم من صقلية على المعز في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بالمهدية ، فخرج معه لحرب أبي خزر يعلى الزناتي الثائر.

ثم عاد فبعثه في يوم الثلاثاء لتسع خلون من شوال سنة تسع وخمسين (وثلاثمائة) على الأسطول إلى مصر. فانتهى إلى طرابلس . وأقلع منها يوم الخمسين لثمان بقين من شوال سنة ستين وثلاثمائة. ثم قدم إلى القاهرة يوم الاثنين رابع ربيع الأول سنة إحدى وستين ، ثم لما قدم الأسطول في ذي القعدة من المغرب خرج عليه ابن عمار في ذي الحجة وسار إلى تنيس ولقي اسطول القرامطة فأخذ منه سبع قطع وأسر خمسمائة رجل.

ثم سار في رجب سنة إثنتين وستين إلى الحوف على عشرة آلاف فواقع القرامطة.

ومازال بالقاهرة بقية أيام العزيز ، ولما احتضر العزيز بالله

بمدينة بلبيس استدعى القاضي محمد بن النعمان والحسن بن عمار هذا واوصاهما بولده ابي علي المنصور ومات. فأقيم في الخلافة بعده ابو علي ولقب بالحاكم وسار إلى القاهرة وسنه إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر . فأنفق في المغاربة وكتامة وشرطوا أن لا ينظر في أمورهم إلا ابن عمار. وذلك انه اعطى لكل واحد من شيوخ كتامة لما انفق فيهم من خمسة الاف دينار الى ما دونها ، واعطى شبابهم على اقدارهم . وكان العزيز قد غضب عليهم لخذلانهم القائد جوهر في نوبة هفتكين وعرف الوزير يعقوب بن كلس ذلك فاطرحهم حتى ضاعوا وساءت حالاتهم وتفرق كثير منهم في الصناعات . فتنبه ابن عمار (إلى) حالهم فاجتمع شيوخ كتامة عند المصلى خارج القاهرة ، وقد خالفوا على الحاكم . فخرج إليهم ابن عمار وما زال بهم حتى احضرهم إلى القصر وقرر لهم ما ارضاهم به وانفق فيهم ، وحلف للحاكم ثم حلفهم وحلف عليه الحاكم بأمر الله في يوم الثالث من شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة . وقلده سيفا من سيوف العزيز بالله وحمله على فرس بسرج من ذهب ، وكناه ، ولقبه « امين الدولة ». وقال له: « انت اميني على دولتي ورجالي ». وقاد بين يديه عدة خيول ، وحمل معه خمسين ثوبا من سائر البز الرفيع . ونزل من القصر إلى داره في موكب عظيم. وقرأ سجله قاضي القضاة محمد بن النعمان بجامع مصر في خامسه . فاستكتب ابا عبد الله (...) الموصلي واستخلفه على اخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم. والزم سائر الناس بالترجل له فترجل كل رئيس في طائفته . وقرر لكتامة سبعة أعطية في السنة وانفق فيهم وحمل رجالاتهم ـ وهم نحو الألف ـ على دواب الاصطبل التي خلفها العزيز ، ولم يترك احدا من الشيوخ حتى حمله على الفرس والفرسين بالمراكب الحسنة من خزائن القصر.

وسير سلمان بن جعفر بن فلاح إلى الشام على عسكر ، وخلع عليه ، وقلده سيفا مذهبا ، وحمله على فرس ، وقاد بين يديه اربعة افراس بمراكبها ، وانعم عليه إنعاما زائدا ، وانفق في المغاربة السائرين معه ، وبعث إليه بخزانة مال على ثمانية وستين بغلا فيها

اربعمائة الف دينار وسبعمائة الف درهم ، وبعث إليه بستة واربعين حملا من السلاح وعشر جمازات عليها الدروع وست قباب بفرشها واجلتها ومناطقها وسائر آلاتها ، وست جمازات بجنب الة الديباج الملون وثلاثين جمازة بأجلة وعشرة أفراس وثلاث بغلات بمراكبها ، ومنديل يحمله خادم فيه ثياب من ثياب العزيز وسيف من سيوفه.

وصار ابن عمار ينزل ويركب من باب الحجرة التي فيها الحاكم فيشق القصر راكبا ، والزم سائر الناس بالتبكير إلى داره ، وكانوا يزدحمون على بابه وفي دهاليزه ، وبابه مغلق . ثم يفتح بعد حين فيدخل الأعيان إلى قاعة الدار ويجلسون على حصير ، وهو جالس في مجلسه لا يدخل إليه أحد مقدار ساعة . ثم يأذن للأعيان كالقاضي ووجوه كتامة القواد فيدخل أكابرهم .ثم يؤذن لسائر الناس فيزدحمون ولا يقدر أحد على الوصول إليه ، فمنهم من يومىء إلى تقبيل الأرض ، وهو مع ذلك لا يرد السلام على أحد.

فإذا خرج لا يتمكن من تقبيل يده إلا قوم بأعيانهم . وباقي الناس يقبل بعضهم الركاب ، وبعضهم يومىء إلى تقبيل الأرض .

وانفد ما في الأصطبلات من الخيول فأنعم على كتامة بألفين وخمسمائة فرس ، وأخرج للحملان والقود شيئا كثيرا ، وحمل من الخيل والبغال والنوق لسلمان بن فلاح زيادة على الف راس ، وباع من الخيل والبغال والنجب والحمير ما يتجاوز الوصف حتى بيعت الناقة بستة دنانير .وقطع أكثر الرسوم التي كانت تطلق للأولياء من الأتراك وغيرهم .وقطع أكثر ما كان من المطابخ واقتصر على البعض .وقطع أرزاق جماعة من أصحاب الراتب ، وفرق كثيرا من جواري القصر على الناس ، وكان فيه من الجواري والخدم عشرة الاف جارية وخادم ، فباع من اختار البيع وأعتق من سأل العتق ، كل ذلك طلبا للتوفير .

وحمل إلى سلمان بن فلاح جل رحل العزيز وامتعته ،واصطنع احداث المغاربة ، فكثر عبثهم وامتدت أيديهم إلى أخذ الحرم من

الطرقات ، وسلبوا الناس في الشوارع وغيرهـا .فـكثرت شـكاية الناس منهم فلم يشكهم . ثم إنه فرط في الأمر حتى تعرضوا لغلمان الأتراك يريدون أخذ ثيابهم .فثار بسبب هذا شر قتل فيه واحد مـن المغاربة وغلام من الأتراك .فـاجتمع شـيوخ الطـائفتين وصـاروا أحزابا .فقام ابن عمار في نصرة المغـاربة ، ووقعـت الحـرب بين الفريقين ، وقتل جماعة منهما .فانطلقت الألسـنة مـن كل منهمـا بالقبيح في حق الآخـر ، واقـاموا على المصـاف يوم الثـلاثاء ويوم الأربعاء تاسع شعبان فركب بينهمـا ابـن عمـار يوم الخميس بآلة الحرب وحفت به المغاربة .وتجمعت الأتراك ، وكانت بينهما وقـائع قتل فيها عدة رجال وجرح كثير ، وجمعـت الرؤوس بين يدي ابـن عمار .فأنكر ذلك وعرف أنه أخطأ في ركوبه ، فعاد إلى داره .

ونزل إليه برجوان ليصلح بينه وبين الأتراك .فعندمـا دخـل إليه برجوان ركب غلمان الأتراك دار ابـن عمـار فعـاد بـرجوان إلى القصر ، وامتدت أيدي النهابة إلى دار ابن عمار واصطبلاته ، وإلى دار رشأ غلامه ، فأخذوا منها ما لا يحصى كثرة . وكان أكثـر مـن نهب المغاربة الذين اصطنع أحداثهم .فسقط في يده ونجا بنفسه إلى داره بمصر ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان سنة سـبع وثمـانين وثلاثمائة وعزل عن النظر ، فكانت مدة أيام نظره أحد عشر شـهرا تنقص خمسة أيام .ولزم داره بمصر سبعة وعشرين يوما .ثم خـرج إليه الأمر بعوده إلى القاهرة فعاد وترك داره ليلة الجمعـة خـامس عشرين شهر رمضان .واقام بهـا لا يركب ولا يدخـل إليه أحـد إلا اتباعه وخدمه .ورسم بإطلاق رسومه وجرايات حشمه وكل مـا كان له في أيام نظره من فاكهة وثلج وغيره ، ومبلغ ذلك من ثمـن اللحـم والحيوان والفواكه والتوابل خمسمائة دينار في كل شـهر ، وسـلة فاكهة في كل يوم بدينار ، وعشرة أرطال شمع كل يوم وحمل ثلج عن يومين .

فلم يزل ملازما لداره إلى أن أذن له الركوب يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين .فركب إلى القصر ونزل موضع نزول الناس

بأسرهم ،وواصل الركوب الى يوم الاثنين رابع عشرة ، فأحضر عشية إلى القصر وجلس به إلى عشاء الآخرة ، ثم اذن له في الانصراف .فعندما قام ثار به جماعة من الاتراك قد أعدوا لقتله فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه موضعه .ثم سأل أهله في نقله إلى تربته ، فحمل إليها بالقرافة .وكانت مدة إقامته بعد عزله عن النظر إلى أن قتل ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية عشرَ يوما.

محمد بن حسن الكلبي

(من المقفى للمقريزي ـ مجموعة ليدن)

محمد بن الحسن بن علي بن أبـي الحسـين ، ابـو عبـد الله ، الصقلي ، أحد أمراء صقلية المعروفين ببني ابي الحسين ولد سـنة تسع عشرة وثلاثمائة •

وقدم من صقلية الى المهدية على المعـز لدين الله في سـنة ثمـان وخمسين وثلاثمائة عندما كتب المعز الى الأمير ابي القاسم احمد بن الحسن بن علي أن يرحل الى إفريقية بأهله وماله وجميع مـن يتعلق به ، فاستخلف على صقلية يعيش مولى ابيه الحسن بن علي•

وقدم أبو عبد الله هذا الى مصر مع المعز ، وكان أخص الناس به وأقربهم إليه • فلم يزل بالقاهرة الى أن مـرض ، فعـاده المعـز في مرضه • ومات لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأخرة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فغسله القاضي النعمان بن محمـد وصـلى عليه المعز ، وفتح تابوته ،واضجعه بيده هو وابنه الأمير عبد الله بن المعز ودفن في داره بالقاهرة .

واجاج بن زلو اللمطي (١٤)

من أهل السوس الاقصى • رحل الى القيروان فأخذ عن ابي عمران الفاسي ثم عاد الى السوس فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن ، وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه واذا أصابهم قحط استسقوا به • فسمعت الشيخ ابا موسى (عيسى) بن عبد العزيز الجزولي يقول : أصاب الناس جدب بنفيس • فذهبوا الى واجاج بن زلو اللمطي وهو بالسوس • فلما وصلوه ، قال لهم : ما جاء بكم ؟ فقالوا له : قحطنا وجئناك لتدعو الله لنا ان يسقينا • فقال لهم : إنما مثلكم كمثل قوم ابصروا جبح نحل فظنوا أن فيه عسلا ! ولكن انزلوا عندي فانكم أضياف • فأضافهم ثلاثة أيام • فلما عزموا على الانصراف وجاؤوه لوداعه ليرجعوا الى بلادهم قال لهم : إياكم ان ترجعوا من طريقكم الاولى التي أتيتم فيها فارجعوا من طريق اخرى لتسكنوا في الغيران والكهوف من الأمطار • فلما انصرفوا عنه أرسل الله عليهم السحائب بالامطار ودامت عليهم الامطار فلم يصلوا الى بلادهم إلا بعد ستة أشهر .....

رسالة جوابية من الخليفة الحكم المستنصر الى الامبراطور البيزنطي تيوفيل (١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، تذكر فيه الذي كان عليه من مضى منكم لأولينا من المودة الصادقة ، وأنه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا ، وإرسال قرطيوس رسولك إلينا لتجديد تلك المودة ، وترتيب تلك المصادقة ، وتسأل أن ينعقد فيما بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ، ونتواصل له ، ونبعث رسلا من عندنا إليك ، ليعلموك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ، ودعوت إليه ، لتثبت بقدومهم عليك مودتنا ، وتتم به صداقتنا .

وفهمنا ماذكرته من أمر الخليفة مروان رضى الله عنه وصلى عليه ، ومن وشائج قرابتنا منه ، وأسيت لما استلب من سلطانه ، واستبيح من حرمه ، واستحل من دمه ، وماكان من الفاجر ابى جعفر تربه الله ، وجراءته على الله ، واغتراره به ، وانتهاكه لمحارمه ، والله قد أحصى عليه ذلك ، فاسفه منه ، فهو لامحالة يجازيه جزاء سعيه .

ثم الذي ذكرته من فعل الخبيثين ابن مراجل وابن ماردة أخيه بعده ، من إلحادهما في نحلتهما ، وإساءتهما لسيرتهما ، ورغبتهما في رعيتهما ، وشدة وطأتهما عليهم ، واستحلالهما دماءهم وأموالهم ، وما ذكرت من حضور وقت زوال دولتهم ، وانقطاع مدة سلطانهم ، وتأذن الله برد دولتنا ، وسلطان ابائنا ، الذين نبأت عنهم الكتب ونطقت بهم الرسل ، وأوجب لهم الاجماع ، وحازه إليهم البرهان ، والذي حضضت عليه من الخروج إليهم ، وطلب

الثأر منهم ، ووعدته من نصرتك لنا ، بما ينصر الصديق صديقه ، ومن يعلم هواه فيه ومودته له ، وما عطفت عليه من امر ابي حفص، ومن معه من جالية بلدنا ، وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك ، وخضوعهم لابن ماردة ودخولهم في طاعته ، وما سألت من اهل الانكار لذلك والانفة منه ، وحكيت من امراء إفريقية في نزعهم عن ابن ماردة ، وخلافهم عليه ، واستثقالهم لدولته ، وكل ما حكيت من ذلك وقصصته في كتابك ، فقد قرأناه وفهمناه .

واما ما رغبت من مودتنا ، واحببته من مصادقتنا ، واردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه ، مما كان عليه اولوك لأولينا ، فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا ، وان نتمسك من ذلك ، بما كان عليه سلفنا ، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ، ويتحاضون عليه ، ويحفظه بعض لبعض ويشدون أيديهم به .

واما ما ذكرت من امر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله ، فإن الله تعالى احب ان يكرمه بما انتهك من حرمته ، ونكث من بيعته ويسوقه إلى رحمته ، وان يشقي بذلك من ركبه منه ، ويخزيه ويعذبه عليه .

واما ماكان عليه الفاجر ابو جعفر في تعذيبه العباد ،وظلمه وجراته على الله ، وانتهاكه لمحارمه ، فإن الله قد اخذه بذنبه ، واستدركه ببغيه ، وصيره من عذابه ونكاله ، إلى ما لاإنقطاع له ، ولاتخلص منه ، جزاء بما اجترح ، وكذلك حكم الله في اهل معصيته ، واولي الاجتراء والافتراء عليه .

واما ما ذكرت من امر الخبيث ابن ماردة ، وحضضت عليه من الخروج إلى ما قلته وذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة اهله ، وزوال سلطانهم ، وما حضر من وقت رجوع دولتنا ، وازف من حين ارتجاع سلطاننا ، فإننا نرجو في ذلك عادة الله عندنا ، ونستنجز موعوده إيانا ، ونمتري حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة من قبلنا ، من اهل شأمنا واندلسنا واجنادنا وكورنا وثغورنا ، وما لم

نزل نسمع ونعترف ، أن النقمة تنزل بهم والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب بنا وعلى أيدينا ، فيقطع الله دابرهم ، ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى .

وأما ما ذكرت من أمر ابى حفص الأندلسي ، ومن صار معه من أهل بلدنا ، في خضوعهم لابن ماردة ، ودخولهم في طاعته وما سألت من النظر في أمورهم ، والانكار لفعلهم ، فإنه لم ينزع إليه منهم إلا سفلهم وسوادهم وفسقتهم وأباقهم ، وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ، ونكفيك مؤنتهم ، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة ، لمأمنهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ، ولاتصعب عن نكايتهم ، ولاتتوقف عن إخراجهم عما تطرقوه من بلدك ، وإذ ترى مكانهم به من موضعك وإن الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد إلينا سلطاننا بالمشرق وما كان تحت أيدي أبائنا منه نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك ، واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذي يكون من معونتك على ما دعوت إليه ، وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه ، وذو المودة لأهل مودته ، ولم يضع لك عندنا مارعيته من حقنا وقمت فيه من حفظنا .

وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا ، وكشفناه على الذي أوصيت به إلينا ، وعن كل ما يجب لصديق أن يعرفه من حال صديقه ، ووجهنا إليك بكتابنا مع هذا رسولين من صالحي من قبلنا ، فاكتب إلينا معهما بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتبت به إلينا ، والذي يجب عليك من سائر خبرك ، ومتعة عافيتك لننظر فيما يتصرفان به من عندك على حسب ما يأتينا به من عندك إن شاء الله .

رسالة الراهب الفرنسي يشوع ورد الباجي عليها (١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله

رسالة الراهب من أفرنسة ـ دمرها الله ـ الى المقتدر بالله صاحب سرقسطة .

الى الصديق الحبيب الذي نؤمله أن يكون خليلا مدانيا ،المقتدر بالله على دولة هذه الدنيا الملك الشريف ،من الراهب أحقر الرهبان ، الراغب في الانابة والايمان بالمسيح يسوع ،ابن الله سيدنا!!!

لما انتهى الينا ـ ايها الأمير العزيز ـ امرك الرفيع في الدنيا وبصيرتك في تبين أحوالها المتغيرة ،رأينا أن نراسلك وندعوك ،لتؤثر الملك الدائم على الملك الزائل الفاني . وإنك قد رأيت كتابنا اليك الذي راجعت عليه مراجعة نبيلة على حسب نظر أهل الدنيا ،ولم تكن بحسب مطلوبنا من المراجعة الروحانية ، ولذلك تراخى زماني بمراجعتك اذ توقعنا أن نتكلف تعبا لا نجتني به ثمرة ، وحقا إن القادر على الكل الذي اصطفى أولياءه قبل خلق العالم ،ولم يسبق ـ في علمه ـ هلاكهم ،قد أنار قلبك ،وأشعره للايمان بالاله المسلم لك ، وهو الرحمن الرحيم ،الغفور ،الذي يهديك لمعرفته ،وليس يسعنا أن نتراخى عن الاجتهاد في تتميم هذه المصلحة بجميل معونته لتشترك معنا في ملكوته إن اثرت ذلك ! ولهذا الأمر ،أشخصنا اليك من اخواننا من يورد عليك كلاما الهيا ـ على مايوفقهم الله اليه ـ ويشرحون لديك حقيقة دين النصارى ،ويقرون عندك معرفة المسيح سيدنا الذي لاينبغي لنا الايمان بأحد سواه ،ولانرتجي النجاة إلا به

،فهو الاله الذي اتخذ حجابا على صورتنا لينقذنا ـ بدمه الطاهر ـ من هلكة ابليس

ولقد كدا ـ ايها الملك الشريف (نود أن)(١٧) نورد كثيرا من هذا القول لولا ما نتوقعه من تألك بسماعه ، وفي ذلك كله برهان الملة المسيحية ، وبيان جلالتها ، وإن الاحاطة بكنهها مما يعجز دونه ادراك الانسان وملك الله ـ تعالى ـ احل واعظم من ان يدركه فهم الانسان او يصل اليه بعلم الكلام الاان من أيات الله القادر على كل شيء أن يشرح صدور الآدميين ويدخل روح العلم في قلوبهم ليتمكن الايمان في نفوسهم

ولما كانت الدنيا ـ من قبل ـ معمورة بالضلال ، والعالم مدنسا بعبادة الأوثان ، حسن عند الله القادر في ـ اخر العهد ـ أن يعيد الزمان جديدا ، ويستدرك الصلاح الذي فات العالم في ادم الوالد الأول ، وذلك أمر قد اهتدى اليه اباؤنا من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب ، والأنبياء افصحوا به من بعدهم ، وهو عهد من الله مؤكد قبل التوراة وبعد تنزيل التوراة أن يكون الالتحام المقدس معلوما.

وليس هذا مما تختص به مصاحفنا فقط بل هو منصوص في مصاحف اليهود والمخالفين لنا ببيان واضح، وان الشيطان اللعين الذي عرض اهل هذه الدنيا للموت ، بجسده لأدم ، حاول تغيير هذه الملة المقدسة بعد اقبال الحوار يين الذين هدوا اهل الأرض بالموعظة، وبعد ظهور الشهداء الأصفياء على ابليس بالغلبة ، الذين هرقوا دماءهم في اقطار الأرض في ذات الله ، وفي سبيل شريعته المقدسة، فلم يستطع أن يغري اهل الدنيا ، ويحملهم على ضلالهم القديم من عبادة الأوثان فشبه على بنى اسماعيل في أمر الرسول الذي اعترفوا له بالنبوة ، فساق بذلك انفسا كثيرة الى عذاب الجحيم .

وقد كان فيما سلف من ذنوب ابليس وتضليله للعباد ما يلقيه العذاب الأليم يوم القيامة من الله سيدنا ايشوع المسيح ، وقد ضاعف تلك الذنوب بما أوبق فيه هذه الذمم العظيمة .

فاعتبر ـ ايها الملك الشريف ـ ولاتؤثر شيئا على نجاة نفسك يوم

الحكم والجزاء ، فإنا مخلصون في تخدم أمورك ، ومسارعون الى تفديتك بنفوسنا ، ومتى قبلت قولنا وعملت برأينا ، وتقررت عندنا إجابتك الى ما ندعوك اليه من قبول كلمة النجاة الذكية التي نعرضها عليك لم نتوقف عنك عن اللحاق بك ،فتأمل أيها الحبيب ،ما يحق عليك العمل به والمسارعة اليه واغتبط بما يدين عليه اخواننا في هذا القطر من الدعاء ، وبذل الصدقات الزاكية عنك ، ومامنهم احد راك ولا شاهدك ، وانما يتبرع بذلك رغبة في أن يهديك الله الى مرضاته.

والسلام عليك ـ ياأيها الحبيب ـ من سيدنا المسيح الذي اذهب الموت ، وقهر الشيطان ، ورحمة منه وبركة باستنقاذك من حبائل ابليس التي كنت فيها متورطا الى الآن ، ونسأل الله الذي له القدرة والعظمة ، الذي من أجله خلق كل شي ، ومن دونه لم يخلق شيئا ان يهديك ويثبت في نفسك ما دعوناك اليه ، وحضضناك عليه .

وإن لم يظهر لك ياأيها الحبيب مراجعتنا بجوابك على ما تضمنه كتابك لدفات الكتب ، فأودع ذلك إخواننا هؤلاء واطلعهم على سرك.

وما يتمثل في نفسك ، ونحن نضرع الى سيدنا ايشوع المسيح أن يتولى رعايتك ، ويتكفل سلامتك ، ويهديك الى دينه المقدس ويسعدك بالايمان الصحيح به امين .

وهذا جواب الفقيه القاضي الجليل الفاضل ابي الوليد الباجي ـ رحمة الله عليه ورضوانه على هذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وعلى اله وسلم

العزة لله والصلاة على رسوله

تصفحت ـ ايها الراهب ـ الكتاب الوارد من قبلك ، ومامننت به من مودتك ، واظهرته من نصيحتك ، وابديته من طويتك ، فقبلنا مودتك لما بلغنا من مكانتك عند أهل ملتك ، واتصل بنا من جميل ارادتك ، ونبهتنا ـ لعمر الله ـ بنصيحتك ، على ما يلزمنا من ذلك لك ، ولولا ما كنا نعتقد من بعد مستقرك ، وتعزر وصول كتبنا اليك لكنا احرياء أن نأتي من ذلك ما يلزم ، ونسلك منه السبيل الأوجب ، ولكنت عندنا جديرا بعرض الحق عليك ، وايصاله اليك فقد قرر لدينا من وصل من رسلك ، وأهل ملتك علينا ما تظهره من حرصك على الخير ، ورغبتك في الحق ، مما قوى رجاءنا في قبولك له ، واقبالك عليه ، وأخذك به ، وانابتك اليه ، وقد كان ورد علينا ـ قبل هذا ـ كتابك وما اقترن به من دعوى حاملة المحال الذي كان يجب الا يخاطب به من له اقل حس بالاحساس أو يختلج بخاطر من له أدنى فهم من احياء اموات ، واعظم رفات ، فألنا القول واوليناه الاعراض والصفح ، وجاوبناك جواب من يعتقد ما ظهر منك ، وبلغنا عنك ، من خطرات الغفلة انك ارسلتها دون تأمل واظهرتها دون تحصيل ولاتحقق ، مع انه يجوز على ضعفاء المسلمين من ذلك ما يجوز على جماعتكم من تجويز محال وتصحيح ما هو غاية الابطال ، فقصدنا الرفق والتأنيس لك ، وكان ذلك

أفضل ما روجع به من ترجى عودته ، وينتظر انابته وفيئته ، فانما يستعمل الاغلاظ لمن يتيقن عناده ، ويتبين اصراره ، ولم يرج انقياده ، ونحن نرجو ان نرفعك عن هذه المحطة ، ونخلصك من هذه الوصمة ، بفضل الله وعونه وتأييده ونصره .

ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك تعينت علينا مفاوضتك ، بما رضيناه من مسألتك ، ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك في النصح ، الذي يجرى اليه اهل الفضل ، وامرنا الله به على السنة الرسل ،وكففنا عن معارضتك على ما استقبحناه من خطابك، وسخطناه من كتابك ، من سب الرسل الكرام ، والأنبياء المعظمين عليهم السلام ، وانحرفنا عن ذلك الى ان نحذرك وننذرك ونعذرك فيما لم يبلغك علمه ، ولم يتحقق لديك حكمه ، ونبالغ في الرفق بك ، والتبيين لك على منهج الخطب والرسائل ، ولاعلى طريق البراهين والدلائل ، مساعدة على مذهبك في كتابك، وموافقة لك في مقصدك ، فعسى أن يكون أقرب الى استمالتك ، وأبلغ في معارضتك ومعالجتك.

وأنا لنربأ بمثلك ، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك من ان عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابن لله تعالى ، بل هو بشر مخلوق وعبد مربوب لا يعدو عن دلائل الحدوث من الحركة ، والسكون ، والزوال ، والانتقال ، والتغيير من حال إلى حال ، وأكل الطعام والموت الذى كتب على جميع الأنام مما لا يصح على إله قديم ، ولا يمكن عند ذي راي سليم ، ولو جوزنا كونه ، صلى الله عليه وسلم ـ مع هذه الصفات ، والأحوال المحدثات ، إلها قديما ، لنفينا أن يكون العالم او شيء مما فيه محدثا مخلوقا لأنه ليس في شيء مما ذكرنا من البشر والعالم ، وما فيه من الحيوان والجماد من دلائل الحدوث غير ما في عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن الله ـ تعالى ـ خلق عيسى ـ عليه السلام ـ من غير أب كما خلق ادم ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تراب ، وقد حملت بعيسى أم ، ولم تحمل بادم انثى ولا ذكر ، فإذا

لم يكن آدم الاها ـ وهـو الأب الأول ـ بـل مخلوق ، فعيسى أولا أن يكون الاها وهو من ذرية آدم وولده ، بل هو عبد مربوب ، وإن هـذا لواضح لمن جهل معنى الحدوث ، ولم يميز الخالق من المخلوق!

وأما من نظـر في شيء مـن أبـواب العلم ، وايد بـاعتبار وفهم ، فعلامات الحدوث أوضح ، ودلائلها أصح من أن تخفـى أو تشكل أو يمتري في أمرها من له من العلم أدنى محل وقد ظهـر على أيدي سائر الرسـل ـ عليهـم السـلام ـ مـن الآيات الواضحة ، والمعجزات الباهرة مثلما ظهـر على يدى عيسى ـ عليه السلام ـ وأكثر ، فلو جاز أن يدعى لعيسى ـ عليه السلام ـ بشيء مما ظهر على يديه من إحياء ميت وإبراء أكمه وأبرص ، بـأنه ابـن لله ـ تعالى ـ لجاز أن يدعى ذلك لأبراهيم لما ظهـر على يديه مـن سلامته من النار بعد أن قذف فيها ، ولم ينجح عيسى من عدد يسير من البشر راموا ـ بزعمكم ـ صـلبه وقتله ، ولجـاز أن يدعى ذلك لموسى عليه السـلام لما ظهـر على يديه مـن قلب العصـا حية وفلق البحر ، ولجاز أن يدعى لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما ظهـر على يديه من انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وتسـبيح الحصى في يده ، وحنين الجذع إليه وغير ذلك مـن الآيات لكن الآيات لا تقتضي تجويز المحال ، وإحالة الجائز الممكن.

وإذا كان ربنا ـ تعالى ـ قديما ـ سبحانه أن يكون محـدثا أو مخلوقا ، وكان من وجـدت فيه دلائل الحـدوث مـن الأكل والشرب والزوال والانتقال لا يكون إلا مخلوقا مـربوبا لم يدل إحياء الموتـى على يديه أنه إله معبود وإنما يدل ظهور ذلك على يدى مدعي النبـوة أنه نبى صادق لأن ما فيه من صفات الحدوث لا تحيل كونه نبيا .

ولو جاز أن يقال إن عيسى ـ عليه السلام ـ هو الخالق لما ظهـر من ذلك على يده والمنفـرد بفعله لجـاز أن نقـول إن آدم وإبـراهيم وموسى ومحمدا وسائر الأنبياء ـ عليهم السـلام ـ انفـردوا بخلق مـا ظهر من ذلك على أيديهم ، وأن جميعهـا مـن خلقهـم وأنهـم

ـ لذلك ـ الهة معبودون ، وذلك محـــال ، فـــلا خـالق إلا الله ، ولا معبود سواه ، وهؤلاء انبياء مكرمون ، ورسل مؤيدون صدقهم الله ـ تعالى ـ بما ظهر على أيديهم من المعجزات التـــى لا يقـــدر عليهـــا غيره ، ولا يصح أن يخلقها سواه ، وأمر الدنيا أحقر وشأنها أنفـــر وأئذر من أن يغتر بها ذو عقل أو يسكن الى غرورها ذو لب ، وإنمـــا هي دار اختبار واعتبار ، وليست بدار جزاء ولا قرار ، فالسعيد من عمل فيها وتزود منها الى دار المقام الذى لا ينقضى بل يتـــأبد ، حيث ينفرد ربنا بالملك ، ويصير من أطاعه وأفرده بالعبادة وآمن بـــرسله وكتبه إلى رضاه في دار النعيم ، ويصير من أشرك به وكفر بشيء مـــن كتبه أو أحد من رسله الى سخطه في دار الجحيم ، ونرجـــو أن الله ـ تعالى ـ يجنبك بـــالاسلام منهـــا ، ويبعـــدك بـــالانتقال الى دين محمد ـ عليه السلام ـ عنهـــا ، وإن الله ـ تعـــالى ـ أنار قلوب جماعة المســـلمين بـــالاسلام ، وأعزنا بـــه وأكرمنا بـــاتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضـــينا له ، وخصـــنا بـــالقرآن الكريم (الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (١٨) أفضل الكتب والخـــاتم لهـــا ، والحـــاكم عليها ، والمصدق لها .تضمن علم الأولين والآخـــرين ، وأنار قلوب المؤمنين بالحق المبين ، نحمد الله على مـــا خصـــنا بـــه ، وهـــدانا له ، (وماكنا لنهتدي لولا أن هـــدانا الله)(١٩)ويلزمنا الاجتهـــاد في النصح لك والرفق بك ، والحرص على أن تكون من جملة هذه الأمـــة المكرمة ، ومن أهـــل هـــذه الملة المعـــظمة ، الناســـخة لجميع الملل ، والحاكمة على سائر الفرق ، فتفوز برضى رب العالمين وتنجـــو من سخطه ، وتنال ثواب يوم الدين ، وتخلص من معرته ، وتســـعد في الدنيا بالكون من جملتنا ، وتحظى بالقرب من نفوسنا

وأما ملكوت رب العالمين فهو المنفرد به – تعالى – لا ينبغـــي أن يشركه فيه طائع ولا عاصي ، ولا بر ولا فـــاجر ، وإن أردت بـــذلك أن يكون من أطاعك في ملك الله –تعالى – فذلك حال من عصاه ، وحال أهل الدنيا ، والأخرة ، لا يخـــرج أحـــد عن ملكه ، ولكنهـــا ألفـــاظ تستعملها في غير مواضعها لأنك لا تعرف مقتضـــاها ، ولـــودنا أن

الله – بفضله – ييسر لك الهجـرة إلينا ، والمثـول لدينا ، فتسـمع الكلام على حقيقته في معـاني هـذه الالفـاظ ، وتقيم وجـوهها واستعمالها على ترتيبها ، وتسمع الكلام الالهي على الحقيقة ، كلام رب العالمين ، تولى حفظه ربنا – عز وجل – وعمـر بـه السـنتنا وقلوبنا ، فلا يمكن أحد تغييره ولا تبديله ، ولا صرفه عن وجهـه ولا تحريفه ، فلو قرع سمعك منه سورة واحدة ، او اية كاملة ، لرجـونا أن يكون ذلك مما ينور قلبك ، ويستولي على نفسك ، ويعود بـك الى الدين الأفضل والسبيل الأمثل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الأخرة من الخاسرين) (٢٠) وقد وردا متحملا كتـابك فما أوردا إلا كلام البشر الذي جرت عادة اهل الضعف بـايراده عند العجز والفشـل ، والتبلد والخـور ، مـع التحير والانقـطاع ، والاضطراب في الدعاوى والأقاويل ، وادعيا في اول الأمر من المحـال قريبا مما ادعى الوارد قبلهما مع تكذيبهما له فيما نقل عنك ثـم الت حالهما الى مثل ما الت حاله إليه من تـكذيب انفسـهما ، وتـكذيب المعبر عنهما فيما نقل عنهما ، وترجمه من قولهما .

وعندنا من علم شريعتكم ، واختلاف أخبـاركم في ملتـكم ، ومـا تورده كل طائفة من شبهكم في الأقانيم والاتحـاد ومعنى اللاهـوت والناسوت والجوهر وغير ذلك من تنميقـات اناجيلكم مـالو أبـدينا اليهما اليسير منه لحيرهما وبهرهما ، وعلما أن عندنا من جملهمـا وتفاصيلهما ما لم ينته اليه أحد من أهل ملتكم ، ولا وصل الى تفريعه وتتبع معانيه أولكم وآخركم ، لكنا آثـرنا الرفـق بهمـا والاخفـاء عليهما ، والتأنيس لهما ، وألنا لهما القول ، وأبدينا اليهمـا نبـذة خفيفة من الأمر مما لا تنفر منه نفوسهما ، ولاتتوجع مـن سـماعه خواطرهما ، آخذين في ذلك بأدب الله – تعالى – في أمثالهما.

وقد رأينا ما في كتابك مما خالفت فيه جميع أهل ملتـك فإنه ليس في فرق النصارى من يقول إن المسـيح لا ينبغـي الايمـان بـأحد سواه ، بل هو الايمـان بـالأب عندكم واجـب ، والأب لم يتحـد بالناسوت عندكم ، وإنما اتحد به الابن ، فمن لم يؤمن بغير الابـن

كفر بالأب ، وقد تقدم في كتابك أن المسيح ابن الله ، وهذا نقض لقولك إنه لا ينبغي الايمان بغير المسيح الذى هو الابن.

ولو تتبعنا ما في كتابك من التناقض ، وفساد الوضع ، ومستحيل القول ، لما سلم منه الا اليسير الحقير ، لكنا ـ وفقنا الله وإياك ـ حملنا ذلك منك على ما عهدناه من أهل ملتك من قلة العلم ، والبعد عن مقاصد المناظرة ، وترك المدارسة والمحاورة مع تمويهات لا تصح ، وتلفيقات لا تثبت ولا تنصر ، وارجو أن يوفقك الله ، بإرشادنا لك ، إلى ترك التمويه ، والتعلق بالمغالطة والكذب ، ويعوضك علم الحقائق ، وصحيح المقاصد ، وأدب المناظرة التي تفضى بك الى السبل اللائحة، والحقائق الواضحة ،وقد جرى من كلام الواردين من أصحابك اللذين اخترتهما للنيابة عنك من هذا النحو ما اتبعاه بالتحير والتبلد والانكار له بعد الاقرار به ، ولوددنا ان تصير إلينا فنبلغ الغرض من تعليمك ، ونتمكن من تفهيمك ، ونبين لك من تحقيق الكلام وتحريره ، وتفصيله وتوجيهه ، وترتيب الأدلة ومقتضاها ، وإحكام البراهين ومنتهاها ، مايزيل كل سخيفة من نفسك، ويطهر من دنسها قلبك ، فتعاين الحق جليا واضحا ، والدين قويا لائحا على أن ملك الله تعالى أعظم من أن يحيط به فهم إنسان أو تستوعب صفاته بكلام او بيان ، فمن عظمته ـ تعالى ـ وقدرته وعزته ، انفراده عن الأشراك والأنداد ، واستغناؤه عن الصاحبة والأولاد. (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق) (٢١) تفرد بالخلق والانشاء ، وكشف الضر والبلوى ، وبعث النبيين مبشرين ومنذرين ، فأخبروا عن ربنا بعظيم قدرته ، وعلو كلمته ، وإتمام مشيئته ، وبينوا شرائعه ، وأوضحوا من تأملها إلى الحق ، وتنكب من خالفها إلى الشرك ، ولولا الكلام ما عرف الجائز من المحال ، ولا تبين الهدى من الضلال.

وما نحلة ولا ملة الا وهي تزعم أن نفوسها نيرة بما

تعلمه ، مذشرحة بما تعتقده ، وكذلك تقول البراهمة الذين يكذبون الرسل ، والدهرية الذين يدعون الأزل ، والفلاسفة القائلون بقدم العالم ، والثنوية المثبتون لخلق النور والظلام ، فما أحد من هذه الفرق إلا وهو يدعى أن نفسه أسكن إلى ما تعتقده ، وأوثق بما تنتحله ، وأنور بما تزعم أنه يعلمه من نفوس مثبتي الرسل ، ومتبعي الكتب لكن وضع الكلام ونشره ، وتمييزه ووصفه يعلى الحق ويثبته ، ويدحض الباطل ويمحقه ، وإن الله ـ تعالى ـ جعل الدنيا دار تكليف وفتنة ، ليبلونا اينا أحسن عملا ، وجعل الآخرة دار ثواب وعقاب ليثبت المؤمنين المحسنين ، ويعذب الكافرين المشركين ، وجعل من أسباب الفتنة إبليس اللعين ، وبعث النبيين يهدون إلى صراط مستقيم (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٢٢) فهدى بالنبيين من شاء بفضله ، وخذل بابليس اللعين من شاء بعدله.

فأول الرسل إلى أهل الأرض ابونا آدم ـ عليه السلام ـ دعا الى عبادة الله وحده لا شريك له ولا ولد ، وكذلك الرسل بعده. كلما نسيت شريعة ، وتقادم عهدها ، بعث الله رسولا الى أهل الأرض يجددها ويؤكدها ، إلى أن بعث الله ـ تعالى ـ نبيا اسمه عيسى ـ عليه السلام ـ فدعا قومه إلى عبادة ربه ومنشئه وخالقه ، فآمن به اليسير ، والعدد القليل الذين لم يطيقوا منعه ممن اراده من أعدائه الكافرين المكذبين لما جاء به من قبله ، حتى رفعه الله إليه ، واختار له ما لديه ، (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم). (٢٣) وقد بذل دمه ـ بزعمكم ـ حرصا على استنقاذ الناس من الضلالة فما آمن به الا العدد اليسير ، وقد آمن بغيره من الأنبياء ممن لم يبلغ هذا المبلغ أمثال من آمن بعيسى ، فما إن توفى محمد ـ عليه السلام ـ حتى آمن به العدد العظيم الذي استحوذ به البلاد ، وتغلب على الآفاق ، وأظهره الله على الدين كله(ولو كره المشركون) (٢٤) ثم استفتح بعده باثر وفاته أصحابه بلاد الفرس على بعدها عن مكانه ، وتمكين سلطانها ، وعظم شأنها وقدرها ، واستفتحوا بلاد الشام وهي كانت افضل بلادكم ومكان

شريعتكم ، وإليها ينتهي حجكم وعبادكم فما صار لمن تـزعمون انه إلهكم مع بذل دمه إلا أقل ما صار للمربوبين الآدميين من النبيين مع إعزاز الله لهم ، وحمايته إياهـم ، ولو كان عيسى إلهـا قـادرا لما احتاج إلى ذلك ، ولخلقهم مؤمنين ، ولو شـاء الله أن لايعصى مـا خلق الفتـن ولا إبليس اللعين ، ولكن الله ـ تعـالى ـ خلق للجنة أهلا للجنة بتوفيق الله ـ تعالى ـ يعملون ، وخلق للنار أهلا للنار بخذلان الله يعملون ، ولو علم الغيب عيسى ـ علية السلام ـ لما بذل دمه طمعا فيما لم يتم له ، ولا حصـل له منه شيء فـاعتبر ـ أيهـا الراهب ـ ضعف ماأنت عليه ، وفضـل مـا ندعوك إليه ، فعسى أن يوفقك الله ويهديك ، فتصير بعلم الله بكونك مـن جملتنا ، وفيئتـك إلى ملتنا ، فقد بلغنا من إرادتك للخير ورغبتك فيه وحرصك عليه ما حرصنا به على إرشادك وهدايتك ورجـونا سرعة انقيادك وإنابتـك (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت) (٢٥).

ومن أغرب ما تأتون به قـولكم إنه بـذل دمـه في خـلاص العبـاد ، وكيف يكون للرب دم ، والدم مـن الأجسـام المحـدثة المخلوقـة ، ولو حـررتم الكلام لزعمتـم أنه دم الناسـوت دون اللاهوت ، وللزمكم أن تقولوا : إن المصلوب هو الناسوت دون ابـن الله ـ تعالى ـ لكنكم حققتم أن إلهكم صلب ومات ، وهذه صـفة لا تصح إلا على محدث مخلوق ، لأن الحياة القديمة لا يصح عدمهـا . ولئن جاز هذا عليه ليجوزن على أبيه ـ بزعمكم ـ لأنه على صـفة ابنه بل هو عندجماعة منكم ، فكيف يكون إلها قـديما حيا قيمـا لم يزل من يجوز عليه الموت ، وعدمت حياته؟ وكيف لم يذهب عن نفسه الموت ، ولم يقدر على دفعه عنها وأذهبه ـ بزعمكم ـ على ما ذكرته في كتابك ؟ وإن جاز أن يموت ويكون مع ذلك إلها فما نمنع على هذا أن يكون من رأيناه أو سمعنا خبره ـ قديما ـ لم يزالوا آلهة ، وإن كان لهم أب أو ماتوا وفنيت حياتهم وعدمت ؟ وهل يصح أن يبلغ منه هذا المبلغ من الجهل الواضـح ، وتجـويز قلب الحقـائق ، ودعوى المحال إلا من سقطت مقالته واستحكمت جهالته وعميت بصـيرته ؟ فكيف يكون من هذه حاله يدعو إلى ما هو عليه ، ويندب إليه ؟ وهل

يمكن أن يكون في المقالات المستحيلة أو المحال المرذولة أشد فسادا من هذه التلفيقات التي تخجل من يوردها ، ولا يكاد يصح تكليف من يجوزها ويعتقدها ؟ وإني لا أعتقد أن مثل هذا لا يخفى عليك مع قلة المعرفة ، والبعد عن النظر في الأدلة لأن هذا ليس مما يدرك بدقيق النظر ولا يحتاج فيه إلى تأمل ، بل هو مما تناله أوائل العقول أو يدركه ببديهة من له أدنى تحصيل ، وأظن أن الحامل لك على هذا أحد أمرين: إما أنك لم تر من الشرائع غير ما قد نشأت عليه ، فاعتقدت أن سائر الشرائع تجرى هذا المجرى في الاستحالة والفساد ، فرأيت أن تستمر على ماوجدت عليه سلفك ، إذ لم يظهر لك سبيل إلى ماهو أفضل منه ، أو رأيت أنك قد نلت بهذا المحال عند جهال أهل ملتك منزلة تكره أن تنحط عنها ، وتبعد منها إذا انتقلت إلى الدين الصحيح لعلمك أنك لا تنال درجة أدونهم منزلة في العلم ، فكيف بدرجة أعلامهم وأئمتهم وذوي التقدم منهم ؟.

ومن طريف ما تأتون به وتضحكون سامعه منكم قولكم:

« إن عيسى ابن الله » ـ تعالى عن ذلك ـ وتقولون إنه من ولد داوود ـ عليه السلام ـ وهذا ثابت في إنجيلكم ، ومتلو من كتابكم ، وتزعمون أن جبريل إذ بشر مريم به قال لها: « إنه يكون عند الله عظيما ، ويكون اسمه يسوع ، ويدعى بابن الله ، ويورثه الله ملك أبيه داود » ولا تحملون ذلك على أن داود أبوه من قبل مريم لأنها لم تكن من ذرية داود ، وإنما تحملون على أنه أبوه من قبل يوسف النجار الذي تزعمون أنه كان زوجا لمريم ، فإذا كان عيسى من ولد داود ، وداود عبد مخلوق وجد بعد أن لم يكن ، ومات بعد أن حيا ، فكيف يكون عيسى الابن خالق أبيه وإلهه ؟ وكيف يكون أبا لداود المخلوق وابنا لله الخالق ؟وهل هذا إلا جهل بمعرفة الابن من الأب ، والقديم من المحدث والخالق من المخلوق ؟ ومن بلغ هذا الحد من الجهل لم يصح له اعتقاد شرع ، فكيف يدعو إليه ويتكلم عليه ؟ ولكن قلة التأمل مع حب الظهور يوجب التفريط ، ويورث التبلد والتحير ، نسأل الله العصمة.

وقد اختلفت فرقكم في الاتحاد الذي سميتموه التحاما اختلافا لعلة لم تبلغك ، ولو كنت لدينا لأريناك في هذا من كلام متقدمى اهل ملتك ثم من تقريع المسلمين على ذلك ، وتتبع الحجج لهم وعليهم بما لم يبلغه احد منهم قط ، ولأسمعناك من غرائبه وعجائبه وتلفيقاته وتناقضه وفضائحه واضطراب رواة الأناجيل ما يملأ سمعك ، ويطيش له لبك ، لكن الكتاب لا يحتمل التطويل لا سيما لمن لم يرد التأليف وإنما أراد التقريب وخاف تحير من ورد عليه الاكثار بالشرح والتفسير ، وما أحد من أهل الملل ، واتباع الرسل ممن تقدم عيسى ـ عليه السلام ـ ولا ممن تأخر عنه يقر بأنه وجد الالتحام الذى تدعونه في كتب ولا تنزيل ، ولا أخبر به نبي ولا رسول. وقد انزل ربنا في كتابه الكريم أن عيسى بشر بنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإما أن يكون علم هذا عندكم، وإلا فقد كتمه أحباركم ، ومحوه من اناجيلكم ، فقد قرأناها معربة وعلمنا من اختلافها واضطرابها مادلنا على أنه قد دخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان.

ومن ذلك ما في الانجيل من رواية متى انه بين ابراهيم ويوسف الذي تزعمون انه زوج مريم اثنتان واربعون ولادة.وفي رواية لوقا بين ابراهيم والمسيح خمسة وخمسون رجلا ليس فيهم من اسماء الذين في رواية متى الا عدد يسير . ولاتكاد هذه الروايات تتفق في شيء، والايمان بها عندكم واجب على اختلافها لأن الانجيل كتابكم واصل شرعكم ، فكيف يصح لكم الايمان بما يختلف ولايتفق ، ويتباين ولايتعاضد ، وكتابنا المحفوظ يحفظه الصغير والكبير لايمكن أحد الزيادة فيه ولاالنقصان . والذي يقراه ممن في أبعد المشرق هو الذي يقرأ به ممن في أبعد المغرب دون زيادة حرف ولالفظة ولا اختلاف في حركة ولانقطة .

واني لأعجب ايها الراهب ـ على ماينقل الينا من فضلك في قومك ، وتقدمك عند أهل ملتك ، مما يبدو من فرط غفلتك وعدم معرفتك فيما تضمنه كتابك من أن إبليس اللعين يقدر أن يضل من

شاء الله أن يهديه الى الدين القويم مع قولنا وقولك في كتابك (إن الله على كل شي قدير)(٢٦)

فأي قدرة له اذا كان قد بذل دمه في نقض مـا شرعه ابليس وغيره من خلقه ، فلم يقدر على اصلاح مـا أفسـده ، ولااسـترجاع مـا أحدثه ، ولاتقويم ماعوجه ، وإبليس اللعين لم يبلغ فيما ناله من ذلك سفك دمه ، ولاتغير حاله، ولاتجسد لغير جسده ، ولاانتقل الى غير ماكان عليه ؟ إن هذا لما كان يجب أن لايجوز على أضـعف الناس علما ، وأقلهم فهما ، ولكن ليس هذا بأغرب مـن قـولكم إن إبليس عرج بعيسى الاله بزعمكم ، ورقى به أعلى جبـل واراه زهـرة الدنيا وقال له إن عبدتني ملكتك جميع هذا ، فلما سمع بذلك المسيح من كيد إبليس اللعين عاذ من شره واستجار من فتنتـه بصـيام أربعين يوما ، وأربعين ليلة ، فأمسك إبليس عنه فهل لمن حور هذا على ربه وأخبر به عنه مسكة او بقيت بينه وبين التمسـك بـالحقائق والديانة نسبة ؟ أليس الاله هو الخالق لابليس والقـادر على هـلاكه متـى شـاء ، والمالك للأرض والسـموات ومـا بينهمـا دون شريك ولاتمييز ، فكيف يخاف من هذه صـفته بعض خلقـه أن يفتنه ؟ أو كيف تحمل ابليس الأرض أو تظله السماء وهو يخاطب ربـه ويدعوه الى عبادته ؟ وبعد أن يثيبه على ذلك ويملكه زينة الحياة الدنيا وهى ملكه ومن خلقه ، وربه يخاف فتنته ويستجير منه بالصيام ؟

وكيف يقول إنه يعاقبه في الآخرة بالعذاب الأليم ونار الجحيم وهو لايستطيع أن يخلص نفسه منه ومن فتنته في الدنيا ؟ وهل قـدرته في الآخرة الا كقدرته في الدنيا ؟

وكيف تزعم انه سليم من حبائل إبليس وخدعه وهو يخـاف على نفسه ويحتاج الى من يسـلمه منه وهـو القـاهر والخـالق لابليس ، كيف شاء ، والمهلك له اذا شاء ، تعـالى الله عمـا يقـول الظالمون علوا كبيرا

وإن الله ـ تعالى ـ بلطفه وحكمته ، وعطفـه ونعمتـه ، بعـث

محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فختم به الرسالة واكمل به النبوة وجعله آخر المرسلين ، وبعثه الى جميع العالمين ، فضله بهذه الدرجات الرفيعة ، وابقى شريعته الى يوم الدين ، واكرمه بهده المنة العظيمة . بعثه على حين فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، وجهل بالشرائع ، وبعد عن معرفة الأديان والمذاهب وقد دخل جميعها التبديل والتغيير ، وقد خالفت اليهود وسائر الملل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وردت ما جاء به ، وانكرت ما دعا اليه ، واختلفت النصارى بعده على فرق ، كلها قد ضلت عن السبيل المستقيم والمنهج القويم ، واظهرت من الجهالات ما تحيله العقول ، وعبدت المجوس نيرانها ، وادعوا لله الصاحبة والأولاد ، وجعلوا له الأشراك والأنداد فابتعثه الله من خير الأمم وهم بنو اسماعيل ـ عليه السلام ـ ثم من خير بني اسماعيل وهم قريش قطب العرب وافصحها السنا واخلصها عنصرا وارجحها في معاني الدنيا عقولا ، واثقبها افهاما ، واتمها دهاء ، واعظمها غناء ، واكرمها اخلاقا ، واجودها اكفا واطيبها اعراقا ، فقام منفردا فيهم يدعوهم الى عبادة الرحمن ، وخلع الأوثان فخالفه في ذلك القريب والبعيد ، والعدو والصديق ، فآتاهم بالآيات المعجزات التي لايصح فيها تمويه ولاتلبس ، ولاتخييل ولاتحريف ، من انشقاق القمر بحضرة جميع من امن به وكفر ، ممن غاب عنه ومن حضر ، ونبع الماء من بين أصابعه في قدح صغير حتى توضأ منه العدد الكثير ، وتسبيح الحصى في يده ، وحنين الجذع اليه ، وإطعام العدد الكثير من الطعام اليسير ، وري الجيش العظيم من الماء القليل الذي لايكفي النفر اليسير ، وإبراء العيون بإمرار اليد عليها وغير ذلك من المعجزات التي لوشئنا أن نتتبعها لعظم بذلك الكتاب وخرجنا عما قصدنا من الاختصار ، وقد تتابع ذلك في مقامات جمة بمعاينة جميع الأمة ، والاخبار بالغيوب على وجه تباين التكهن والاتيان بقصص الماضين ، وذكر الأنبياء المتقدمين على حقيقة ماكانوا عليه ـ مما لايبلغه من افنى عمره في تعلم ذلك ومدارسة اهل العلم به ـ من غير أن يعلم بمدارسة كتاب ولامذاكرة أصحاب وقد

علم أن مثل هذا لايخفى لمن تناوله وإن رام ستره وكتمانه . ثم أكرمه الله ـ تعالى ـ بالمعجز الذي فضله الله على جميع النبيين والمرسلين وهو القران الذي تحدى به الأنس والجن أجمعين . قال الله تعالى: (قل لئن أجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢٧) فتحدى به العرب والعجم وجميع الأمم ، والعرب في ذلك الوقت اهل فصاحة وبيان وتناه في ذلك الشأن ، فلم يستطع احد منهم على أن يأتي بسورة من مثله مع مـاأخرجهم اليه خلافهم له من سفك دمائهم ، وهتك أستارهم ، وأخذ أموالهم ، والاستيلاء على بلادهم وأموالهم ، وخروجهم عن أوطانهم ، ومفارقتهم أباءهم وأبناءهم وإخوانهم وأزواجهم ، وكان إتيانهم بسورة من مثله لو استطاعوا ذلك أسهل عليهم من تكليف الحرب ، والصبر على ألم الجراح ، فكيف بالصبر على جميع ما ذكرناه مع أنه نشأ معهم وبينهم ، ولم يتعلم مالم يتعلموه ، ولالقى من لم يلقوه ، ولاانفرد بالدرس دونهم ، والقراءة بينهم ، فقد قرأ غيره ودرس وعلم وتعلم وكتب ، والى زماننا هذا ، لم يستطع أحد أن يأتي بسورة من مثل سوره ، ولاباية من أياته ، وهذه أعظم معجزة على يدى نبي لأن كل معجزة كانت قبله قد امتنعت مشاهدتها ، وانقضى وقتها ، وانما ينقل الينا ذكرها ، ونخبر عنها ، والخبر يدخله الصدق والكذب ولولا أن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلمنا بصحتها وهو الصادق لما وقع لنا العلم بوجودها ، ومعجز القران باق بين اظهرنا ، ودائم عندنا ، لاينقطع وقته ولاينقضي الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، يدل في كل وقت وأوان على صحة ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شريعته ، التي اختارها له ، أفضل الشرائع وابينها حكمة ، وأوضحها أحكاما ، وأتمها قواما ، فأمرنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن نؤمن بالله وحده لاشريك له ولاظهير ، ولاند ولاصاحبة ولاولد ، ونؤمن بملائكته وكتبه ورسله وان المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله ، ونؤمن بالبعث بعد الموت ،والحساب والثواب والعقاب

وان من آمن بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبما جاء به فلا بد له من الجنة ، وان من كفر به او بشيء مما جاء به فإنه مخلد في النار ، وشرع لنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة والصيام والحج وجهاد من كفر ، وصلة الأرحام ، ورغب في التواضع والعدل والاحسان ، والبذل، والتساوي في الحق ، واداء الأمانة ، والصدق ، والتناصف والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ، والأخذ بمحاسن الأخلاق في السر والجهر ، والتزهد في الدنيا والتنفل فيها ، والتجافي عنها ، والانقاد لها ، وحضنا على تعلم العلم واوجبه علينا ، وندبنا اليه ، والى الارتحال في طلبه ، والتتبع لدقيقه ، ودفع الشبه المعترضة عليها ، والمعارضة لها ، واعلمنا أن ذلك من ارفع ابواب شريعتنا ، وافضل ما يصرف اليه همته اولو الفضل منا ، ونهانا عن المنكر والفحشاء واتباع الضلالة والأهواء ، والكبر والخيلاء ، والظلم والعدوان ، والكذب والبهتان واخذ من ذلك كله في خاصته بأبلغ غاية من إتعاب نفسه في العبادة ، وتكلف منها مالم يستطع عليها غيره ممن عاصره واتى بعده ، ووقايته لأصحابه بنفسه في الحروب وأوقات الشدائد ، واجتناب كل مانهى عنه من المأثم وقبيح الأحوال ، ومذموم الخلال من حيث لو كان من امة توارثوا الشرائع من أول الأزمان ثم لم ينتقلوا عنها ولاتبدلوا بها بل دونوا فيها الدواوين وصنفوا فيها التصانيف والتواليف ، وكثر فيها علماؤهم وائمتهم ، وكثر الوارث لذلك عنهم ممن قطع عمره بقراءة ذلك ودرس كتبها ، وملازمة علمائها لقصر عما ظهر منه من صحيح الأحكام ورفيع الأحوال، والاصابة في الأقوال والأفعال ، والتصرف والزي والأكل والشرب ، والجلوس والمشي ، والأخذ والاعطاء ، وجميع الحركات والسكنات واللحظات وذلك كله مما يشهد عنه من فهم معانيه وتأمل في ذلك مقاصده وعرف وجه الصواب فيها ، وأنه من عند الله الذي يوفق أنبياءه ، ويرشد رسله وأولياءه ، ويشرع لهم الشرائع التي تشهد بصدقهم صحتها وتبين الحكمة في تفاصيلها وجملها .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع ذلك ـ متقللا من الدنيا ، مؤثرا غيره بها حين تعذرها ووقت الشح بيسيرها ، مطرحا لها ، معرضا عنها حين إقبالها مع عظيم ما فتح عليه منها وبسط له فيها ، يبثها في أهل ملته والمستحق لها من غيرهم لم يمنعهم انحرافهم عنه ، وتكذيبهم له من اتيانهم العدل، وانصافهم بالقول والفعل ،وكان حظه وحظ اهله واقاربه من الدنيا وما فتح عليه منها اقل حظ ،لم يشبع هو واهله من طعام ثلاثة أيام متوالية ولالبس ولاالبسهم الا أخشن الثياب ، ولاسكن ولااسكنهم الا أدون المساكن ، ولايدعي محالا ولايقول انه يعلم من الغيب الا ماأعلمه الله تعالى ، فان سئل عن غيره صرف علمه الى الله تعالى ، ولايدعي انه يغفر ذنب أحد من أمته ، فأن سئل الدعاء دعا للسائل بالمغفرة ، واعلمنا انه لايغفر الذنوب الا الله ، ولايؤاخذ بها سواه ، يجالس العبد ، ويزور الضعيف، ويرحم الصغير ، ويوقر الكبير .

لو جاز عليه مع ذلك الكذب لجاز على موسى وعيسى وسائر الأنبياء ، فإنا لانعلم صدقهم ، ولاميزنا ما جاؤوا به من الحق مما جاءنا به الكاذبون والمتخيلون من الباطل والكذب الا بما ظهر على أيديهم من الآيات البينات ، وما أتى به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابين واوضح ، واتم وابلغ ، ولو جاز لكم ان تقولوا : إن ماأتى به محمد من جملة التخيل لجاز للدهرية والفلاسفة والبراهمة والثنوية الذين يكذبون الرسل ان يقولوا : ان جميع ما جاء به موسى وعيسى وسائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من ذلك الباب وهو قولهم ، ولما كذبتهم اياتهم ومعجزاتهم ، ووجب عليهم تصديقهم لزمكم وجميع الأمم تصديق محمد ـ عليه السلام ـ فما جاء به أبين وأظهر وأعظم .

وإنك أيها الراهب الذي تحرص على تخليصك من الضلالة أن سمعت نصحنا لك وأطعتنا فيما به أمرناك وردت الآخرة في جملتنا من اتباع محمد ـ عليه السلام ـ النبي المكرم

فتسعد بشفاعته ، وتشرب من حوضه ، وتسكن الجنة معه ، ونحن نسأل الله - تعالى - أن لا يعدل بنا عن الطريقة المثلى ، ولا يصرفنا عن سبيل الهدى ، وأن يستنقذك من مكائد إبليس التي انت فيها متورط ، وبحبائلها متعلق ، وبخدعها متحير ، من تمادى عليها نال الشقوة ، وطول الحسرة في عرصة القيامة ، ويوم الندامة ، يوم لاينفع نصح ، ولايقبل عذر(ويوم يعض الظالم على يديه) (٢٨) (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) (٢٩) ولامستقر يومئذ الا الجنة أو النار ، فمن آمن وعمل صالحا فالجنة مأواه ، ومن جعل لله صاحبة أو ولدا فدرك النار مثواه ، أعاننا الله منها ، وأماتنا على الاسلام المبعد عنها.

فلا يغرنك - أيها الراهب - حظوتك عند أهل ملتك ، ومكانتك في مكانك ، واستجلاف نفوسهم ، واستمالة قلوبهم بألفاظ تزخرفها ، لا تعلم معانيها ، ولا تعرف حقيقة المراد بها ، ولا مقتضى القول فيها من قولك : «الجواب الروحاني ، والكلام الالهي » وما أشبه ذلك من الفاظ كثيرة سمعتها فنقلتها إلى غير موضعها ، واستعملتها على غير وجهها ، فإنك لو سئلت عن مقتضى ذلك لأسلمتك عدم معرفتك الى العي والحصر والعجز عن التقدم والتأخر ، فإن استعمالك لها على غير وجهها دليل على جهلك بها .

فإن قبلت نصحي ، وسمعت موعظتي ، أخرجناك بعون الله من ظلمة الجهل الى نور العلم ومن حيرة الشك إلى تيقن الحق ، وأريناك من طرق الاستدلال ، وتمييز البراهين ما يشرح صدرك ، وينور قلبك وتعلم به الحقائق ، ومعاني هذه الالفاظ التي أنت بها معجب ومخطىء في ايرادها على غير وجهها ، وتتيقن انها من أقل ابواب الكلام ، واضعف ما يتمسك به ذوو الاحلام ، وإن ابيت إلا الاستكبار والعتو ، والاصرار والغلو ، والالحاد والطغيان ، والعناد والعصيان ، فانك لن تعجز ربك ، ، ولن تنجو من ذنبك وذنوب من اتبعك وضل بك ، والكلام بغير علم في الدين كذب وإفك على رب العالمين (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على

ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) (٣٠)

فلا تؤثر على خلاص نفسك ، وخلاص من تبعك شيئا من عرض الدنيا وزخرفها ، فإنك لا ينفعك جهل من اغتر بك فيها يوم الورود على ربك .

وقد أودعنا صاحبيك الواردين علينا سرا وجهرا ، وبدءا وعودا ما نعتقده مما أعزنا الله به من الأسلام ، وخصنا به من بين الأنام ، وأكرمنا به من اتباع نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (٣١) « فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (٣٢) والله نسأله أن يهديك ويهدي بك من قبلك فتفوز بأجورهم وتكون سببا الى استنقاذهم ، فأنت - فيما بلغنا - مطاع فيهم (والسلام على من اتبع الهدى) (٣٣) .

كمل جواب الفقيه الأجل القاضي الأعدل ابي الوليد الباجي - رحمه الله وغفر له ونصر وجهه - بمنه وكرمه وجوده ، إنه ذو رحمة واسعة ورب غفور.

رسالتا المعز لدين الله الفاطمي الى الامبراطور البيزنطي بشأن كريت والى كافور الاخشيدي حول الشأن نفسه (٣٤)

فصل من كتاب كتب به المعز (صلع)الى طاغية الروم في أمر اهل أقرطيش

قال : وكان طاغية الروم قد رغب الى أمير المؤمنين المعز لدين الله (ص) في الموادعة ، وبذل له على ذلك أموالا ، وكانت رغبته اليه في الموادعة مدة طويلة أو ابدية إن وجد ذلك ، فرأى الامام لما تبين له أن ذلك خير للاسلام والمسلمين وليستجمعوا فيقووا على حرب المشركين ، ان أجابه الى موادعة خمس سنين .

ثم اتصل به بعد ذلك ، وقبل أن تنقضي مدة الموادعة ، أنه أرسل الدمستق ـ الذي هو أقرب رجاله درجة اليه وأخصهم به ـ في عدة من السفن كثيرة وجيوش ثقيلة حتى أناخ بها على جزيرة اقرطيش ، وهم في دعوة بني العباس . فلما حل بهم من ذلك ما لا قوام لهم به ، وعلموا أنه ليس عند بني العباس نهضة ولا لهم لديهم نصرة ، أرسلوا مركبا فيه رجال من قبلهم مع وجه من وجوههم الى أمير المؤمنين المعز لدين الله يستغيثون به ويسألونه استنقاذهم واغاثتهم فلم ير صلوات الله عليه ـ وإن كانوا تنكبوا عنه ـ أن يخيب رجاءهم عنده ، ولا أن يسلمهم للمشركين . فأمر عندما اتصل به خبرهم وقبل أن يصل اليه رسولهم ، بالأخذ في الأهبة والعدة ليكون نفوذ الأساطيل اليهم في أول زمان الامكان . ثم قدم الرسول عليه وأدى عنهم ماأرسلوه به اليه .

فرأى أن ينبذ الى المشرك عهده كما أمر الله (تع) بذلك في كتابه ، إن هو أصر على حربهم ، وأمر بكتاب في ذلك اليه ، وأملا ه على الكاتب بحضرة من بين يديه بكلام ما سمعت أجزل ولا أبلغ منه .

فقال بعد أن خيره بين أن يقلع عن حرب اهل اقرطيش وبين أن ينبذ اليه عهده ـ كما نبذ رسول الله (ص) الى مشركي العرب عهدهم وأرسل عليابراءة فقراها في الموسم عليهم ـ ولقول الله اصدق القائلين :« وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم » (٣٥) .

ثم قال له في كتابه (عم):
ولاترى أن دعوة أهل اقرطيش قبل اليوم الى غيرنا وقد انابوا اليوم الينا واستغاثوا بنا ، مما يوجب لك عندنا تمام الموادعة بتركهم اليك وترك اعتراضك فيهم . إن امتناع اهل الباطل من اهل الحق ليس بمزيل حقهم وإن تغلبوا عليه دونهم ، بل هو لهم بتصيير الله (تع) اياه اليهم . فأقرطيش وغيرها من جميع الأرض لنا ، بما خولنا الله منها وأقامنا له فيها ، أطاعنا منها من اطاع وعصانا من عصى، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولابعصيانهم يحق علينا أن نترك ، ولو كان ذلك لكان الأمر اليهم لا لله (تع) الذي خولنا ولا لنا ، إن شاؤوا اعطونا وإن احبوا منعونا ، كلا ! إن ذلك لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الذي اصطفانا وملكنا واعطانا ، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا قتال من امتنع منهم ولا رد ما انتزعوه بالغصب من ايدينا اذا اقدرنا الله على ذلك وبه قوانا .

فإن قلت انت غير ذلك ، وانت ترى ما في يديك لك ، فقد كان رومانس تغلب عليك وعلى أبيك من قبلك ، ثم دارت لكما عليه الدائرة. فإن رايت ان من احتجز شيئا وتغلب عليه فهو له دون صاحب الحق الذي ملكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ولا انتزاع ماصار اليه من بين يديه فهذه سبيل أهل الحق عندنا ، فإن اعترفت لها فقد انصفت وإن جهلتها فلم يكن جهلك اياها حجة على من عرفها . وعهدك إن تماديت على حرب من اناب الينا منبوذ اليك ، فانظر لنفسك ولأهل ملتك فإنا مناجزوك واياهم الحرب بعون الله لنا وتأييده ، ولاحول ولاقوة إلا به .

وفي مثل ذلك الى صاحب مصر :
قال واستمد اهل اقرطيش هؤلاء صاحب مصر وهم من اهل دعوته

تجمعهم دعوة آل عباس ، ومراكبهم بخيرات بلدهم واطعمتها تمير أهل مصر ، وهداياهم تصل الى عمالها ، فعجز عن نصرتهم . وسأل من ينظر لأمير المؤمنين فيما قبله في أن يكتب اليه (صلع) في اغاثتهم واستنقاذهم ، وارسل قوما كانوا منهم قبله ليسألوا امير المؤمنين (صلع) ويرغبوا اليه في ذلك ، ثم اظهر انه ينصرهم ورمى بعض مراكب في البحر لما اتصل به انكار العامة عليه للتخلف عن نصرتهم .

فكتب أمير المؤمنين المعز لدين الله (ص) الى من يكاتبه بمصر جوابا عن كتابه اليه بذلك يخبره انه قد امر باخراج الأساطيل واخذ في عدتها .

وكان فيما كتب به اليه : أن قل لصاحبك : إن الله ـ سبحانه ـ قد خولنا من فضله وامدنا من معونته وتأييده بما نرى انا بحوله وقوته ونصره لنا واظهارنا على عدونا نكف ايدي الكفرة عما تطاولت اليه من حرب هذا الصقع والايقاع بأهله . وقد انتهى الينا انك اظهرت الحركة الى الجهاد وامداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك ، وانت لعمري بذلك أجدر لقربهم منك واتصالهم بك وميرهم بلدك وكونهم واياك في دعوة واحدة . ولو أسلمناهم اليك وقعدنا عنهم لما كان لك ولا لهم علينا حجة في ذلك ، ولكنا اثرنا نصرة امة جدنا محمد (ص) ولم نر التخلف عن ذلك وقد رجونا له ، والقوا بأنفسهم الينا فيه . ونحن لانحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله ، ولانمنعك من تمام ما أملت منه ، فلا يكن مايتصل بك من انفاذ اساطيلنا يريبك عن الذي هممت من ذلك ، وأن تخشى على من تبعث به وعلى مراكبك منا ، فلك علينا عهد الله وميثاقه انا لانكون معهم الا بسبيل خير ، وانا نحلهم محل رجالنا ، ونجعل أيديهم مع أيدينا ونشركهم فيما افاء الله علينا ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا ، ومراكبك مقام اساطيلنا حتى يفتح لنا إن شاء الله ، ثم ينصرفوا اليك على ذلك او يكون من امر الله وقضائه ما هو فاعله . فاعلم ذلك وثق به منا ، ففي تظافر المسلمين على عدوهم واجتماع كلمتهم اعزاز لدين الله وكبت لأعدائه فقد سهلنا لك السبيل ، والله على مانقول وكيل .

فإن وثقت بذلك ورأيت ايثار الجهاد فاعمل على ان تنفذ مراكبك الى مرسى طبنة من أرض برقة ، لقرب هذا المرسى من جزيرة اقـرطيش ، ويكون اجتماعهم مع أسـاطيلنا بهـذا المرسى مسـتهل ربيع الآخـر بتوفيق الله وقوته وتأييده ونصره وعونه.

والا ترى ذلك فقد أبلغنا في المعذرة اليك والنصيحة لك ، وخرجنا مما علينا اليك . ونحن بحول الله وتأييده ونصره وعونه مسـتغنون عنك وعن غيرك ،وعلى عزم وبصيرة في انفاذ أسـاطيلنا ورجـالنا وعدتنا وماخولنا الله إياه واقدرنا عليه مما نرى بحوله وقـوته انا نبلغ بـه مانؤم اليه بذلك ونصمده نحوه . فبـالله نسـتعين ، وعليه نتـوكل ، وعلى تأييده نعول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

رسالة من الخليفة الحافظ الفاطمي الى روجر المتغلب على صقلية

(من صبح الأعشى للقلشندي ج ٦ ص ٤٥٨ ـ ٤٦٣)

من عبد الله ووليه عبد المجيد ابي الميمون الامام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين الى الملك بجزيرة صقلية وانكورية وانطالية وقلورية وسترلو وملف وما انضاف الى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ، وارشده الى العمل بطاعته في مصادره وموارده ٠

سلام على من اتبع الهدى ، وامير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما ٠

أما بعد،عرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ، ففض ختامه واجتلي ٠ وقرىء مضمونه وتلي ، ووقعت الاصاخة الى فصوله ، وحصلت الاحاطة بجمله وتفاصيله ٠ والاجابة تأتي على أجمعه ، ولا تخل بشيء من مستودعه ٠

أما ما افتتحته به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسيعك القول فيما أولاك من إحسانه وكرمه ، فان مواهب الله تعالى ومننه التي جعل تواليها اختبار شكر العبد وامتحانه على انه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور عليم. وهو القائل فيمن أثنى عليهم:(أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)(٣٦) لايزال مضاعفها ومرادفها ومتبعا سالفها آنفها ، وهو يوليها كلا من عبيده بقدر منزلته عنده ، ويخص أصفياءه بأوفى مما تمناه الأمل المبالغ

وده ، والله تبارك وتعالى يمنح أمير المؤمنين وآباءه الأئمة الراشدين ما غدت مستقدمات الحمد والشكر عند لوازمه مستأخرة ، اذ كان أفردهم دون الخليقة أعطاهم الدنيا ثم أعطاهم معها الآخرة. واختصهم من حبائه بما لايحصيه عدد،وخولهم من آلائه بما لايقوم بشكره أحد.

وأما ما ذكرته ، من افتتاحك الجزيرة المعروفة بجربة لما شرحته من عدوان أهلها وعدولهم عن طرق الخيرات وسبلها ، واجترائهم في الطغيان على أسباب لايجوز التغافل عن مثلها واستعمالهم الظلم تمردا ، وتماديهم في الغي تباهيا في الباطل ، وغلوا يأسا من الجزاء لما استبطئوه ، فإن من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمة عنه نائية ، وخليق أن يأخذه الله من مأمنه أخذة رابية ، كما انه من كان من أهل السلامة وسالكا سبيل الاستقامة ،ومقبلاعلى صلاح شأنه ، وغير متعد للواجب في سره واعلانه ، تعين أن توفر من الرعاية سهمه، وتجزل من العناية نصيبه وقسمه ويؤمن ما يقلقه ويزعجه ، ويقصد بما يسره ويبهجه ،ويصان عن أن يناله مكروه ، ويحمى من أذى يلم به ويعروه .

وأما شكرك لوزيرك الأمير تأييد الدولة وعضدها عز الملك وفخره نظام الرياسة أمير الأمراء ، فإن من تهذب بتهذيبك وتخلق بأخلاقك وتأدب بتأديبك لا ينكر منه إصابة المرامي ، ولا يستغرب عنده نجح المساعي ، وواجب عليه أن لا يجعل قلبه إلا مثوى للنصائح ، وأن لا يزال عمره بين غاد في المخالصة

وأما المركب العروس ووصول كتاب وكيله ذاكرا ما اعتمده مقدم أسطولك من صونه وحمايته ، وحفظه ورعايته ، واعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه جار في الديوان الخاص الحافظي ، ففعل يجمل عنك صدره ، ويليق بك أن ينسب إليك ذكره وخبره ، ويدل على علم أصحابك برأيك وإحكام معاقدة المودة ، ويعرب عن إيثارك إبرازها كلما تقادم عهدها في ملابس بهجة مستجدة ، وهذا الفعل من خلائقك

الرضية غير مستبدع ، وقد نخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مقر وأكرم مستودع ، لاجرم أن أوامره خرجت الى مقدمي أساطيله المظفرة بما يجنيك ثمرة ما غرسته ، ويعلي منار ثنائك الذي قدرته على أقوى أصل أسسته ، وقد نفذت مراسميه بإجرائك على غلاتك المستمرة في المسامحة بما وجب للديوان عما وصل برسمك على مراكبك ، وبرسم الأمير تأييد الدولة وزيرك ، والرسولين الواردين عن حق الورود الى ثغر الاسكندرية ، حماه الله تعالى ، ثم الى مصر ، حرسها الله تعالى ، وحق الصدور عنها وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية •

واما شكرك على الاسرى الذين أمر أمير المؤمنين بإطلاقهم إجابة لرغبتك ورسم بتسييرهم إليك محافظة على مرادك وبغيتك فأوزعنا شعارهم انهم عتقاء شفاعتك وارقاء منتك ، فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الراي وكريم النية ومن الشواهد بأنه يوجب لك مالايوجبه لأحد من ملوك النصرانية.

واما سؤالك الآن في إطلاق من تجدد أسره، وإنهاؤك أن ذلك مما يهمك أمره فقد شفعك أمير المؤمنين بالاجابة إليه على ما ألف من كريم شيمته ، وسير إليك مع رسولك من تضمن الثبت ذكر عدته •

وقد علمت ما كان من أمر بهرام ووصوله الى الدولة الفاطمية ـ خلد الله ملكها ـ شريدا طائرا ، قد نبت به أوطانه ، وقذفته دياره ، لامال له ولا حال ، ولا عشيرة ولا رجال ، فقبلته أحسن قبول ، وبلغت به في الاحسان ما يزيد على السول ، وغمرته من الأنعام ما يقصر عن اقتراحه كل أمل ، وجعلته فواضلها يقلب الطرف بين الخيل والخول ، وكانت أموره كل يوم في نمو وزيادة ، وأحواله توفي على البغية والارادة ، إلى أن جرت نوبة اقتضى التدبير في وقتها أن عذقت به الوزارة ، ونيطت به السفارة ، فوسوس له خاطره ما زخرفه البطر وزينه ، وصوره الشيطان وحسنه ، وأظهر ما ظهرت اماراته ووضحت أدلته وعلاماته ، فاستدعى قبيله وأسرته ، وجذمه وعشيرته بمكاتبات منه سرية ، وخطوط عثر عليها بالأرمنية ،

فكانوا يصلون أول أول إلى أن اجتمع منهم عشرون الف رجل من فارس وراجل ، ومن جملتهم أبناء أخيه وغيرهما من أهله ، فدلوه بالغرور ، وحملوه على ما قضى بالاستيحاش منه والنفور ، ووووا عزمه فيما يؤدي الى اضطراب الأحوال واختلال الأمور ، فامتعضت العساكر المنصورة مما أساء به سياستهم ، وأبوا الصبر على ما غير به رسمهم وعادتهم ، فلما رأى أمير المؤمنين ذلك استعظم الحال فيه ، وتيقن أن التغافل عنه يقضي بما يعسر استدراكه وتلافيه ، فكاتب وليه وصفيه الذي ربي في حجر الخلافة ، وسما به استحقاقه الى أعلى درج الانافة ، وحصلت له الرياسة باكتسابه وانتسابه ، وغدا النظر في أمور المملكة لايصلح لغيره ولا يليق إلا به السيد الاجل الأفضل ، وهو يومئذ والي الأعمال الغربية ،وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعره بهذا الأمر الصعب ، وتستكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب ، فأجاب دعاءه ولبى نداءه ، وقام قيام مثله ممن أجزل الله حظه من الايمان ، وجعله جل وعز حسنة هذا الزمان واختصه بعناية قوية ،وأمده بمواد علوية ، وايده باعانة سماوية ،تخرج عن الاستطاعة البشرية • فجمع الناس وقام خطيبا فيهم بأعمالهم على ما يزلفهم عند الله ويحظيهم ، وموضحا لهم ما يخشى على الدولة من الأمر المنكر ، فاجتمعوا إليه كاجتماعهم يوم الحشر ، وغصت النجود والأغوار ، وامتلأت السهول والأوعار ، وضاقت الأرض على سعتها بالخلائق ، وارتفعت في توجههم لطلب المذكور الأعذار والعوائق ، ولم يبق فضاء ، الا وهو بهم شرق ولاأحد الا وهو منزعج بقصده وعلى تأخر ذلك قلق ، وكان بهرام وأصحابه بالاضافة اليهم كالشامة في اللون البسيط ، وكالقطرة في البحر المحيط ، وساروا مع السيد الأجل نحوه مسارعين وعلى الانقضاض عليهم متهافتين . فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ، ولاذ بالهرب والفرار ، يهجر المناهل ويطوي المراحل ويرى الشرود غنما ، ويعد السلامة حلما . واستقرت وزارة أمير المؤمنين لهذا السيد الأجل الافضل الذي لم تزل فيه راغبة ، وله خاطبة ، ونحو توليه اياها متطلعه ، والى نظره فيها مبادرة متسرعة ، ولم تنفك لزينة دستها

مستبطئة وفي التلهف على تأخر ذلك معيدة مبدئة ، فأحسن الى الكافة قولا وفعلا ، وعمل في حق الدولة ما لم يجعل له في الوزراء شبها ولا في الملوك العظماء مثلا ، وغدا للملة الحنيفة حجة وبرهانا ، واولى الأولياء اعزازا وتكريما ، والأعداء اذلالا واهوانا وصان الخلافة عن نفاذ حيلة وتمام غيلة، ومخادعة ماكر ، ومخاتلة غادر ، فلذلك انتضاه امير المؤمنين حساما باترا ماضي الغرار ، واجتباه هماما في المصالح لايطعم جفنه غير الغرار ، واصطفاه خليلا وظهيرا لتساوي باطنه وظاهره في الصفاء ، واستخلصه لنفسه لفاخره الجمة التي ليس بها من خفاء ، وانتظمت الأمور بكفالته في سلك الوفاق ، وعمت الخيرات بوزارته عموم الشمس بأنوارها جميع الآفاق ، فسعدت بنظره الجدود ، وتظاهرت ببركاته اليامن والسعود واصبح غصن المعالي بيمنه مورقا ، وعلى الملة من يمن ارائه تمائم من مس الحوادث ورقى ، فآثاره توفي على ضياء الصباح ، وعزماته تزري بمضاء المهندة الصفاح ، وماثره تفوت شأو الثناء وغاية الامتداح . فالله تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظية ، ويوزع شكره على سبوغها كافة البرية بكرمه وفضله ومنه وطوله.

ولما امعن بهرام في الهرب وجدت العساكر المنصورة وراءه في المطلب وضاقت عليه المسالك ، وتيقن انه في كل وجهة يقصدها هالك ، عاد لمكارم الدولة وعواطفها وسأل امانا على نفسه من متالفها ، فشملته الرحمة وكتب له الأمان فعاودته النعمة ، واختلط برجال العساكر المنصورة ، وصار حظه بعد ان كان منحوسا من الحظوظ الموفورة. واما اعتذار الكاتب عما وجه اليه بأن من الكلام ما اذا نقل من لغة الى لغة أخرى اضطرب معناه فاختل معناه ، ولاسيما ان غرس فيه لفظ ليس في إحدى اللغتين ، فقد أبان فيما نسب اليه السهو فيه عن وضوح سببه ، وقد قبل عذره ولم تفك يده على التمسك به .

واما ما سيرته الى خزائن امير المؤمنين تحفة وهدية ، وانبت به عن همة بدواعي المجد ملية ، فانه وصل وتسلم كل صنف منه متولي الخزائن المختصة به بعد عرضه على الثبت المعطوف كتابك عليه

وموافقته ،وقد أجري رسولك في إكرامه وملاحظته على افضل ما يعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته ، وعلى قدر من وصل برسالته • وقد سير أمير المؤمنين من أمراء دولته ، ووجوه المتقدمين بحضرته ، الأمير المؤتمن المنصور المنتجب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، فخر الملك ، مولى الدولة وشجاعها ، ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفرا الحافظي ، رسولا بهذه الاجابة ، لما هو معروف من سداده ، وموصوف من مستوفق قصده ومستصوب اعتماده ، والقى إليه ما يذكره ويشرحه ، وعول عليه فيما يشافه به ويوضحه ، وأصحبه من سجاياه والطافه ما تضمنه الثبت الواصل على يده ، إبانة لمحلك عنده وموقفك منه ، ومكانك لديه ، وأمير المؤمنين متطلع الى ورود كتبك متضمنة من سار انبائك وطيب اخبارك ما يسكن الى معرفته ، ويثق بعلم حقيقته ، فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى •

تعميم صدر عن يوسف بن تاشفين بشأن اتخاذه للقب أمير المسلمين

(من الحلل الموشية ص ٢٩ ـ ٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وعلى اله وصحبه وسلم تسليما •

من أمير المسلمين، وناصر الدين، يوسف بن تاشفين •
الى الاشياخ والاعيان والكافة والخاصة من اهل « الفلانه » ادام الله كرامتهم بتقواه ، ووفقهم لما يرضاه •
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته •

اما بعد : حمداً لله اهل الحمد والشكر ، ميسر اليسر ، وواهب النصر ، والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، وانا كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله ، في منتصف محرم سنة ست وستين واربعمائة ، وانه لما من الله علينا بالفتح الجسيم ، واسبغ علينا من انعمه الظاهرة والباطنة ، برود النعيم ، وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم ، صلى الله عليه وعلى اله افضل الصلاة واتم التسليم ، راينا أن نخصص انفسنا بهذا الاسم ، لنمتاز به عن سائر امراء القبائل ، وهو « امير المسلمين وناصر الدين » فمن خاطب الحضرة العلية السامية ، فليخاطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى ، والله ولي العدل بمنه وكرمه ، والسلام•

رسالة جوابية من المتوكل على الله بن الأفطس الى الفونسو السادس

(من الحلل الموشية ص ٣٦ ـ ٣٧)

وقد وصل الينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير ، وأحكام العزيز القدير ، يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ويفرق، ويهدد بجنوده الوافرة ، وأحواله المتضافرة ، ولو علم أن لله جنودا أعز بهم ملة الاسلام ، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام :
« اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم(٣٧) » ، بالتقوى يعرفون ، وبالتوبة يتضرعون وينصرون ، ولئن لمعت من خلف الروم بارقة فباذن الله« وليعلم المؤمنين(٣٨) »« وليميز الله الخبيث من الطيب(٣٩) »« وليعلمن المنافقين(٤٠) » .

واما تعييرك للمسلمين فيما وهن من أحوالهم ، وظهر من اختلالهم ، فبالذنوب المركوبة ، والفرقة المكتوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الاملاك ، لعلمت أي صاب أذقناك ، كما كانت أباؤك مع أبائنا تتجرعه ، فلم تزل تذيقها من الحمام ، وضروب الآلام ، شر ما تراه وتسمعه ، وأداء المال تتوزعه ، وبالامس كانت قطيعة المنصور(٤١) على سلفك اهداء ابنته اليه ، مع الذخائر التي كانت تفد في كل عام عليه .

واما نحن ، وان قلت أعدادنا ، وعدم من المخلوقين استمدادنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا صعب نروضه ، الا سيوفا تشهد بحدتها رقاب قومك ، وجلادا تبصره في ليلك ويومك ، وبالله تعالى وملائكته المسومين ، نتقوى عليك ، ونستعين ، ليس لنا سوى الله

مطلب ، ولا لنا الى غيره مهرب ، ومـــا « تـــربصون بنا إلا إحـــدى الحسنيين(٤٢) »: نصر عليكم ، فيالها من نعمة ومنة ، أو شـــهادة في سبيل الله ، فيالها من جنة ، وفي الله العوض مما به هددت ، وفـــرج يبتر ما مددت ، ويقطع بك فيما أعددت •

obeikandl.com

رسالة المتوكل على الله بن الأفطس الى يوسف بن تاشفين يستنجد به

(من الحلل الموشيه ص ٣٤ ـ ٣٥)

لما كان نور الهدى ـ ايدك الله ـ دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ، ووضحت في الصلاح معالمك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم بأنك لدولة الاسلام أعز ناصر ، وعلى غزو الشرك أقدر قادر ، وجب أن تستدعى لما أعضل الداء ، وتستغاث فيما أحاط بالجزيرة من البلاء.

فقد كانت طوائف العدو تطيف بها عند افراط تسلطها واعتدائها وشدة ظلمها ، واستشرائها ، تلاطف بالاحتيال وتستنزل بالاموال ويخرج لها من كل نخيرة ، وتسترضى بكل خطيرة ٠

ولم يزل دابها التشطط والعناد ،ودابنا الاذعان والانقياد ، حتى نفد الطارف والتلاد ، واتى على الظاهر والباطن النفاد ، وأيقنوا الآن بضعف المنن ، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن ، واضرمت في كل جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ، ومن أخطأه القتل منهم ، فإنما هم في أيديهم أسارى وسبايا يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد هموا بما أرادوه من التوثب ، واشرفوا على ما أملوه من التغلب ، فياالله ، ويالمسلمين ، أيسطو هكذا بالحق الافك ، ويغلب التوحيد الشرك ، ويظهر على الايمان الكفر ، ولايكشف هذه البلية إلا النصر ٠

الا ناصرا لهذا الدين المهتضم ، الا حاميا لما استبيح من حمى الحرم ؟ وانا لله على ما لحق عبيده من ثكل ، وعزه من ذل ،فانها الرزية التي ليس فيها عزاء ، والبلية التي ليس مثلها بلاء ٠

ومن قبل هذا ماكنت خاطبتك ، اعزك الله بالنازلة في مدينة قورية(٤٣) ، أعادها الله للاسلام ، وأنها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ولمن فيها من المسلمين بالجلاء ،ثم مازال ذلك التخاذل والتدبير يتزايد ، حتى تخلطت القضية ، وتضاعفت البلية ، وتحصلت بيد العدو مدينة سرية(٤٤) ، وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع في التحصن والامتناع ، وهي من المدينة كنقطة الدائرة ، تدركها من جميع الجهات ، دائرة بنواحيها ، ويستوى في فء الارض بها قاصيها ودانيها ، وما هو إلا نفس خافق ، ورمق زاهق ، استولى عليه عدو مشرك ، وطاغية منافق ، ان لم تدركوها بجماعتكم عجالا ، وتبادروا ركبانا ورجالا ، وتنفروا نحوها خفافا وثقالا ، وما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله ، فانكم له أتلى ، ولا بما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكم الى معرفته أهدى ، وفي كتابي هذا(الذي يحمله اليكم) الشيخ الفقيه الواعظ (مسائل مجملة)يفصلها ويشرحها ، ومشتمل على نكت هو يبينها لكم ويوضحها فإنه ـ لما توجه نحوك احتسابا ، وتكلف المشقة اليك طالبا ثوابا ـ عولت على بيانه ، ووثقت بفصاحة بيانه ، والسلام.

رسالة من الفونسو السادس الى المعتمد بن عباد وجواب المعتمد عليها

(من الحلل الموشية ص ٣٨ ـ ٤١)

من الكنبيطور ، ذي الملتين ، الملك الفاضل ، الأذفنش بن شانجه ، الى المعتمد بالله سدد الله آراءه ، وبصره مقاصد الرشاد : سلام عليك ، من مشيد ملك شرفته القنا ، ونبتت في ربعه المنى ، فاعتز الرمح بعامله ، والسيف بساعد حامله ، وقد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها ، وما صار بأهلها حين حصارها ، فأسلمتم اخوانكم ، وعطلتم بالدعة زمانكم ، والحذر من أيقظ باله ، قبل الوقوع في الحبالة ، ولولا عهد سلف بيننا ، نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء أمامه ، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو وارده ، لكن الانذار ، يقطع الأعذار ، ولايعجل الا من يخاف الفوت فيما يرومه ، أو يخشى الغلبة على ما يسومه ، وقد حملنا الرسالة اليكم القرمط البر هاذس ، وعنده من التسديد الذي يلقى به أمثالك ، والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك ، مما أوجب استنابته فيما يدق ويجل ، وفيما يصلح لافيما يخل وأنت عندما تأتيه من أرائك ، والنظر بعد هذا من ورائك ، والسلام عليك ، يسعى بيمينك وبين يديك .

ولما وصل هذا الكتاب الى المعتمد بن عباد ، جاوب عنه بخطه من نظمه ونثره ، بما نصه:

الذل تأباه الكرام وديننا
لك ما ندين به من البأساء
سمناك سلما ما أردت وبعد ذا
نغزوك في الاصباح والامساء

الله اعلى من صليبك فادرع
لكتيبة حطمتك في الهيجاء

سوداء غابت شمسها في غيمها
فجرت مدامعها بفيض دماء

مابيننا الا النزال وفتنة
قدحت زناد الصبر في الغماء

فلتقدمن اذا لقيت أسنة
زرقا ترى بالوجنة الوجناء

في أبيات كثيرة.

وبعد ذلك : من المنصور بفضل الله ، المعتمد على الله ، محمد بن المعتضد بالله ، أبى عمرو بن عباد ، الى الطاغية الباغية انفنش بن شانجة ، الذي لقب نفسه بملك الملوك ، وسماها بذى الملتين ، قطع الله دعواه.

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإنه أول ما نبدأ به من دعواه ، انه « ذو الملتين » والمسلمون أحق بهذا الاسم ، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد ، وعظيم الاستعداد ، ومجبى المملكة ، لاتملكه قدرتكم ، ولاتعرفه ملتكم ، وانما كانت سنة سعد أيقظ منها مناديك ، واغفل عن النظر السديد جميل مباديك ، فركبنا مركب عجز نسخه الكيس ، وعاطيناك كؤوس دعة ، قلت في اثنائها : ليس ، ولاتستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك ، وانا لنعجب من استعمالك برأي لم تحكم انحاؤه ، ولاحسن انتحاؤه ، واعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار ، واغتررت بنفسك أسوا الاغترار ، أما تعلم أنا في العدد والعديد ، والنظر السديد ، ولدينا من كماة الفرسان ، وجيل الانسان ، وحماة الشجعان ،يوم يلتقي الجمعان ،رجال تدرعوا الصبر وكرهوا الكبر ، تسيل نفوسهم على حد الشفار،وتتغاهم الهام في القفار(٤٥)يديرون رحى المنون بحركات العزائم ، ويشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم(٤٦) قد أعدوا لك

ولقومك جلادا ، رتبه الاتفاق ، وشفارا حدادا ، شحذها الاصفاق ، وقد يأتي المحبوب من المكروه ، والندم من عجلة الشرور، نبهت من غفلة طال زمانها ، وايقظت من نومه تجدد أمانها ، ومتى كانت لأسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يد صاعدة ، أو وقفة متساعدة ، الا ذل تعلم مقداره ، وتتحقق مناره ، والذي جراك على طلب ما لا تدركه قوم كالحمر :« لايقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جد ر (٤٧) » ، ظنوا المعاقل تعقل ، والدول لاتنتقل ، وكان بيننا وبينك من المسالمة ، ما اوجب القعود عن نصرتهم ، وتدبير أمرهم ، ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا وفيهم ، من ترك الحزم ، واسلامهم لأعاديهم ، والحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك ، بما الموت دونه ، وبالله نستعين عليك ، ولانستبطىء في مسيرتنا اليك ، والله ينصر دينه الكريم :« ولو كره الكافرون »(٤٨)، والسلام على من علم الحق فاتبعه واجتنب الباطل وخدعه.

رسالتا استصراخ من المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين وجواب يوسف عليهما

(من الحلل الموشية ص ٤٥ ـ ٥٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

الى حضرة الامام ، امير المسلمين ، وناصر الدين ، محيي دعوة الخليفة ، الامام امير المسلمين ، ابي يعقوب يوسف بن تاشفين .

من القائم بعظيم اكبارها ، الشاكر لاجلالها ، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها ، اللائذ بحرمها ، المنقطع الى سمو مجدها ، المستجير بالله ، وبطولها ، محمد بن عباد .

سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية ، المعظمة السامية ، ورحمة الله وبركاته .

وكتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية غرة جمادى الأولى سنة تسع وسبعين واربعمائة ، وانه ايد الله امير المسلمين ، ونصر به الدين ، انا نحن العرب في هذه الأندلس ، قد تلفت قبائلنا ، وتفرق جمعنا ، وتغيرت انسابنا ، بقطع المادة عنا من معيننا ، فصرنا شعوبا لاقبائل ، واشتاتا لاقرابة ولاعشائر ، فقل ناصرنا ، وكثر شامتنا ، وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين انفذش ، وأناخ علينا بكلكله ، ووطئنا بقدمه ، واسر المسلمين ، وأخذ البلاد والقلاع والحصون ، ونحن اهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصرة جاره ، ولاأخيه ، ولو شاؤوا لفعلوا ، الا أن الهوان منعهم عن ذلك ،

وقد ساءت الأحوال ، وانقطعت الآمال ، وأنت أيدك الله ، ملك المغرب ابيضه واسوده ، وسيد حمير ، ومليكها الأكبر ، واميرها وزعيمها (٤٩) ، ونزعت بهمتي اليك ، واستنصرت بالله ثم بك ، واستغثت بحرمكم ، لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر ، وتحيوا شريعةالاسلام وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم ، والأجر الجسيم ، ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، والسلام الكريم على حضرتكم السامية ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

الى الملك المؤيد بفضل الله امير المسلمين ،وناصر الدين ،وزعيم المرابطين ، أبي يعقوب بن تاشفين نور الله به الآفاق ، وجمع به الجيوش والرفاق.

من الملك المفضل بنعمة الله ، المستجير برحمة الله ، المعتمد على الله ، محمد بن عباد ، سلام على حضرةتجرد ايمانها ، واشتهر امانها ، أما بعد :

فإن الله سبحانه أيد دينه بالاتفاق والائتلاف ، وحرم مسالك الشتات ودواعي الاختلاف ، وأنعم على عباده بأمير جديد « وقوم أولى بأس شديد »(٥٠) وتطول علينا بمعلوم جدك ، ومشهور جدك ، وقد جعلك رحمة يحيي غيثها ربوع الشريعة ، وخلقك سلما الى الخير وذريعة ، وقد طرأ على الاسلام حادث أنسى كل هم ، وهمت الذكبات بوقوعه وهم ، وذلك عدو أطمعه في البلاد شتات وبين ، واختلاف سببه لم تطرف له في الدعة عين ، يقوى ونضعف ، ويتفق ونختلف ، وننام مطمئنين من آفات الزمان ، وتناسخ الأمان ، وقد جاءنا ابراقة وارعاده ، ووعده وايعاده ، لنسلم له المنابر والصوامع ، والمحارب والجوامع ، ليقيم بها الصلبان ، ويستنيب بها الرهبان ، ومما يطمعه استمالته ايانا بالدعة ، واملاؤه في الرحب والمتعة ، استجرارا لما أبطنه ، واهجاما علينا وطنه .

وقد وطد الله لك ملكا شكر الله عليه ، جهادك ، وقيامك بحقه

واجتهادك ، ولك من نصر الله خير باعث ، يبعثك الى نصر مناره ، واقتباس نوره وناره ، وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته ويحضر الحرب بآلاته ، فإن شئت الدنيا فقطوف دانية ، وجنات عالية وعيون آنية وإن أردت الأخرى فجهاد لايفتر ، وجلاد يحز الغلاصم ويبتر ، هذه الجنة أدخرها الله لظلال سيوفكم ، واجمال معروفكم ، نستعين بالله و ملائكته ، وبكم على الكافرين ، كما قال الله سبحانه ، وهو أكرم القائلين :« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (٥١) .

والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها ،ونعمة الاسلام نشكرها ورحمة الله نتحد ثبها وننشرها ،والسلام الموصول الجزيل على أمير المسلمين ،وناصر الدين ،ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما.

من أمير المسلمين ، وناصر الدين ، محيي دعوة أمير المؤمنين . الى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله ، المعتمد على الله ، ابي القاسم ابن عباد ، أدام الله كرامته بتقواه ، ووفقه لما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، اما بعد :

فانه وصل خطابكم المكرم ، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك ، وما ذكرته من كربتك ، وما كان من قلة حماية جيرانك ، فنحن يمين لشمالك ، ومبادرون لنصرتك وحمايتك ، وواجب علينا ذلك من الشرع ، وكتاب الله تعالى ، وإنه لايمكننا الجواز الا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء ، تكون لنا ، لكي يكون جوازنا اليك على أيدينا متى شئنا ، فإن رأيت ذلك فأشهد به على نفسك ، وابعث الينا بعقودها ، ونحن في اثر خطابك ، إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

رسالة الفونسو السادس الى يوسف بن تاشفين ورد يوسف عليها قبل وقوع معركة الزلاقة

(من كتاب أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب
ج ٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٠)

من امير النصرانية أذفونش بن فرلند إلى يوسف بن تاشفين ، اما بعد فانك اليوم امير المسلمين ببلاد المغرب وسسلطانهم ، واهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي ، وقد اذللتهم بأخذ الجزية منهم وبالقتل والأسر والذل والقهر ، وانا لا اقنع إلا بأخذ البلاد وقد وجب عليك نصرهم لأنهم اهل ملتك ، فأما أن تجوز إلي ، واما أن ترسل إلي المراكب اجوز اليك ، فان غلبتني كان ملك الأندلس والمغرب اليك ، وان غلبتك انقطع طمع الأندلس من نصرك اياهم فان نفوسهم متعلقة بنصرتك لهم ».فلما وصل اليه كتابه امر أن يكتب له على ظهر كتابه:«من أمير المسلمين يوسف الى أذفونش ، اما بعد فان الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه باذنك ، والسلام على من اتبع الهدى ، واردف الكاتب بيت أبي الطيب :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا
ولا رسل إلا الخميس العرمرم

رسالة من الفونسو السادس الى يوسف بن تاشفين

(حسب رواية صاحب الحلل الموشية ص ٤٢ - ٤٣)

من أمير الملتين اذفنش بن شانجة بن فراندة إلى الأمير يوسف بن تاشفين ، اما بعد :

فلا خفاء على ذي عينين انك أمير المسلمين ، بل الملة المسلمة ، كما انا أمير الملة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التخاذل ، والتواكل ، والاهمال للرعية ، والاخلاد الى الراحة ، وانا اسومهم الخسف ، ، فأخرب الديار ، واهتك الأستار ، واقتل الشبان ، واأسر الولدان ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم ، ان أمكنتك فرصة هذا ، وانتم تعتقدون ان الله تبارك وتعالى ، فرض على كل واحد منكم قتال عشرة منا ، وان قتلاكم في الجنة ، وقتلانا في النار ، ونحن نعتقد أن الله اظفرنا بكم ، واعاننا عليكم ، ولا تقدرون دفاعا ، ولا تستطيعون امتناعا ، وبلغنا عنك انك في الاحتفال ، على ذية الاقبال فلا أدري أكان الجبن يبطيء بك ، أم التكذيب بما انزل اليك ، فان كنت لا تستطيع الجواز ، فابعث إلي ما عندك من المراكب لأجوز اليك ، وانا اقاتلك في أحب البقاع إليك ، فإن غلبتني فتلك غنيمة جلبت اليك ونعمة مثلت بين يديك ، وان غلبتك كانت لي اليد العليا ، واستكملت الامارة ، والله يتم الارادة .

فأمر امير المؤمنين يوسف بن تاشفين ، أن يكتب اليه على ظهر كتابه : جوابك يا اذفنش ما تراه لا ما تسمعه ، ان شاء الله ، وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب المتنبي :

ولا كتب الا المشرفية والقنا
ولا رسل الا الخميس العرمرم (٥٢)

رسالتا بشارة بنصر الزلاقة من المعتمد بن عباد الى اهل اشبيلية

(من الحلل الموشية ص ٦٣- ٦٦)

لما فرغ الناس من القتال في الزلاقة ، تناول ابن عباد اضبارة كاغد ، على عرض الأصبع وكتب فيها سطرين :«الى ابني الرشيد وفقه الله اعلم انه التقت جموع المسلمين بالطاغية أذفنش اللعين ، ففتح الله للمسلمين ، وهزم على ايديهم المشركين ، والحمد لله رب العالمين ، فاعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين ، والسلام .

وكان ذلك عند الزوال من الجمعة ، وعلق الاضبارة في جناح حمام كان احتمله معه لهذا الحال ، فكان الناس باشبيلية اقنط ما كان في ذلك اليوم ، فوصل الحمام من يومه ، وقرئت على الناس بمسجد اشبيلية ، فعم السرور ، وكثر الدعاء.....

ولما كان يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسع وسبعين واربعمائة ، سنى الله امرا يسر أسبابه ، وفتح لنا الى الفرج والفتوح بابه ، وعطف علينا القابل للتوب ، الغافر للذنب ، والتقينا مع الطاغية الباغية ، الذي أجاب الموت داعيه وأخزى التوفيق مساعيه ، بعد غدر ابداه ، وجرى فيه مداه ، وكان تواعدنا معه لنلتقى في سواه ، فأتى والنقض يجرر ذيل مخزاه ، والغيب يشهد عليه بما ارداه ،والغدر يعلمنا انه طعمة من نواه ، فاستبشرنا انه ابتدأ بالغدر الذي يرديه ، وتعجل سلوك طريق لا تهديه ، وتحققنا انها مقدمة فتح سبقت ، ونواسم سعد عبقت ، والنصر لا تخفى دلائله ، واليمن لا تستره غلائله ، فتدارك اخواننا المسلمون بالنصاف ، وتصافحوا بالاعتراف والانصاف ، وجرت البسائط

ذيول الزرد وشكرت الشفار فعل الصقيل الفرند ، ولما احلولك ليل الحرب واغطش ، وغار ماء ثبجها فأعطش ، طلع فجر السعادة فانجح ، ونادى من كتب السلامة : اصبح ، اصبح ، وعن قريب طلعت شمسها تشرق ، وتهلك الكافرين وتحرق ، وليس دونها حجاب يستر شعاعها ، ويحجب لماعها ، ولما تسامتت الرؤوس ، واحدق الرئيس بالمرؤوس ،ظلدنا نرتب الجماجم ، وكأنها من اعجب احلام نائم ، ولما صعد المؤذنون أكواما بنتها أيدي الأيد من هاماتهم وحصدتها بواتر قطعتها بلاماتهم ، أعلنوا بكلمة الأخلاص فوق آذان وعت ، ماكانت عنه صمت ، وأدمغة أنزلها الندم على ماكانت به همت ، وقرت العيون وانشرحت الصدور ،« وأشرقت الأرض»(٥٣) كلها بهذا الذور ، وهذا وفقكم الله فتح الفتوح ، أنذر بين يدي نجواه (٥٤) ، بنصر يعجز عنه الحصر.

وقد كان في أول اللقاء جولة على المسلمين ، قضى الله بالشهادة فيها ، لمن اهتم بأمانيها ، ثم أنزل سكينته ، فخطبت نصال المسلمين، رقاب الكافرين ، فاذكحتها ابكارا ، صانتها حجال المغافر ، وحجبتها ستور الطوارق عن عيون البواتر ، ولا مهر الا ما نووه من كرم نفوس ، جادت متطوعة ، ومشت الى الخيرات مسرعة فنفلهم الله انفالا ، ووعدهم بالنصر ، فأوف لهم .

فتلقوا رحمكم الله هذه النعم بالشكر ، كما تلقينا ، وقولوا الحمد لله رب العالمين على نعم اصبحنا فيها ، وأمسينا ، والله يصلها بالتأييد ، ويتبعها بالتوفيق والتسديد ، والسلا م .

ولما قضى الله بهذا الفتح الجليل ، والصنع الجميل ، اقام المسلمون في جمع اسلابهم ، وضم عددهم مدة أيام ، فامتلات ايديهم بالغنائم الوافرة ، والسبي الكثير ، واكتسبت الناس فيها من الات الحروب ، والأموال ، وسيوف الحلى ، ومناطق الذهب والفضة ما اغناهم .

وكان يوما لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسية ، فياله من فتح ما كان أعظمه ، ويوم كبير ما كان أكرمه ، فيوم الزلاقة ثبت قدم

الدين بعد زلاقها ، وعادت ظلمة الحق الى اشراقهـا ، نفسـت مخنق الجزيرة بعض التنفس ، واعتز بها رؤوساء الأنداس ، فجـزى الله امير المسلمين ، وناصر الدين ، ابا يعقوب يوسـف بـن تـاشفين ، افضل الجزاء ، بما بل من أرماق ، ونفس مـن خناق ، وصـل لنصر هذه الجزيرة من حبـل ، وتجشـم الى تلبية دعائهـا ، واسـتبقاء ذمائها (٥٥)، من حـزن وسـهل ، حتـى هـزم على يده اعداء الله المشركون . وظهر أمر الله وهم كارهون .

رسالتا بشارة بنصر الزلاقة ارسلتا الى اشبيلية

(من الذخيرة لابن بسام ق ٢ ج ١ ص ٢٤١)

كتبت صبيحة يوم السبت الثالث عشر من رجب ، وقد أعز الله الدين وأظهر المسلمين ، وفتح لهم بفضله على يدي مسعانا الفتح المبين ، بما يسر الله في أمسه وسناه ، وقدره سبحانه وقضاه ، من هزيمة أذفونش بن فرذلند ، أصلاه الله - إن كان طالح الجحيم ، ولا أعدمه - إن كان أمهل - العيش الذميم كما قنعه الخزي العظيم ، واتيان القتل على أكابر رجاله وحماته ، وأخذ النهب في سائر اليوم والليلة المتصلة به الى جميع محلاته ، وحضور العدد الوافر بين يدي رؤوسهم ، ولم يحتز منها إلا ما قرب ، وامتلاء الأيدي مما قبض ونهب ، واتخذ الناس هاماتهم صوامع يؤذنون عليها ، ويشكرون الله تعالى على ما صنع فيها ، والتتبع بعد اثارهم ، وتمادي الطلب من وراء فرارهم ، والذي لا مرية فيه أن الناجي منهم قليل ، والمفلت من سيوف الهند بسيوف الجوع والبعد مقتول ولم يصبني بحمد الله إلا جرح أشوى ، وعنت رغب حسن المآل عندي وزكى ، فلا يشتغل لك بال ، ولاتتوهم فيه غير ما أشرت اليه ، والحمد لله على ماصنع حق حمده ، وهو أهل المزيد الذي لايرجى الا من عنده.

وقد علم ماكنا عليه قبل مع عدو الله أذفونش بن فرذلند قصمه الله ، من تطأطؤنا واستعلائه ، وتقامئنا وانتخائه ، وانا لم نجد لدائه دواء ، ولا لبلائه انقضاء ، ولا لمدة الامتحان به فناء ، إلى أن سنى الله تعالى من استصراخ أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، معقلي الأحمى - أيده الله - ما سنى ، وأدنى من نأي دياره وشحط مزاره ما أدنى فلم أزل أصل بيني وبينه الأسباب ، واستفتح إلى ما كنت أتخيل من نصره الأبواب ، الى أن

ارتفعت الموانع قبله ، وانتهجت السبل القصية له ، ثم أجـاز - على بركة الله وعونه - يريش ويبري ، وصار بعد قـدما يخلق ويفـري ، ويتتبع وجوه الحزامة كيفما اتجهت ويستقري ، وانا أنجده بوسعي واسعده على حسب ما يطيقـه ذرعي ، الى أن صرنا معشر الحلفـاء ببطليوس - حرسها الله - واتفق رأينا بعـد تشـاور على قصـد قورية - حرسها الله - وسمع العدو - لعنه الله - بـذلك فصـمد من محتشده اليها في جيوش تملأ الفضاء ، وتسد الهواء ، وتمنع أن تقع على ما تحت راياته ذكاء ، قد تحصنوا بالحديد من قـرونهم إلى اقدامهم ، واتخذوا من السلاح ما يزيد في جـرأتهم وأقـدامهم ، ولما اشرف على جنابها ، ولسنا بها ، ودنا من أعلامها ، ولم يتجه لنا بعد ما أردنا من المامها ، دعاه تعاظمه إلى مواجهة سبيلنا ، وحمله نفجه وتهوره على السلوك في مدرج سيولنا .

وفي فصل منها : فـدنونا اليه بمحـلاتنا - نصرهـا الله - ثـم اضطربناها بإزائه ، واطللنا عليه برياتنا حتى كدنا نركزهـا بفنائه - لعنه الله - ما اعتمدناه من إصغاره وإخزائه ، فأجمع مضـطرا على اللقاء ، وقدم بعض أخبيته دهشا في الرقعة التي كانت بيننا على صغرها من بساطة الفضاء ، وقـد تيقـن أنه إن أخـذ المسـلمون مصافهم ، ورتبوا في مواقعهم كوافهم ، اصطلم عن اخره جمعـه ، و اجتث أصله وفرعه ، فاهتبل فيما قدره غرة ، وحمـل ولم يكن - بحمد الله - ما اسـتشعره مـرة ، فتنادى المسـلمون بشـعارهم المنصور ، واقبلوا عليه وعلى من معـه في حـال مـؤذنة بـالظهور و الوفور ، فتواقف قليلا الجمعان ، وتجول مليا الفريقان وللسـيوف حكمها ، ومن الحتوف حدها المفهـوم ورسـمها ، ثـم صـدق أمير المسلمين وناصر الدين - أيده الله - الحملة ، وصدم في جمـع لم يكثـر عدد الجملة ، فلم يلبـث أعداء الله أن ولوا الأدبـار ، واستصرخوا الفرار ، واتبعهم خيل المسـلمين - نصرهـم الله - بقية اليوم والليلة ، تقتلهم في كل غور ونجد وتقتضي أرواحهم على حالين مـن كالـيء ونقـد ، ولم يخلص منهـم على أيدي المتبعين - أجرهم الله - إلا من سيلتهمه البعد ، ويأتي على حشاشته الجهد ،

و أما محلتهم فانتهبت في أول وهلة ، وشربت بأسرها في نهلة .

وفي فصل منهما :

ولم يصب بحمد الله من المسلمين – وفرهم الله – على هول المقام ، وشدة الاقتحام ، كثير ، ولا مات من أعلامهم تحت تلك الجولة إلا عدد يسير ، فإن كان أذفونش – لعنه الله – لم يمت تحت السيوف بددا فسيموت لا محاله أسفا وكمدا ، ونحمد الله على مايسره من هذا الفتح الجليل وسناه ، ومنحه من هذا الصنع ا لجميل وأولا ه .

رسالة تهنئة من أبي عبيد البكري الى المعتمد بن عباد بعد نصر الزلاقة

(من الذخيرة لابن بسام ق٢ ج١ ب٢٣٧)

أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ، ذي الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، وهنأ ما منحه من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر ، بطابع السعد يا مولاي ابت ، وبسانح اليمن عدت ، وبكنف الحرز عذت ، وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم البر سعيت ، وبجنة العصمة أتيت ، وبسهم السداد رميت وأصميت ، صدر عن أكرم المقاصد ، وأشرف المشاهد وعود بأجل ما ناله عائد ، وأب به وارد ، فتوح أضحكت مبسم الدهر ، وسفرت عن صفحة البشر ، وردت ماضي العمر ، وأكبت واري الكفر ، وهزت أعطاف الأيام طربا ، وسقت أقداح السرور نخبا ، وثنت أمال الشرك كذبا ، وطوت أحشاء الطاغية رهبا ، فذكرها زاد الراكب وراحة اللاغب ، ومتعة الحاضر ونقلة المسافر :

بها تنفض الأحلاس في كل منزل
وتعقد أطراف الحبال وتطلق

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة ، وشفت الملة ، وبردت الغلة ، وكشفت العلة.

كان داء الاشراك سيفك واشت
دت شكاة الهدى وكان طبيبا

فغدا الدين جديدا ، والاسلام سعيدا ، والزمان حميدا ، وعمود

الدين قائما ، وكتاب الله حاكما ، ودعوة الايمان منصورة ، وعين الملك قريرة فهنأ الله مولانا وهنأنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشهية مواقعها المشهورة أثارها ، المأثورة أخبارها ، ونصر الله أعلامه ففي البر تحل وتعقد ، وعضد حسامه ، فبالقسط يسل ويغمد وايد مذاهبه فبالتحزم تسدى وتلحم ، وأمد كتائبه ففي الله تسرج وتلجم.فكم فادح خطب كفاه ، وظلام كرب جلاه ، وميت حق أحياه ، وحي باطل ارداه وكم جاحم ضلالة أطفأ ناره ، وناجم فتنة قلم أظفاره ، ومغلول أسنة أرهف شفاره ومستباح حرمة حمى ذماره.

فلله هذه المساعي الكريمة ، والمنازع القويمة ، المتبلجة عن ميمون النقيبة ومحمود العزيمة ، فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذي سطع هذا السراج ، وانتهج هذا المنهاج ، فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ، إدالة من مشاقيه وإذالة لمحاربيه ، وإبادة لمناوئيه ، وإن أجل هذه النعم في الصدور ، وأحقها بالشكر الموفور ، ما من الله به سلامة مولاي التي هي جامعة لعز الدين ، وصلاح كافة المسلمين ، بعد أن صلى من الحرب نيرانها ، فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

فلله الحمد والابداع والالهام ، وله المنة وعلينا متابعة الشكر والدوام ، وفازت الكف الكليم ، بأعلى قداح المكلوم لدى المقام الكريم ، وإنها لهي التالية للأصبع الدامية ، في المنزلة العالية :

بصرت بالراحة العليا فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب

الخطاب الذي بعث به يوسف بن تاشفين الى أشياخ المغرب حول معركة الزلاقة (نقلا عن روض القرطاس المنسوب لابن ابي زرع)

« أما بعد حمدا لله تعالى المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسراه ، فإن العدو الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتواقفنا بإزائه ، لقناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب ، فاختار الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال : الجمعة عيد المسلمين والسبت عيد اليهود وفي عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد عيدنا نحن ، فتفرقنا على ذلك ، وأضمر اللعين خلاف ما شرطناه ، وعلمنا أنهم أهل خدع ونقض عهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة (الحادي؟) الثاني عشر من رجب المذكور بأن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ، يرى أنه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين ، فانتدبت إليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين ، فتعشته قبل أن يتعشاها وتغدته قبل أن يتغداها ، وانقضت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ، ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة ، في سائر المشاهد المشهورة ، في جيوش لمتونة نحو الفنش ، فلما أبصر النصارى رايتنا المشتهرة المنتشرة ، ونظروا إلى مراكبنا المنتظمة المظفرة ، وغشيتهم فروق الصفاح ، وأظلتهم سحائب الرماح ، وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، التحم النصارى بطاغيتهم الفنش ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاه المرابطون بنية صادقة

خالصة ،وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، ووكفت ديم السيوف والرماح بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء في هوج ، ونزل من سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولى الفنش مطعونا في إحدى ركبتيه طعنة أفقدته إحدى ساقيه في خمسمائة فارس من مائة وثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل ، قادهم الله إلى المصارع والحتف العاجل ، وتخلص لعنه الله إلى جبل هنالك ، ونظر النهب والنيران في محلته من كل جانب ، وهو من أعلى الجبل ينظرها شزرا ، لم يجد عنها صبرا ، ولا يستطيع عنها دفاعا ولا لها نصرا ، فأخذ يدعو بالثبور والويل ، ويرجو النجاة في ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد ثبت في وسط مراكبه المظفرة ، تحت ظلال بنوده المنتشرة ، منصور الجهاد مدفوع الأعداء ، يشكر الله تعالى على ما منحه من نيل السؤال والمراد ، وقد سرح الغارات في محلاتهم تهدم بناءها وتستلم ذخائرها وأسبابها وتريه راي العين دمارها ونهابها ، والفنش ينظر إليها نظر المغشى عليه ، ويعض غيظا واسفا على أنامل كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتتابع الفرار ، عاد رؤساء الأندلس المنهزمون نحو بطليوس والغار ، وتراجعوا حذرا من العار ، ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواعد ، أبو القاسم المعتمد بن عباد ، فأتى إلى أمير المسلمين وهو مهيض الجناح ، مريض عناء وجراح ، فهنأه بالفتح الجميل ، والصنع الجليل ، وتسلل الفنش تحت الظلام ، فارا لا يهدأ ولا ينام ، ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة ، فلم يدخل طليطلة إلا في مائة فارس ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، وكانت هذه النعمة العظيمة ، والمنة الجسيمة ، يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

رسالة يوسف بن تاشفين الى الزيريين في افريقية سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٣

حول الجواز الى الأندلس ومعركة الزلاقة (من مخطوط الاسكوريال رقم ٤٨٨ - ٤٩ و- ٥٣ ظ)

«الحمد لله الذي من علينا بالاسلام ، وفضلنا بمحمد نبيه عليه السلام ، أحمده حمدا يوجب المزيد من الائه والسبوغ من سرابله ونعمائه ، كان من قضائه - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه - لما أراد قمع المردة الطغاة من زناتة وغيرهم في بلاد المغرب سبب لنا اليهم المطلب فقفونا آثارهم وأخلينا منهم ديارهم ، وكذلك نفعل بالقوم الظالمين ، فقومنا الدين ، ومهدناها للمسلمين ، فصفت لنا ضمائرهم ، وخلصت الى الله تعالى نياتهم وسرائرهم حتى وصلنا طنجة الركاب ، وأذقنا برغواطة سوم العذاب ، ففتح الله لنا وبنا ، وهو خير الفاتحين وأسرع الحاسبين لااله غيره وهو أرحم الراحمين .

ولما بلغنا من استحواذ النصارى - دمرهم الله - على بلاد الأندلس ومعاقلها ، وإلزام الجزية لرؤسائها واستئصال أقاليمها ، وإيطائهم البلاد دارا دارا لا يتخوفون عسكرا يخرج اليهم ، فيبدد جمعهم ، ويفل حدهم ، وهم مع ذلك كله يقتلون الشيب والشبان ، ويأسرون النساءوالصبيان ، فخوطبنا على الجواز الى الأندلس من جميع الأحواز ، المرة بعد المرة ، والوينا الأعذار الى وقت الأقدار ، ولم نجد للجواز بابا ، ولالدخول البحر أسبابا ، فانضم لنا منهم الرئيس الأجل المعتمد على الله ،المولى بنصر الله ،أحسن الله في كل الأمور عونه ،واقر بكل صالخة عينه - فعزمنا على الغزو وجوزنا للعدو أسو دا ضارية وسباعا عادية

وشيبا وشبانا ، بسواعد قوية ، وقلوب في سبيل الله نقية ، قد عرفوا الحروب وجربوها ، فهي أمهم وهم بنوها ، يتلمظون تلمظ الفهود ، ويزأرون اليها زئير الأسود ، فشحنا بهم القوارب ، وأوسعناهم على ظهور المراكب ، فخرجنا في مرسى الجزيرة الخضراء من دياره ، وفقه الله ، ففزع الناس من كل أفق اليهم ، ووفدوا من كل قطر اليهم ، متعجبين من هيأتهم محتقرين لزيهم ونغماتهم ، لايروعهم منهم حاشى الخيل والدرق ، وهم مع ذلك لاينالون الا بعد جف الريق ومسح العرق ، وقدروا انهم طعم للسيوف وغرض للحتوف وسعد للأرماح ونهب للسلاح فكل استصغرهم ، والجميع منهم احتقرهم ، وتبلغ الينا اخبارهم وأقوالهم وتنتهي الينا أفعالهم ، ثم أتبعناهم جيشا بعد جيش بخيول كالفحول ، عليها الكهول ، وعدد من كل أمرد ، على أجرد يتسابقون الى اللقاء في الفضاء ، تسابق الحين والقضاء ، ومع هذا كله فان أهل الأندلس مستبشرون بنصرهم على أيدينا وازاحة غيمتهم بسببنا ، وعساكرنا تتزيد ، وجوازنا يتأكد ، وكان اخر من جاز منا ومعنا قطعة من صنهاجة بني عمي ، فعسر البحر حينئذ للجواز ، واضطربت فيه الأمواج ، فاستخرنا الباري تعالى جده ، وعظم اسمه ، إن كان في جوازنا خيرة للمسلمين أن يسهل علينا ، فما استكملت من كلامي حتى سهل الله المركب وقرب المطلب ، فخرجنا من الحين في مرسى الجزيرة الخضراء المذكورة والتأم شعبنا مع من جاز من عساكرنا ، فعملنا على السير ، وكان قد تقدم الينا بالعدوة من قبل الأذفونش أمير النصارى رسالة يخاطبنا فيها بالجواز الينا اذ عجزنا عنه ، وفرقنا منه - نعطوه - المراكب-وذسلموا - اليه الشواني والقوارب ليرد علينا ويقاتلنا في مأمننا ، فلم نلتفت اليه ، ولاعرجنا عليه . ووصلنا أيدينا بالرئيس الأجل المعتمد على الله المؤيد بنصر الله ، واستوثقنا منه غاية استيثاق ، وبنينا معه على اللحاق بهم ، والورود عليهم ، ونحن في ذلك كله لما نقل الينا ، وورد علينا من رؤساء الأندلس ، مستبطئين سريرة المخبتين لابسين كسوة

الصالحين ، وقلوبنا شتى ، حتى لحقنا إشبيلية حضرة عمرت ببقائه ، وقد تجمع له من جنوده أعداد ، ومن حشمه وعبيده وخيله ورجله أجناد ،فصرنا الى مدينة بطليوس ،وأقمنا بها أياما منتظرين لوفد الرؤ ساء من جميع قطار اللاندلس ،فأخبرنا وصح عندنا أن كل واحد منهم مشتغل مع قطعة كثيرة من النصارى ، قد تغلبوهم على حصونهم ، وأذلوهم في بلادهم وأضعفوهم وشجعوهم على مرادهم ، فحمدنا الله تعالى ، ودعونا بتيسير المراد واستنقاذ العباد ، فجمعنا عساكرنا وسرنا اليه ، وصرنا الى قفل قورية من بلاد المسلمين ، صرفها الله ، فسمع بنا وقصد قصدنا وورد ورودنا ، واحتل بفنائها منتظرا لنا فبعثنا اليه نحضه على الاسلام ، ودخوله في ملة محمد عليه السلام ، أو ضرب الجزية عليه وإسلام ما كان من المال والبيوت لديه ، كما أمرنا الله تعالى وبين لنا في كتابه ، من إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون فأبى وتمرد ، وكفر ونخر وعمل على الاقبال علينا ، وحث في الورود علينا فلحقنا وبيذنا وبينه فراسخ فلما كان بعد ذلك ، برزنا عليه أياما ، فلم يجبنا ، فبقينا وبقوا ، ونحن نخرج الطلائع اليه ، ونتابع الوثوب عليه ، وبذينا على لقائه يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة فلما كان يوم الجمعة ثانية ورد علينا بكتائب قد ملأت الآفاق ، وتقلبت تقلب الحتوف للأحداق قد استلموا الدروع للكفاح ، وربطوا سوقهم الألواح ، وبطونهم ملأى من الخمور يقدرون أن الدائرة علينا تدور ، ونحن في أخبيتنا صبيحة اليوم المذكور ، كل مناساه وجميعنا لاه ، فقصد أشدهم شوكة ، وأصلبهم عودا ، وأنجدهم عديدا محلة المعتمد على الله المؤيد بنصر الله وفقه الله ، عماد رؤساء الأندلس وقطبهم لايقدرون عسكرا الا عسكره ، ولارجالا الا رجاله ، ولاعديدا الا عديده ، وداود من أصحابنا منا الى إزائه ، فهبطوا اليه لفيفا واحدا ، كهبوط السيل ، بسوابق الخيل فلما رآهم من كان معه من جنده ومن جميع الطبقات ، الذين كانوا يذخرون من قبله الأموال والضياع ، استكت أذانهم واضطربت

اضلاعهم ودهشت ايديهم ، وزلزلت اقدامهم وطارت قلوبهم ، وصاروا كركب الحمير ، فروا يطلبون معقلا يعصمهم ولاعاصم الا الله ، ولاهاربا منه الا اليه ، فلحقوا من بطليوس بالكرمات ، لما عاينوا من الأمور المعضلات ، واسلموه ـ ايده الله ـ وحده في طرف الأخبية مع عدد كثير من الرجالة والرماة ، قد استسلموا للقضاء فوثبوا عليه وثب الأسد على الفرائس ، يعظمون الكنائس ، فحبسهم حينا وحده مع من اليه ممن ذكرناه ، وبسطوا منهم الأرض ، ولم يبق من الكل الا البعض ولجأ في الأخبية ، بعد ان عاين المنية ، وتخلصه الله بنيته في المسلمين وبلغ امنيته ، بعد أن وقف وقفة بطل مثله ، لاأحد يرد عليه ، ولا فارس من فرسانه وعبيده يرجع اليه ، لايروعه أحد منهم فيهزم ، ولايهابهم فيسأم ثم قصدت كتبية سوداء كالجبل العظيم أو الليل البهيم عسكر داود واخبيته فجالوا فيها جولانا ، وقتلوا من الخلق الوانا ، واستشهد الكل بحمد الله ، وصاروا الى رضوان الله ، ونحن في ذلك كله غافلون ، حتى ورد علينا وارد ، وقصد الينا قاصد ، فخرجنا من وراء الشعب ، كقطع اللهب ، بجميع من معنا ، على الخيل المسومة العراب ، يتسابقن الطعن والضراب ، فلما رأونا ، ووقعت أعينهم علينا ظنوا ان الدائرة فينا ولدينا ، وأنا طعم اسيافهم ، ولقاء رماحهم ، فكبرنا وكبر الكل معنا ، مبتهلين لله وحده لاشريك له ، ونهضنا للمنون الذي لابد منه ولامحيص لأحد عنه ، وقلنا هذا اخر يومنا من الدنيا فلنموتوا شهداء ، فحملوا علينا كالسهام ، فثبت الله اقدامنا ، وقوى افئدتنا ، والملائكة معنا ، والله تعالى ولي النصر لنا ، فولوا هاربين ، وفروا ذاهلين ، وتساقط اكثرهم بقدر الله تعالى دون طعنة تلحقه ولاضربة تثخنه ، واضعف الرعب ايديهم ، فطعناهم بالسمهرية دون الوخز بالابر ، وضاقت بهم الأرض بما رحبت حتى أن هاربهم لا يرى غير شي الا ظنه رجلا ، وفتكت فيهم السيوف ، على رغم الأنوف ، فو الله لقد كانت تقع على الدروع فتفريها وعلى البيضات فتبريها ، وزرقوا الرجالة منا على خيلهم الرماح ، فشكوهم بها

فرمحت بهم ، فما كنت ترى منهم فارسا الا وفرسه واقف على رأسه لايستطيع الفرار ، الكل يجر عنانه ، كأنه معقل بعقالة ، ونحن راكبون على الجواد الميمون العربي المصون ، السابق اللاحق المعد للحقائق وما منا الا من له جرابان فيه سيفان وبيدنا الثالث عسى أن يحدث من حادث ، فصاروا في الأرض مجدلين ، موتى معفرين ، وقد تراجع الناس بعد الفرار ، وأمنوا من العثار ، وتضافروا مع عسكرنا وغيرهم ، يقطعون رؤوسهم ، وينقلونها بإزاء المحلات حتى علت كالجبال الراسيات ، عدد لايقدر ، ومدد لايحزر ، والتجريد فيهم والأيدي متعاودة لبطونهم ، واستأصلنا أكابرهم ، وحلنا دون اباطيلهم وأمانيهم ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ، وانقطع من عسكرهم نحو الفي رجل أو اقل ، والأذفونش فيهم على ماأخبرنا ، قد أثخنوا جراحا بإزاء محلاتهم ، يرتادون الظلام للهروب في المقام ، ووالله لقد كان الفرسان والرجالة يدخلون محلتهم ، ويعثرون في أخبيتهم ، وينتهبون أزودتهم ، وهم ينظرون شزرا نظر التيوس الى شفار الجزارين الى ان جن الليل وأرخى سد وله ، ولوا هاربين ، وأسلموا رحايلهم صاغرين ، فكم من دلاص على البقاع ساقطة ، وخيول على النقاع رائضة . ولقد ارتبط كل فارس منا الخمسة الأفراس أو أزيد ، وأما البغال والحمير فأكثر من ذلك ، وأما الثياب والمتاع فناهيك ، والأسرة بأوطية الحرير ، والثياب والأوبار عدد ليلهم ولايكلون من الانتقال ، ولايسأمون من تشريط الأموال ، ولحقوا (قورية) ومنها حيث رحلها أم قشعمهم فصححنا ضمائرنا ، وأخلصنا للمعتمد على الله نياتنا وسرايرنا ، ورجعنا بحمد الله غانمين منصورين

ولم يستشهد منا الا الفرقة التي قدر الله عليها بذلك ، وقدرنا أن الكل منهم هلك لقلة معرفتهم وجهالتهم بقتال النصارى ، وتراميهم للشهادة ، قدس الله أرواحهم ، وكرم مثواهم وضريحهم ، وجعل الجنة ميعادا بيننا وبينهم ، وفقدنا من أكابرنا نحو عشرين رجلا ممن اشتهرت نجدته في المغرب ، وانقلب خير منقلب ، ولحقنا

اشبيلية حضرته عمرت ببقـائه ، وأقمنا عنده أيامـا ، ورفعنا عنه مودعين لاتوديع قاطع ، ولايمنعنا منه متـى أحـب مـانع ، ولحقنا الجزيرة الخضراء ، ونحن نريد أشياء أسأل الله تمامها وإنجـازها وأن يسهل المراد ويوفقنا للسداد ، ومتى تنفس منهـم متنفس ، أو رجع الى أحـدهم نفس ، يذكرون مـالقوا ، ويتـذاكرون مـا بقوا ، و(سنستدرجهم من حيث لايعلمـون ٥ وأملي لهـم إن كيدي متين . (٥٦)حتى لايبقـى على أديم الأرض منهـم حـي ، ولايحس منهم انس ، والحمد لله رب العالمين على مـا قضى وخـول وأعطـى.

وهذا كله منا منه علينا لامنا منا عليه ، وصـلى الله على محمـد خـاتم النبيين وقـائد الغـر المحجلين الى جنات الله النعيم ، وآله الطيبين وسلم تسليما ، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

رسالة من يوسف بن تاشفين الى المستعين بالله أحمد ابن يوسف بن هود صاحب الثغر الأعلى

(من الحلل الموشية ص ٧٥)

من أمير المسلمين ،وناصر الدين يوسف بن تاشفين ،إلى المستعين بالله أحمد بن هود ،أدام الله تأييده ،من حضرة مراكش ، حيث ايات شرفك ، وماثر سلفك ،ونحن نحمد الله بجميع المحامد ،ونستهديه أحسن الموارد ، ونسأله أتم الفوائد ، وأنجح المقاصد ، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صفوة أوليائه ، وخاتم أنبيائه ، وأما الذي عندنا ـ أيدك الله ـ لجانبك الكريم ، وبحرك الطامي ،ومجدك الصميم ، ومحلك المعلوم فود صريح ، وعقد ـ في ذات الله تعالى ـ صحيح ، ووردنا نشأة السيادة والنبل والنباهة والفضل ،أبو مروان عبد الملك ،ابنك ولادة وتنسبا ،وابننا ودادا وتقربا ،زاد الله به عينك قرة ، ونفسك مسرة ،ومعه خاصتك الوزيران : أبو الأصبغ ،وأبو عامر ، أكرمهما الله بتقواه ،وكلا وفيناه حق نصابه ، واتيناه بره من بابه ،واديا الينا كتابك الجليل الخطير المقبول المبرور ، فوقفنا منه على وجه شخوصهما ، وأصغينا في تفصيل جملته الى تخليصهما ، فألقينا اليهما مراجعة في ذلك ما لقذوه إ، وسفرنا لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه ، وجملته الوفاق ، وجماعة الانتظام في سلك ما يرضي الله تعالى والاتساق ، إن شاء الله تعالى ، والسلام .

رسالة البابا غريغوار السابع الى صاحب قلعة بني حماد

(عن تاريخ المغرب الدبلوماسي لعبد الهادي التازي ج ٥ ص ١٩٤ ـ ١٩٥)

من عند الراهب غريغوار ،خادم عباد الله ،إلى الناصر ملك موريطانيا من إقليم ستيف بإفريقيا .. تحية وبركة بابوية .

لقد تفضلت فخامتكم بالكتابة إلينا في هذه السنة طالبين منا أن نرسم كاهنا وذلك حسب القوانين التي تفرضها علينا المسيحية ،فبادرنا باختيار الأسقف سرفان لأن طلبكم هذا كان صائبا . وبعثتم لنا في نفس الوقت بهدايا ،كما انكم احتراما لبيتر ـ أمير الرسل ـ وحبا لنا قد حررتم الأسرى المسيحيين ووعدتم أيضا بالعفو عن الآخرين الذين قد يوجدون عندكم .

إن الله خالق كل شيء والذي بدونه لانستطيع شيئا ، قد الهمكم الطيبة وهيأكم لهذا العمل النبيل .

إن الله العلي القدير الذي يحب السلام لكل الناس ولايريد أن يهلك احدا ،لا شيء احب إليه تعالى أكثر من حبنا لبعضنا ،بعد حبنا له سبحانه وكذلك من التمعن في هذا المبدا : « عامل غيرك بما تحب أن تعامل به »

فينبغي لنا أن نمارس فضيلة المحبة هذه اكثر من غيرنا من الشعوب .فنحن جميعا ،على أوجه مختلفة ، نعبد إلها واحدا ، وإننا كل يوم نسبح بحمده ونجل فيه خالق العصور ورب العالمين .
فعندما اخبرنا شرفاء مدينة روما بالصنيع الذي الهمكم الله إياه ،قد اعجبوا بسمو قلبكم وأذاعوا مدحكم ، وإن اثنين من بينهم هما

اللذان يشاركانا الأكل والشراب عادة ،البيرك وسنسيون ،وقد تربيا معنا في قصر روما منذ كانا في سن المراهقة .

وهما يودان ،بحمية ،أن يربطا معكم صداقة ومودة ، وسيكونان سعيدين بإرضائكم في هذه البلاد .سيبعثان لكم ببعض رجالهم ليبرهنوا لكم على مدى تقدير أسيادهم لخبرتكم ولعظمتكم وليظهروا لكم رغبتهم في خدمتكم هنا .

وإننا نوصي جلالتكم بهم ونطلب منكم أن تكنوا لهم الحب والوفاء مثل الحب والتفاني الذي سنخصكم دائما به وبأي أمير يعينكم .
إن الله العلي القدير يعلم أن عبادته تلهم الصداقة التي محضناكم بها .

وكم نتمنى لكم السلامة والنصر في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وإننا نتوسل إليه تعالى من أعماق قلوبنا أن لايأخذكم إليه إلا بعد عمر طويل ، إلى صدر ونعيم سيدنا ابراهيم عليه السلام » .

رسالة يوسف بن تاشفين الى صاحب قلعة بني حماد يقرعه فيها على تعامله مع البابوية

(من الذخيرة لابن بسام ق ٢ ج ٢ ص٢٥٧)

ورد كتابك الذي أنفذته من وادي منى منصرفك من الوجهة التي استظهرت عليها بأضدادك ،وأجحفت فيها بطارفك وتلادك ،واخفقت من مطلبك ومرادك ،فوقفنا على معانيه ،وعرفنا المصرح به والمشار إليه فيه ،ووجدناك تتجنى وتثرب على من لم يستوجب التثريب ،وتجعل سيئك حسنا ، ومنكرك معروفا ، وخطاك صوابا بينا ،وتقضي لنفسك بفلج الخصام ، وتوليها الحجة البالغة في جميع الأحكام ،ولم تتأول أن وراء كل حجة أدلتها ما يدحضها ،وإزاء كل دعوى أبرمتها ما ينقضها ،وتلقاء كل شكوى صححتها ما يموضها ،ولولا استنكاف الجدال ، واجتناب تردد القيل والقال ، لنصصنا فصول ما يبطله ،ويخجل من ينتحله ،حتى لايدفع لصحته دافع ولا ينبو عن قبول أدلته راء ولا سامع ، ولايختلف اعترافا به دان ولاشاسع .

وفي فصل منها :ونذشدك الله الذي ماتقوم السماء والأرض إلا بأمره ،الم نكن عندما نزع الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد ابن يوسف رحمه الله ، وتفاقم الشنآن ، قد توفرنا على ماكان بالحال من إقلاق ، وتأخرنا عما كانت النصبة تستقدم من بدار أو سباق ، ولم نمد الجهة حق إمدادها ولاكثرنا فوق ما كان يلزم من جماهير اعدادها ولاعدلنا عن جهاد المشركين ، ولا اقبلنا إلا على مايحوط حرب المسلمين ، رجاء أن يثوب استبصار ، أو يقع إقصار ، وأنت خلال ذلك تحتفل وتحشد ، وتقوم بحمية وتقعد ،

وتبرق غضبا وترعد ، وتستدعي ذؤبان العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب ، فتعطيهم ما في خزائنك جزافا ، وتنفق عليهم من كنزه أولئك إسرافا ، وتمنح أهل العشارات مئين وأهل المئين الافا كل ذلك تعتضد بهم ، وتعتمد على تعصبهم لك وتألبهم ، وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير وحماك دون المقادير ، وتذهل عما في الغيب من أحكام العزيز القدير .

ونحن أثناء ما فعلت ، وخلال ما عقدت وحللت ، نؤم العدو ـ قصمه الله ـ فنجبهه ونكافحه ، ونقعده ونناطحه ، ونتحيفه من أقطاره ونغزوه بدءا وتعقيبا في عقر داره إلى أن استجمعت أخيرا واستجشت وتراجعت إلى عرفانك وأجهشت ولولا ماؤك الذي تمدوه ، وشارفوا إلى أن يستنفدوه ، ما أووا لشكواك ، ولزادوك ضغنا على إبالة بلواك ، وإنك لمتداو منهم بسم ، ومستريح إلى غم ، فبلغت معهم ما بلغت ، وأرغت بهم ما أرغت ، واستقبلتنا بما أثبت عن العدو ولقد أخذناه بمخنقه ، وأضفنا أنشوطة وهق الهزي على عنقه ، وأشفى على انقطاع ذمائه ورقمه ، ففرجت عنه كربة لم يظنها تنفرج ، ونهجت له منها وجه مخلص لم يحسبه ينتهج ، وأخليت وجهه لأذى المسلمين يبدئه ويعيده وبسطت فيهم يده وكانت في جامعة تقصره عما يريده ، ولو أن صاحب رومة المشتمل معه بعباءه الكفر والشرك المنتحل ما ينتحل من كلمة الزور والافك ، يكون مكانك جوارنا ، ويصاقب كما صاقبت قاصية دارنا ، ما أتى من نصره فوق ما أتيت ولاتولى من انتشاله ، والسعي في استقلاله ، إلا بعض ما توليت ، ولا أنحى على المسلمين من مضاره إلا بدون ما انحيت ، ولا بغاهم خبالا بأكثر مما بغيت .

وما في تلك الجزيرة ـ عصمها الله ـ من صالح ولاطالح إلا ما يعرضك على الله تعالى ويرفع إليه فيك عقيرته بالشكوى ، وكل ما سفك من دم ، وانتهك من محرم واستهلك من ذمم ، فإليك منسوب ، وعليك محسوب ، وفي صحيفتك مكتوب وموعد الجزاء غدا وإنه لقريب فانظر ما أنجح أثرك ، وأربح متجرك ، وأصلح موردك ومصدرك ... » .

عهد من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ليوسف بن تاشفين

وهذه نسخة « الرسالة البرنامج » بعد البسملة الشريفة(٥٧) :

هذا ما عهد به عبد الله وولیه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان حين انتهى إليه ما هو عليه من ادراع جلابيب الرشاد ، في الاصدار والايراد . واتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما يجمع خير العاجلة والمعاد : والتخصيص من حميد الأنحاء والمذاهب ، بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب والتحلي من السداد الكامل ، بما فاز فيه بامتطاء الغارب من الجمال والكاهل واتضح ما هو متشبث به من صحة الدين واليقين ، والمواظبة من اكتساب رضا الله تعالى على ما هو أقوى الظهير والمعين : في ضمن ما طوى عليه ضلوعه . وادام لهجه به وولوعه : من موالاة لأمير المؤمنين يدين لله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف باستحكام سعيها : ومشايعة لدولته ساوى فيها بين ما اظهر واسر ، وامل في اجتناء ثمرها كل ما ابهج وسر ، فولاه الصلاة

بأعمال المغرب ،والمعاون ،والأحداث ،والخراج ،والضياع ،والجهبذة والصدقات ،والجوالي ،وسائر وجوه الجبايات ،والعرض ،والعطاء والنفقة في الأولياء ،والمظالم ،واسواق الرقيق ،والعيار في دور الضرب ،والطرز ،والحسبة ،ببلاد كذا وكذا : سكونا الى استقلاله بأعباء ما استكفاه اياه ،واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر ذكره ويطيب رياه ،وثيقة بكونه للصنيعة أهلا ،وبأفياء الطاعة الامامية مستظلا ،وتوفره على مايزيده بحضرة أمير المؤمنين حظوة ترد باع الخطوب عنه قصيرا ،وتمد مقاصده من التوفيق بما يضحي له في كل حالة نصيرا ،وعلما بما في اصطناعه من مصلحة تستنير

اهلتها ،وتستنير من شبه الغي شواهدها وادلتها ، والله تعالى يصل مرامي امير المؤمنين بالاصابة ويعينه على ما يقر كل امرىء في حقه ويحله نصابه ،ويحسن له الخطرة في كل ما يغدو له ممضيا ،ولطايا الاجتهاد في فعله منضيا وما توفيق امير المؤمنين إلا بالله ،عليه يتوكل واليه ينيب .

وامره باعتماد تقوى الله تعالى في الاعلان والاسرار ، وباعتقاد الواجب من الاذعان بفضلها والاقرار ، وان يأوي منها إلى امنع المعاقل واحصنها ، ويلوي عنان الهدى فيها إلى اجمل المقاصد واحسنها ، ويجعلها عمدته يوم تعدم الأنصار ، وتشخص الأبصار ، ليجتني من ثمرها ما يقيه مصارع الخجل ، ويجتلي من مطالعها ما يؤمنه من طوارق الوجل ، ويرد بها من رضا الله تعالى أصفى المشارب ويجد فيها من ضوال المنى انفس المواهب ، فإنها ابقى الزاد ، وادعى في كل امر إلى وري الزناد ، وقد خص الله بها المؤمنين من عباده ، وحض منها على ما هو افضل عدة المرء وعتاده ، فقال تعالى :(يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون) (٥٨) .

وامره ان يأتم بكتاب الله تعالى مستضيئا بمصباحه ، مستضيما لسلطان الغي بالوقوف عند محظوره ومباحه ، ويقصد الاستبصار بمواعظه وحكمه والاستدرار لصوب التوفيق في الرجوع إلى متقنه ومحكمه ، ويجعله اميرا على هواه مطاعا وسميرا لا يرى ان يكشف عنه قناعا ، دليلا إلى النجاة من كل ما يخاف اثامه وسبيلا إلى الفوز في اليوم الذي يسفر عن فصل الحساب لثامه ، ويتحقق موقع الحظ في إدامة درسه ، وصلة يومه في التأمل باسمه ، فإنه يبدي طريق الرشد لكل مبدىء في العمل به معيد :(وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٥٩)

وامره ان يحافظ على الصلوات قائما بشروطها وحدودها ، وشائما بروق التوفيق في اداء فروضها وحقوقها ، ومسارعا إليها في اوقاتها بنية عائفة مناهل الكدر

والرنق ، عارفة بما في إخلاصها من نصرة الهدى وطاعة الحق ، وموفرا عليها من ذهنه ، ماالحظ كامن في طيه وضمنه ، وموفيا لها من الركوع والسجود ، ماالرشاد فيه صادق الدلائل والشهود ، متجنبا أن يلهيه عنها من هواجس الأفكار ووساوس القلب العون منها والابكار ، وما يقف فيه موقف المقصر الغالط ، وينزل فيه منزلة الجاحد للنعم الغامط ، وقد أمر الله تعالى بها وفرضها على المؤمنين وأوجبها وحث من إقامتها ، على المساجد ما يفضي إلى صلاح المقاصد واستقامتها ، فقال عز من قائل :(فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (٦٠) .

وأمره بالسعي في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد الى المصليات الضاحية ، بعد أن يتقدم في عمارتها ، وإعداد الكسوة لها ، بما يؤدي إلى كمال حلاها ، ويحظى من حسن الذكر بأعذب الموارد واحلاها ، ويوعز بالاستكثار من المكبرين فيها والقوام ، وترتيب المصابيح العائدة على شمل جمالها بالاتساق والانتظام ، فإنها بيوت الله تعالى التي تتلى بها اياته ، وتعلى فيها أعلام الشرع ورياياته .وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ، أدام الله تعالى به الامتاع ، وأحسن عن ساحته الدفاع ، ثم لنفسه جاريا في ذلك على ماالف من مثله ، وسالكا منه اقوم مسالك الاهتداء وسبله ، وقد بين الله تعالى ما في عمارتها من دلائل الايمان ، والفوز بما يعطي من سخط الله تعالى أوثق الأمان في قوله سبحانه :(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (٦١)وقال في الحث على السعي إلى الجوامع التي يذكر فيها اسمه ، ويظهر عليها منار الاسلام ورسمه (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله)(٦٢).

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدى منه ارشد فعل وأصوبه ، ويقوم بذلك القيام الذي يحيطه بجميل

الذكر ، وجزيل الأجـــر ، ويشـــهد بـــزكاء المغـــرس وطيب النجر ، ويقصد في اداء الواجب منه مـا يصـل أمسـه في التـوفيق بيومه ، ويطلق الألسنة بحمده ويكفها عن لومه ، متجنبا من إخـلال بما نص عليه في هذا البـاب ، او إهمـال فيه لما يليق بـذوي الديانة واولي الالباب ، ومتوخيا في المسارعة إليه مـا يتـطهر بـه مـن الأدناس ، ويتوفر به حسن الأحدوثة عنه بين الناس ، فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لا سبيل إلى المحيد عنهـا ، ولا دليل في الفوز أوفى منها ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها مـن أمنه ، وابان عن كونهـا ممـا يجتنى كل مـرغوب فيه مـن ثمرته ، ووصل له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله :لما فيه من الحظ الكامل في استنارة غرره وحجـولة ، في قـوله سـبحانه : (خذ من اموالهم صدقة تزكيهم بها وصل عليهم إن صـلاتك سـكن لهم والله سميع عليم)(٦٣) .

وامره أن يهذب مـن الدنس خـلاله ، ويصـل بـأقوال، في الخير افعاله ، ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل ، ويتبع سنن المتفـيء بالهدى المستظل ، ويقبض يده عن كل محرم تـوثق أشراكه وتـوبق غوائله ، وتؤذن بسوء المنقلب شواهده ودلائله ، ويجعل له من نهاره رقيبا على نفسه يصونها عن مراتع الغي ومـطارحه ، وأمينا يصـد عن مسارب الاثم ومسارحه ، فإنها لا تزال امارة بالسوء إن لم تقد الى جدد الرشد ، وتقم لها سوق من الوعظ فيها اقصى الغاية والأمر فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وازعا ، وأنحى عليهـا بلوم يغدو معه عن كل ما يسـخط الله تعـالى نازعا ،وأن يتنزه عن النهي لما هوله مرتكب والأمر بما هو له مجتنب اذ كان ذلك بـالهجنة خاليا وبين المرء وبين مقاصد هـديه حـائلا ،قـال الله تعـالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افـلا تعقلون)(٦٤) .

وامـر أن يضـفي على مـن قبله مـن اولياء امير المؤمنين وجنوده ، اصناف جلابيب الاحسان وبروده ، ويخصهم من جـزيل

حبائه بما يصلون منه إلى ابعد المدى ويملكون به نواصي الآمال ويدركون قواصي المنى ، ويميز من أدى واجبه في الطاعة وفرضه وأبدى صفحته في الغناء بين يديه بمزيد من الاشتمال يرهق بصيرة كل منهم في التوفر في ما وافقه ، ووصل بأنفه في التقرب إليه سابقه ، ويدعو المقصر إلى الاستبصار في اعتماد ما يلحق فيه رتبة من فازت في الحظوة قداحه ، وفاتت الوصف غرره في الزلفة وأوضاحه ، ليمرح به في الاغتذاء بلبان النعمة ، كما انتهج بها مسترشدا ، وطالبا ضوال الراي الثاقب ومنشدا وقد بين الله فضل المشورة التي جعلها لقاحا ، وفي حنادس الشكوك مصباحا ، حيث أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بها ، وبعثه منها على أسد الأفعال وأصوبها ، فقال تعالى :(وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) (٦٥) .

وامره أن يعدل في الرعايا قله ، ويحلهم من الأمن هضابه وقلله ، ويمنحهم من الاشتمال ، ما يحمي به أمورهم من الاختلال ، ويحوي به طيب الذكر بحسب ما اكتسب من رضى الأنحاء والخلال ، ويضفي على المسلم منهم والمعاهد من ظل رعايته ما يساوي فيه بين القوي والضعيف ، ويلحق التليد منهم بالطريف : ليكون الكل وادعين في كنف الصون ، راجعين الى الله تعالى في إمدادهم بالتوفيق وحسن الطاعة والعون . وأن ينظر في مظالمهم نظرا ينصر الحق فيه ، وينشر علم العدل في مطاويه ، وينصف معه بعضهم من بعض ، وينصب به بهم من اهتماله أسنى قسم وحظ ، ملينا لهم في ذلك جانبه ،ومبينا ما يظل به كاسب الأجر وجالبه ،ويزيل عنهم ما شرعه ظلمة الغلمان بتلك الأعمال . ويديل من تلك الحال باستئناف ما يوطئهم كواهل الآمال ، جامعا لهم بين الدليل والبرهان ، قال الله تعالى :(إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (٦٦) .

وأمره بأن يكون بالمعروف أمرا ، وعن المنكر زاجرا ، ولله تعالى

في إحياء الحق وإماتة الباطل متاجرا . وأن يشد من الساعين في ذلك والداعين إليه ، ويعد القيام بهذه الحال من أفضل ما يتقرب بـه الى الله تعالى يوم العرض عليه . ويتقدم بتعـطيل مـا في أعمـاله مـن المواخير ودحضها ، وإزالة آثـارها ومحـوها ، فإنهـا مـواطن بالمخازي أهله ، ومن مشارب المعاصي ناهله ، وقد أسست على غير التقوى مبانيها ، وأخليت من كل ما يرضي الله تعالى مغانيها ، وقد أبان الله تعالى عن فضل الطائفة التـي ظلت بـالمعروف آمـرة وعن المنكر ناهية ، وضـنت بمـا تـرى فيه عن مقـاصد الخير ذاهلة لاهية ، فقال: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تـأمرون بـالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾(٦٧) .

وأمره أن يرتب لحماية الطـرقات مـن يجمـع الى الصرامـة والشهامة ، سلوك محاج الرشاد والاستقامة ، ويجعل التعفـف عن ذميم المراتع شاهدا بتوفيق الله إياه، وعائدا عليه بما تحمـد مغبتـه وعقباه ، ويأمر بحفظ السابلة ، واختصاصهم بالحراسة السـابغة الشاملة ، وحماية القوافل واردة وصادرة ، واعتمادها بما تغدو به الى السلامة مفضية صائرة :لتحـرس الدمـاء ممـا يبيحهـا ويريقها ،والأموال مما يقصـد فيه سـبيل الاضـاعة وطـريقها وأن يخوفهم نتائج التقصير ،ويعرفهم مناهج التبصير ،وأن عليهم رقباء يلاحـظون أمـورهم ويوضـحونها : ليكون ذلك داعيا الى التحـوط والتحرز ،واعتماد الميل الى جانب الصحة والتحيز . ويوجب لهم من بعد ما يكفي أمثالهم مثله ،ويكف أيديهم عن الامتداد الى ماتذم سبله فإن أخل أحدهم بما حد له ،أو مزج بالسوء عمله جزاه بحسب ذلك وموجبه . قال الله تعالى:﴿من يعمل سوءا يجز به﴾(٦٨)وأمره أن يتقدم الى نوابه في الأعمال بوضع الرصد على من يجتاز بهـا مـن العبيد الاباق والاستظهار عليهم بحسب العدل والاسـتحقاق ،واسـتعلام اماكنهم التي فصلوا عنها ،ومواطنهم التي بعدوا منها ،فاذا وضحت أحوالهم وبانت ،وانحسمت الشكوك في بابهم وزالت ، أعادوهم الى مواليهم أبوا أم شاءوا .وأن يقصدوا ارشاد الضوال ،ويجتهدوا مـن

اظهار امرها بما يغدو جمال الذكر به في الظلال ،ويتجنبوا ان يمتطوا ظهورها بحال ،او يمدوا ايديهم الى منافعها في اسرار وإعلان ،حتى اذا حضر اربابها سلمت اليهم بالنعوت والأوصاف ،واجري الأمر في ذلك على ما يضحي به علم العدل عالي المنار حالي الأعطاف ،فقد امر الله تعالى بأداء الأمانات الى اهلها وهدى من ذلك الى اوضح محاج الصحة وسبلها فقال :(إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) (٦٩) .

وامره ان يختار للنظر في المعاون والأجلاب من يرجع الى دين يحميه من مهاوي الزلل والصلف ، عن مد اليد الى أسباب المطامع ، وكلف بما تعود على ما كلف إياه بصلاح مشرق المطالع ؛ ومعرفة بما وكل اليه كافية وافية ، ولما يوجب الاستزادة له ما حية نافية ؛ و يوعز اليهم بالتشمير في طلب الذعار ، من جميع الأماكن والأقطار ، وحسم مواد العار في بابهم والمضار ، وأن يمضوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم في الضلال، وتجري امورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام، ممتنعين ان يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في فعله ، ويجانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن شهدت آثاره بذميم سبله ؛ وإذا وقع الظفربجان قد كشف في الغي قناعه ، وأظهرت مساعيه إباءة من إجابة داعي الرشد وامتناعه ،اقيم حد الله تعالى فيه من غير تعد للواجب ، ولاتعر من ملابس السالكين للجدد اللاحب (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) (٧٠) .

وامره ان يوعز الى اصحاب المعاون بأن يشدوا من القضاة والحكام ، ويجدوا في إجراء امورهم على اوفى شروط الضبط والاقدام ، ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ احكامهم وإمضائها، والمسارعة الى حث مطايا التشمير في ذلك وانضائها ، والتصرف على امثلتهم في إحضار الخصوم اذا امتنعوا ، وسوقهم الى الواجب اذا زاغوا عنه وانحرفوا ، وان يتقدم بإمداد عمال الخراج بما يؤدي الى قوة ايديهم في استيفاء مال الفيء واجتبائه، واعتماد ما

ينصر الحقوق في مطاريه واثنائه ، اذ كان في ذلك من الصلاح الجامع وكف المضار وحسم المطامع ، ما المعونة عليه واجبة ، وللتوفيق مقارنة مصاحبة ، قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)(٧١)

وامره بعرض من تضمه الحبوس من اهل الجرائم والجرائر ، وتأمل احوالهم في الموارد والمصادر والرجوع الى متولي الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب في حبسه والتعيين من ذلك على ما يعرف به صحة الأمر من لبسه ، فمن الفي منهم للذنوب الفا ، وعن سنن الصواب منحرفا ، ترك بحاله ، وكف بإطالة اعتقاله عن مجاله في ميادين ضلاله ، وان وجد منهم من وجب عليه الحد ، اقيم فيه بحسب ما يقتضي الحق ، ومن اعترضت في بابه شبهة تجوز اسقاط الحد عنه ودراه ، اعتمد الحاقه في ذلك بمن اتصل اليه صوب الاحسان ودره،ومن لم يكن له جرم وتظهر صحة شاهده ودليله ، قدم الأمر في إطلاقه وتخليه سبيله ، وان غدا لأحدهم سعي في الفساد واضح وبان ، وغوى به في محاربة الحق وخان قوبل بما امر الله تعالى به في كتابه حيث يقول :(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (٧٢) .

وامره باختيار المرتب للعرض والعطاء ، والنفقة في الأولياء من ذوي المعرفة والبصيرة ، والمشهورين في العفة بتساوي العلانية والسريرة ،وممن تحلى بالأمانة جيدة ،واعتضد بطريقه في الرشاد تليده وكان بما يسند اليه قيما ،وفي الكفاية ثاويا مخيما وإن يتقدم اليه بضبط حلى الرجال وشيات الخيول ، وان يقصد في كل وقت من تجديد العرض ما يشهد بالاحتياط السابغ الأهداب والذيول ، فإذا وضح وجه الاطلاق ، وسلم مال الاستحقاق ، كانت التعرفة على قدر المنازل في التقديم والتأخير ، وبحسب الجرائد التي تدل على الصغير من ذلك والكبير ، ومتى طرق احدهم ماهو محتوم على خلقه ، أعاد على بيت المال من رزقه بقدر قسطه وحقه ، وان يلزمهم

إحضار جياد الخيول وخيار الشكك ، ويأخذهم من ذلك بأوضح ما نهج المرء الطريق فيه وسلك. فإن أخل أحدهم بما يلزمه البروز فيه يوم العرض ، أو قصر في القيام بالواجب عليه الفرض ، حاسبه بذلك من الثابت باسمه ، والمطلق برسمه ، تنبيها له على تلافي الفارط ، وتبصيرا في البعد عن مقام المخطي الغالط ، اذ كان في قوتهم وكمال عدتهم ارهاب الأعداء والأضداد والأمداد ، قال الله تعالى :(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (٧٣) .

وأمره باختيار عمال الخراج ، والضياع ، والأعشار، والجهيذة والصدقات ، والجوالي وان يكونوا محتضنين من الأمانة والكفاية بما يقع الاشتراك في علمه ، ومتقمصين من ملابس العفة ما تحمد العواقب في ضمنه ، ومتميزين بما يغنيهم عن الأفكار بنتائج الاتعاظ والاعتبار ، ويغريهم بالاستمرار على السنن المنجي لهم من مواقف التنصل والاعتذار . وأن يأمر عمال الخراج بجباية الأموال ، على أجمل الوجوه والأحوال ، سالكين في ذلك جددا وسطا ، يحمي من مقام من ضعف في الاستخراج أوسطا ، و(أن يتقدم) الى الناظرين في الضياع بتوفية العمارة حقها والزراعة حدها ، والتوفير من حفظ الغلات الحاصلة على ما يقتضي فيه أرشد المذاهب وأسدها ، متحرزين من أمر ينسبون فيه الى العجز والخيانة ، فكل من الحالين مجز في وضوح أدلة الفساد ومخز، والى الجهابذة بقصد الصحة في القبض والتقبيض وحفظ النقد و من التدليس والتلبيس ، أداء للأمانة في ذلك ، واهتداء فيه الى أقوم المسالك ، والى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من مواشي المسلمين السائمة دون العاملة والجزي في ذلك على السنة الكاسبة للمحمدة الوافية الكاملة ، متجنبين من أخذ فحل الابل وأكولة الراعي ، وعقائل الأموال المحظورة على سائر الأسباب والدواعي ، فإذا استوفيت على المحدود من حقها ، أخرجت في المنصوص عليه من وجهها وسبلها ، والى جباة جماجم أهل الذمة بأخذ الجزية منهم في كل سنة ،على قدرات ذات ايديهم في الضيق

والسعة ،وبحسب العادة المألوفة المتبعة ،ممتنعين من مطالبة الذسوان ومن لم يبلغ الحلم من الرجال ومن علت سنه على الاكتساب وتبتل من الرهبان ،ومن غدا فقره واضح الدليل والبرهان، وفاء بالعهد المسؤول ،وتلقيا لأمر الله تعالى بالقبول حيث يقول :(واوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)(٧٤) .

وأمره أن يرد أمر المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة الى من عضد بالظلف الورع ، وانتظم له شمل الهدى واجتمع : فكان ذا معرفة بما يحرم ويحل ، وبصيرة يتفيأ بها من عوارض الشبه ويستظل ، وأن يكون النظر في ذلك مضاهيا للحكم ملائما ، ولن يقوم به الا من لايرى عاذلا له في فعله لائما . وأن يتقدم الى من يلي المظالم بتسهيل الاذن للخصوم في الدخول عليه ، وتمكين كل منهم من استيفاء الحجة بين يديه ، والتوصل الى فصل ما بينهم بحسب ما يقود الحق اليه ، وان يقصد فيما وقع الخلف معهم فيه ، والكشف الذي يقوم به ويستوفيه ، فان وضح له الحق أنفذه وقطع به ، والا ردهم الى مجالس القضاء لامضاء ذلك على مقتضى الشرع وموجبه والى المرتبين في أسواق الرقيق بالتحفظ فيما يبتاع ويباع ، وأن يستعمل في ذلك الاقتفاء للسنن الجميل والاتباع: ليؤمن اختلاط الحر بالعبد ، وتحرس الأنساب من القدح والفروج من الغضب ، في ضمن حفظ الأموال ، والمنع من مزج الحرام بالحلال ، والى ولاة العيار بتصفية عين الدرهم والدينار من الغش والاذغال ، وصون السكك من تداول الأيدي الغريبة لها بحال من الأحوال متحذرين من الاغترار بما ربما وضح الفساد فيه عند الاعتبار ،ومانعين التجار المخصوصين بالايراد من كل قول مخالف للايثار في الصحة والمراد ،ومعتمدين اجراء الأمر فيما يطبع على القانون بمدينة السلام ،من غير خلاف لمستقر القاعدة في ذلك ومتسق النظام ،وأن يثبت ذكر امير المؤمنين ،وولى عهده في المسلمين على ما يضرب من الصنفين معا ،والمسارعة في ذلك الى الأفضل مابادر اليه المرء وسعى ،والى المستخدمين في الطرز بملاحظة احوال

المناسج والأشراف عليها ،واخذ الصناع بالتجويد على العادة التي يجب الانتهاء اليها ،واثبات اسم امير المؤمنين على ماينسج من الكسا والفروش والأعلام والبنود ،جريا في ذلك على السنن المرضي والمنهاج المحمود والى من يراعي الحسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ،والانتهاء في ذلك الى ما ينتهي به من شمل الصلاح الى الانتظام والاتساق ،وان يتقدم اليهم بما يوجب من تعيير ما يختص بهم من المكاييل والموازين ،وحملها على قانون الصحة الواضحة الدلائل والبراهين ،وان يقصد تبصيرهم مواضع الحظ في الاستقالة ،ويحذرهم مواقع الانتقام الذي لاتفيد فيه أسباب الاستصفاح والاستقالة ،فان عرف من احد منهم اقداما على ادغال فيما يزن أو يكيل ،قوبل من التأديب بما هو الطريق الى ارتداعه والسبيل ،قال الله تعالى · (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (٧٥) .

وامره أن يعرف قدر النعمة التي ضفت عليه برودها، وحلت جيدة عقودها ، وزفت منه الى اوفى اكفائها ، وحفت بجزيل القسم من جميع اكنافها وارجائها ، وان يقابلها بالاخلاص في الطاعة يساوي فيه بين ما يبدي ويسر ، وسعي في الخدمة يوفي على كل مجاز ومبر ويبدأ امام مايتوخاه بأخذ البيعة لأمير المؤمنين وولى عهده على نفسه وولده ، وكافة الأجناد والرعايا في بلده ، عن نية صفت من الكدر والقذى ووفت للتوفيق بما ضمنت من خذلان البغي ونصرة الهدى ، ويتبع ذلك بالحقوق في كل خدمة ترضى ، والوقوف عند الأوامر الامامية في كل مايؤدي الى الوفاق ويفضي ، وان يحمل الى حضرة امير المؤمنين من الفيء والغنائم ما أوجبه الله تعالى وفرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولاتقصير منه فيما يقتضي التلافي والاستدراك : ليأمر امير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار اليها ، ووجوهه المنصوص عليها ، قال الله تعالى :(واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (٧٦) .

ثم إن امير المؤمنين اثر ان يضاعف له من الاحسان ، ما يقتضيه مقاله لديه من وجيه الرتبة والمكان ، وشرفه بما يرفل من حلاه في حلل الجمال ، وتكفل له علاه ببلوغ منتهى الآمال : وأبوأه بما اولاه محلا تقصر عن الوصول إليه الأقدام ، وتعجز عن حل عراه الأيام ، ولقبه بكذا ، واذن له في تكنيته عن حضرته ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر امنيته : إنافة به على من هو في مساجلته من الاقران طالع ، وإضافة للنعمة في ذاك إلى ما اقترن بها فيما هو لشمل الفخر عنده جامع ، وانفذ لواء يلوي به الى الطاعة ابي الاعناق ، ويحوي به من العز ماانواره وافية الاشراق .

فتلق يافلان هذه الصنيعة الغراء ، والمنحة التي اكسبت زنادك الايراء؛ بالاستبشار التام ، والاعتراف فيها بسابغ الطول والانعام : واشع ذكر ذلك عند كل أحد ، وانته في الابانة عنه إلى ابعد امد : واعتمد مكاتبة حضرة امير المؤمنين متسميا ، ومن عداه متلقبا متكنيا : وتوفر على شكر تستدر به صوب المزيد ، وتستحق به إلحاق الطريف من الاحسان بالتليد ، والله تعالى يقول : (لئن شكرتم لأزيدنكم)(٧٧) .

هذا عهد امير المؤمنين إليك ، والحجة لك وعليك : قد أوضح لك (فيه) الصواب ، وأذل به الجوامح الصعاب : وحباك منه بموهبة كفيلة بخيري البدء والمعاد ، وفيه فيها المنى بسابق الضمان والميعاد : وضمنه من مواعظه ما هدى به الى كل ما الجني ثمره ، وغدا محظيا بما تروق اوضاحه في المجد وغرره : ولم يألك فيه تجملا يكسبك الفخر النامي ، ويجعل ذكرك زينة المحفل والنادي : وتقديما ينبيء عما خصصت به من المنح المشرقة اللالي ، واكراما يبقى صيته على تقضي الايام والليالي ، وتبصيرا يقي من فلتات القول والعمل ويرتقي المستضيء بانواره الى ذرى الامن من دواعي العثار والزلل ، فاصغ الى ما حواه ، اصغاء الفائز بأوفى الحظ ، وتدبر فحواه ، الناطق بفضل الحث على الهدى والحض ، وكن لأوامر امير المؤمنين فيه محتذيا ، ومن تجاوز محدوده في مطاويه

محتميا ، وبمواعظه الصادقة معتبرا وفي العمل بما قارن الحق مستبصرا ، تفز بالغنم الاكبر وبالسلامة في المورد والمصدر ، واياك واعتماد ما تذم فيه مكاسبك ، فان لك بين يدي الله تعالى موقفا يناقشك فيه ويحاسبك .

واعلم ان امير المؤمنين قد قلدك جسيما وخولك جزيلا عظيما ، فلا تنسى نصيبك من الله تعالى غدا ، ولاتجعل لسلطان الهوى المضل عليك يدا ، وان خفي عليك الصواب في بعض ما انت بصدده ، او اعترض فيه من الشبه ما يحول بينك وبين طريق الرشاد وجدده ؛ فطالع حضرة امير المؤمنين به ، واستنجد الله في ذلك بأسد رأي و أصو به ، يبدلك من الشك يقينا ، ويبد لك ما يغدو لكل خير ضمينا ؛ ان شاء الله تعالى .

نص المذكرة التي رفعها ابن العربي الى الخليفة المستظهر بالله العباسي (٤٨٧ - ٥١٢ هـ/ ١٠١٤ - ١١١٨ م) يلتمس تقليدا خلافيا ليوسف بن تاشفين ، والرد الخلافي مع رد الوزير ابن جهير (٧٨)

الخادم بالأدعية ، تقبلها الله ، ابن العربي الأندلسي .
بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلي :

أسعد الله الدنيا وأهلها بدوام انوار المواقف المقدسة النبوية الامامية المستظهرية ، وضاعف مددها ولاأرى المسلمين امدها بغرائب مجد تبدعها حوادث أيام تذلل صعابها ، ومستأنف سعود تحرس جنابها ، ولازالت الأيام التي هي لأيامها غرر ، وفي إكليل الخلافة درر للدهر تمائم ، وفي المحل غنائم ، والحمد لله الذي جعل للمواقف المقدسة النبوية الامامية المستظهرية شرائط السواد ، وخصها بالمجد المؤثل المطول بالانتساب ، كابرا عن كابر الى اعلى خندف فهي أعلاها عمادا ، واوراها في مواقف الفضل زنادا ، أورمة الرسالة ، وجرثومة الخلافة ، اليها ينزع هاشم ، وعنها أخذت المكارم ، مفاخر شهد لها الكتاب المنزل ، وعهد بتخليدها مخبرا عن الوحي في اله وعقبه النبي المرسل قد آمنت بعصمة الله من الغير ، وتحققت أواخرها على سنن أولها في هداية البشر بحسن السير ، أوزعنا الله الشكر على مامن به من توفيقنا للتمسك بعراها الوثيقة ، والاهتداء بهداها الى واضح الطريقة ، فهم في الدين امتنا ويوم الدين وسيلتنا ، استعملنا الله من طاعته وطاعتهم بما يؤدي الى مرضاته ومرضاتهم ، انه الموفق الهادي لارب غيره .

وإن الخادم بالأدعية المتقبلة للمواقف المقدسة النبوية الامامية المستظهرية ، الهمه الله منها لما يسمع فيرفع بمنه لما علم بموجب الشرع ان بيعة الامام العادل من اركان الديانة ،ومما يتعين ما يحتمل من رعاية الأمانة هاجر الى ذلك بنفسه وبابنه المسترق القن من اقصى المغارب ،معتقدا أن عمله فضل القرب والرغائب ،واحتمل برد الهواء وظمأ الهواجر ،واقتحم دون ذلك مسالك بلغت فيها القلوب الحناجر ،ولم يثنه بحر يزخر ولا فقر يذعر ،يحتسب في ذلك أثره ،ويرجو أن يقيل الله يوم الجزاء عثره ،الى أن انتهى هو وابنه الى مدينة السلام ،لازالت محروسة من غير عاصمة لمن التجأ اليه من مهتضمي الأنام .

ولم يزل الخادم بالأدعية المتقبلة بحول الله يتوسل بهجرته ، ويتقرب بخلوص علانيته ، ويسأل تشريف رقاعه ، بملاحظتها ، والنظر من انقطاعه رغبة في الحظ الجسيم ، الى ان وصل الى المجلس السامي ، وخدم البساط العالي ، زاده الله تشريفا وتعظيما ، وأنهى اغراض وفادته ومقاصد ارادته ، فنفذت الأوامر الشريفة أدام الله سموها وتشريفها واضفى على الجميع ستر سلطانها وكنف احسانها بقبول وسائله والحاح مطالبه ، وافاضة الاحسان عليه .

ولما بسط له في الأمل ، كان هو وابنه في محل الكرامة والجذل ، بدأ بعرض ما هو عليه ناصر الدين ، وجامع كلمة المسلمين ، القائم بدعوة مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ابائه الطاهرين ، الأمير ابو يعقوب يوسف بن تاشفين المتحرك بالجهاد ، المتجهز الى المسلمين باستئصال فئة العناد ، ولمة الفساد ، قام بدعوة الامامة العباسيةوالناس اشياع وقد غلب عليهم قوم دعوا الى انفسهم ليسوا من الرهط الكريم ، ولامن شعبة الطاهر الصميم ، فنبه جميع من كان في افق قيامه بالدعوة الامامية العباسية ، وقاتل من توقف عنها منذ اربعين عاما الى ان صار جميع من في جهة المغارب على سعتها وامتدادها له

طاعة ، واجتمعت بحمد الله على دعوته الموفقة الجماعة ، فيخطب الآن للخلافة ، بسط الله أنوارها ، وأعلى منارها على أكثرمن ألفي منبر وخمسمائة منبر ، فإن طاعته ، ضاعفها الله من أول بلاد الله الافرنج ، استأصل الله شأفتهم ، ودمر جملتهم الى آخر بلاد السوس مما يلي بلاد الله غانة وهي بلاد معادن الذهب ، والمسافة بين الحدين المذكورين مسيرة خمسة أشهر ، وله وقائع في جميع أصناف الشرك من الافرنج وغيرهم قد فللت غربتهم وقللت حزبهم وألفت جموعه حربهم ، وهو مستمر على مجاهدتهم ، ومضايقتهم في كل أفق وعلى كل الطرق وقد استرجع كثيرا من المعاقل التي استباحها الروم من أمور المسلمين وسبت أهلها قبل حصول تلك الجهات في حكم سلطانه وكانت ثغور المسلمين بها مستضامة ، وقد أعادها جده بحمد الله الى أولها ، واحترمت لحرمة المسلمين والاسلام ، وعز سلطانه ، وهذا دأبه وهجيراه الذي لاعمل له سواه .

وعدة جيوشه اذا جمعها لحركته ستون الف فارس ، وكان أمله مواصلة حماية دين المسلمين ، واقباله على مجاهدة المشركين ، الا أن الحائل المانع دون ذلك لاتفاقه ، ولم يزل محافظا على ماهو عليه من اقامة الدعوة السعيدة ، الاعتراف بجمل النعم الوافدة العديدة بفضل الله . ولقد وصل الى ديار المشرق في هذا العام قاض من قضاة المغرب يعرف بابن القاسم ،وذكر من حال هذا الأمير ما يؤكد ما ذكرته ،ويؤيد ما شرحته ، واشاع القاضي المذكور ذلك بمكة ، وصل الله تشريفها وتعظيمها ، وذكر لي أن الروم على شفا جرف من تضييقه عليهم ، وحصاره لهم ، وقد تكرر اعلام الخادم بذلك لما تلزمه من طاعة اولي الأمر لاسيما هذا الأمير ، وقد خص بفضائل منها الدين المتين ، والعدل المستبين ، وطاعة الامام ، وابتدأ جهاده بالمحاربة على اظهار دعوته ، وجمع المسلمين على طاعته ، والارتباط بحماية ثغور المسلمين ، وهو ، ممن يقسم بالسوية ، ويعدل في الرعية ووالله ما في طاعته مع سعتها دان منه ، ولاناء عنه من البلاد ما يجري فيه على أحد من المسلمين رسم

مكس ، وسبل المسلمين آمنة ، ونقوده من الذهب والفضة سليمة من الشرب ، مطرزة باسم الخلافة ، ضاعف الله تعظيمها وجلالها .

هذه حقيقة حالة ، والله يعلم أني ما أسهبت ولالغوت ، بل لعلي أغفلت أو قصرت ، ولمولانا أمير المؤمنين المستظهر بالله ، صلوات الله عليه وعلى ابائه الطاهرين ، الطول العميم في الأمر ، تشريفه بقبول تأميله ، وفي الاشارة اليه بما يقوي أمره ، ويشد أزره ، ويؤيد سلطانه ، ويعلي شأنه ، مجريا له على السنن الكريم الطول العميم . فوالله ما في الأمراء ولافي شيع النصحاء الأولياء من يجوز في الولاء وصحة الانتماء سبقه ، ولايلبس من النصيحة طرقه ، والله يمنحه من الخلافة المقدسة المبنية على الطرق النبوية ما يصل يده ويقوي أيده ويشد عضده بمنه وطوله .

وضراعة الخادم بالأدعية المتقبلة لنفسه ولابنه المسترق القن بعد الامتنان بإباحة الصدر لهما الى الوطن ، فقد بعدا عنه سبعة أعوام وأقاما في الجناب المخصب الظليل والكنف الرحب المأهول مدة عامين ، يستدران النعم الحافلة جملا بعد جمل ، ويكرعان في المشارب الجمة العذبة عللا بعد نهل ، فلله الهام الشريعة التي مسحت على شكايتها من عدوان الأيام بيد شيم الكرام ، فأزاحت عنهما جميع الشكايات و الآلام وهذه نبذة من الصنائع المشكورة وفلذة من جزيل الأجر عبقة بأرج النشر ، وان الشكر ليقل في جانبها ويقصر عن أنزر لازمها فانها ضمنت حياة نفسين وأشرت دفيني رسمين ، فكأنها قد أجبت ضعف الورى ونشرت امثل المستودعين في الثرى فمن أحيا النفس الواحدة(فكأنما أحيا الناس جميعا)(٧٩)وعند الله تعالى كفاء ما أولاه مولانا الامام المستظهر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ابائه الأكرمين من جميل الفعل وجزيل ما أتاه في سبيل الفضل ، والخادم العامر القلب هو وعقبه بالمحبة الناصفة والطاعة الخالصة صادر في جملة الحامدين ويرجو أن لايكون مقصرا عن درجة السابقين ويضرع في وسمه ووسم المملوك

ابنه عين التشريف السامي ، لازال القمم(٨٠)الكرام تيجانا على قسماتهم العز والكرامة عنوانا ليعيد حيث جلا الى النباهة ذكرهما ، والي البر والكرامة قدرهما ، ويظهر مزية وفادتهما ورعاية هجرتهما ويثبت لهما من المفاخر ما يحبذ عليه البر الموازر ، ويتضاءل له الحسود المكاشر ، ويبقى للشريعة على مر الأيام ، ويضرع ان يتضمن التشريف العزيز بثبوت اسمه في الديوان الشريف ضاعف الله علاه ونماه بما خص به والمملوك أيسر من الكرامات والنعمة ، وانه متى وفد هو او ابنه المملوك كان للوافد منهما تجددا على مر الأيام مؤكدا مخلدا حسب العادة الكريمة له ولسلفه الأكرمين رضي الله عنهم أنهم متى أنعموا بنعمة ، او خصوا بكرامة ومنة ثبتت مؤبدة ، وجددت مخلدة ، وليمتش بالأمر العالي والتشريف السامي فيهما جميع من يردان عليه في كل الآفاق من جميع الأطباق وامتثالالما يعد لهمامن الاكرام واحتمالا على ماتأصل بجنبتيهما من التنويه والانعام ، وأن ذلك يرثه الخلف منا عن السلف وتكون لنا مزية التشرف بالوصول إلى مهاد العز المأمول ، لاأعدم الله مولانا الامام المستظهر بالله امير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى أبائه المنتجبين مبرة تتضاعف بها المعالي ، وسعادة تحرز أسنى الأماني، وكفاية يستمد بها حرية الأيام والليالي، فذلك بيده وغير معجزه ، وهو المنعم الجواد ، وكل خير من طوله مستفاد ، لاشريك له ، ولاتوفيق إلا به والحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيد المرسلين رسوله وعبده وعلى اله الطيبين ، وعترته المنتجبين الراشدين ، أباء امير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين ، (وحسبي الله ونعم الوكيل) (٨١) .

رد الخلافة

فراجعه عنه على ظهره بتوقيع عزيز أعدد أسطره سبعة وثلاثون سطرا بخط فسيح كتابي مليح بين السطر الأول منه والثاني منه العلامة العزيزة بخط أمير المؤمنين بالقلم الغليظ بمداد ممسك« المستظهر بالله»:

عرضت هذه القصة بمفاوز العز والعصمة، ومواقف الامامة المطهرة المكرمة ، زاد الله في جلالها وسبوغ ظلالها ، فخرجت المراسم الشريفة بأن ذلك الولي الذي أضحى بحبل الاخلاص معتصما ولشرطه ملتزما ، وإلى اداء فروضه مسابقا . وكل فعله فيما هو بصدده للتوفيق مساوقا ، لاريبة في اعتقاده ، ولاشك في تقلده من الولاء ، طويل نجاده ، إذ كان من غدا بالدين تمسكه ، وفي الزيادة عنه مسلكه ، حقيقيا بأن يستتب صلاح النظام على يده ، ويستشف من يومه حسن العقبى في غده ، وافضل ما نحاه ، وعليه من الاجتهاد دار رحاه ، جهاد من يليه من الكفار وإتيان ما يقضي عليهم بالاجتياح والبوار ، اتباعا لقوله تعالى : (الذين يلونكم من الكفار)(٨٢) فهذا هو الواجب اعتماده ، الذي يقوم به الشرع عماده ، وأن يؤلف شمل من في جملته من الأجناد على الطاعة الامامية التي هي العروة الوثقى والذخر الأبقى ، واستقراء قوله تعالى والعمل به ، والبدار إلى التشبث بسببه (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) .(٨٣) .

وليكن دابه الجهاد فيما يكسب عند الله تعالى الزلفى ، ويمنحه من رضاه القسم الأكمل الأوفى ،« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » .(٨٤) وأن يختص رافعها وولده بالارعاء الذي يضفو عليهما برده ، ويصفو لهما ورده ، ليظهر عليهما من المهاجرة جميل الأثر ويؤول أمرهما فيما يرجو انهما إلى استقامة النظام وضم النشر ،

فليقابل الأمر الأسنى في ذلك بامتثال واحتذاء مطاع المثال إن شـــاء الله .

وكتب في رجب سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .

obeikandl.com

من الوزير الأجل السيد الأعدل ، عميد الدولة بهذه الملة ، شرف الأمة ، ولي النعمة ، خلاصة أمير المؤمنين محمد بن محمد بن جهير ، إلى أمير المسلمين ، ومناصر الدين ، القائم بدعوة أمير المؤمنين ، أزكى الرغائب بأرض المغارب ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، أطال الله بقاءه ، ومدته ، وضاعف بسطته ، وكبت أعداءه ، وحسدته ، آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي من حضرة مولانا امير المؤمنين ، أبي العباس ، المستظهر بالله ، ادام الله ايامها ، واوضح أعلامها ، واعز أنصارها ، واعلى منارها ، الأحوال مستقيمة بإقبال دولته ، منتظمة بيمن تدبيره وسياسته ، تجري على أفضل ما عودها الله تعالى من نفاذ الأمر ، ومضائه ، وانبساط السلطان واعتلائه ، ونحن مقابلون نعمته بالشكر ، والاعتراف ، مستديمون مددها بالعدل ، والانصاف ، متحققون إجابة رغبتنا في توفيق اولياء مولانا المخلصين ، واهل الطاعة من كافة المسلمين لما يقرب من طاعته ، ويوزع شكر نعمته ، السابغة عليهم بولايته ، فلقد استخلف عليهم عنه أكرم مستخلف وعطف عليهم بولايته أفضل مستعطف ، فأصبح وقد أطاعته الأمة العاصية وامكنته الغايات فذلل الصعب ورأب الشعب ، وقرب النازح ، وأرضى الجامح ، وقوم المائد واصلح الفاسد ، واعاد معالم الحق عامرة بعد دثورها ، ومشاربه صافية بعد ركودها وبضائع الخير نافقة بعد كسادها واحوال الأمة صالحة بعد فسادها ، مبتغيا فيما اتاه الله مصلحة اخراه ، غير ناس نصيبه من دنياه ، طامحا بطرفه إلى أعلى الدرجات ، في ناريه ، آخذا بأفضل الاقبال في حاليه ، فلباس التقوى شعاره ، والعمل الصالح دثاره ، نهاره مقسوم بين تلاوة القران وإقامة إحسان ، وغوث مكروب ، وفك عار محروب ، وسد ثغر ، وصلاح أمر ، وتدبير شرق وغرب ، وبر وبحر ، فأعين الرعية قائمة بشهادته ، وانفس البرية مستريحة

باجتهاده ، ولاجرم أن الله يصلح باله ويحسن ماله تصديقا لما قال جل جلاله : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)(٨٥) وحقيق لمن جمعت فيه هذه الأخلاق الطاهرة ونطق القرآن بأمانته الباهرة فإن الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا)(٨٦) فالحمد لله الذي أنجز لأمير المؤمنين ما وعده وحقق له التمكن وأيده وأمن السبل بخلافته ، وأقام الحق بإمامته ، وسخر له من أوليائه من تنفذ بطاعته أوامره ، ويؤازره على فعل الخيرات ويضافره وينشر رحمته ودعوته ، ويظهر سعده وكلمته ، وينتهي إلى ما فرض سبحانه عليه من طاعة ولاة الأمر المقترنة بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم إذ يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)(٨٧). استمناحا لنعم الله التي لاتحد ، واستمدادا من عوارفه التي لاتنفد ، ولما كان الأمير أطال الله بقائه ، وأدام تمكينه ورفعته وسموه وسلطته ، وكبت عدوه وحسدته ممن صح عنده خلوص عقد ولايته ولزوم طاعته لأمير المؤمنين والعزوف عن أعدائه وإظهار العدل في الرعية ، فخرا بارائه وتمسكا بما أمر الله تعالى به من مجاهدة أعدائه وتحريض عساكر الاسلام على مجاهدة عدوهم وبذل نفوسهم ومشاركته لهم في نعيمهم وبؤسهم ، وما فتح الله لأمير المؤمنين على يده من ثغور الاسلام بجزيرة الأندلس وما جاورها مما كان العدو قد تغلب عليه واستباحه ، واستأصل شافته واجتاحه عند اختلاف الخوارج بها وتباين مقاصدهم وعدولهم عن الواجب في مصادرهم ومواردهم ، انهيت إلى المواقف المقدسة العلية الشريفة النبوية المستظهرية زاد الله في جلالها وامتداد ظلالها هذه الجملة فخرج من الشكر للأمير أطال الله بقاءه وأعلاه وأحمد طرائقه وحسن سيرته وجميل مقاصده والدعاء بمثابرته على جهاد عدو المسلمين وتصديق ما جاء به عن سيد المرسلين « لايزال أهل الغرب

على الحق ظاهرين » وذلك لنصوع عقائدهم في خلوص اليقين واقترار مذهبهم على صحة الدين ، على يد الشيخ الفقيه ابي محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي وابنه الفقيه ابي بكر محمد أدام الله عزتهما ما يزدهي به الغافر وتتأرجح به سطور الدفاتر وتنتعش به جدود العواثر ، ولقد بالغ هذا الفقيه وولده في الثناء على الأمير وأطنبا في وصف ما يعتمده من لزوم قوانين العدل والانصاف ، ومجانبة طرق العسف والاعتساف ، ولما كان راينا في هذه الطائفة التي تأخذ في الحدود الشرعية بقولها وتستوصي في السياسة السلطانية برأيها ، جميلا ، وتميزنا بالبر لمن انسنا منه الطريقة القويمة وجنوحنا إلى من عرفناه بصدق العزيمة ، شكرنا لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، اقتداء بهذه الطائفة في آرائه ورجوعا إلى قولهم في الحالة ، أخذا بآراء المواقف المقدسة زادها الله مضاء وامتثالا لقصدها ، وكذلك هذا الفقيه وولده المقدم ذكرهما مما شاهدنا من خلالهما وحسن هديهما بما يقتضي تقريبهما وأدناهما ، فراينا هما واعتمدنا برهما وإكرامهما وأصدرنا هذه الجملة القاضية باحلال الأمير محله المنيف على استحقاقه الاجلال والتشريف نظرا لمقالهما وإحسانا ، وتعطفا عليهما وامتنانا ، فليعتمد الأمير أطال الله بقاءه مصالح أمورهما ، وليتوخ ما تعود باستقامة شؤونهما وليولهما حسن موقع النيابة عنه وليبدلهما صفحة الاقبال بمنه ، وليلزم تقوى الله فيما يجري من الأمور على يديه وليراقبه تعالى فيما فرض من أحوال الرعية إليه ، وليعلم أن المصير والمرجع إليه ويطالع بأخباره وما احتاج إلى علم من بجهته إن شاء الله ، وكتب في عشر من رجب سنة إحدى وتسعين وأربعمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الخطاب الذي وجهه ابن عربي الى حجة الاسلام الامام الغزالي ورد الغزالي عليه ، مع رسالة بعث بها الغزالي الى يوسف بن تاشفين(٨٨)

قال ابن العربي .

وكان من اشهر من لقينا من العلماء في الآفاق ، ومن سارت بذكره الرفاق ، لطول باعه في العلم ورحب ذراعه ، الامام ابو حامد ابن محمد الطوسي الغزالي ، فاستدعينا منه فتيا وكتبا ، اختصرت لفظ الفتيا لوقت ضاق عن تقييدها ، لكن انبه على معناها وهو في علم الامام ماذكر في وصف خلال امير المسلمين وناصر الدين ابي يعقوب يوسف بن تاشفين امير المغربين الأندلس والعدوة ، وما اوضحت لديه من إعزاز الدين ، والذب عن المسلمين وهو حميري النسب وقبيله المرابطون ، قد وقفوا انفسهم على الجهاد . وقد كانت جزيرة الأندلس قد تملكها من تاريخ ابتداء الفتنة سنة اربعمائة ، عدة ثوار تسوروا على البلاد وضعف اهلها عن مدافعتهم ، وتلقبوا بالقاب الخلفاء ، وخطبوا لأنفسهم ، وضربوا النقود بأسمائهم ، واثاروا الفتنة بينهم لرغبة كل واحد منهم في الاستيلاء على صاحبه ، واستنابوا الفساق من الأرقاء ، والصنائع الطلقاء في محاربة بعضهم بعضا واستنجدوا بالنصارى عندما اعتقد كل واحد منهم انه احق من صاحبه ، وعند ذهاب شوكة المسلمين ، وحينما انكشف للنصارى ضعف المسلمين ، وعلموا المداخل والمخارج إلى بلاد المسلمين . طلبوا المعاقل واخذوا بالحرب كثيرا منها من غير مؤونة ولامشقة ، ثم لجأ الباقي من المسلمين إلى المرابطين واستصرخوهم فلباهم امير المسلمين ووصل إلى البحر ، فاستوقف بعض الرؤساء وفاء للمشركين ، وحذقا على المسلمين في استدعائهم له ، ووصل الأمير إلى غرب الأندلس فمنحه الله النصر ،

والجم الكفار السيف ثم عاود الجواز في العام الثالث من هذا الفتح ، فتهيبه العدو ، وتحصن منه ، ولم يخرج للقائه مع تثاقل الرؤساء عنه ، وعثر لأحدهم على خطاب يشجع العدو على اللقاء ، واستولى على من قدر عليه من الرؤساء عن البلاد والمعاقل وبقيت طائفة من رؤساء الثغر الشرقي من جزيرة الأندلس ، حالفوا النصارى أو صاروا معهم إلبا ، ودعاهم أمير المسلمين إلى الجهاد ، والدخول في بيعة الجمهور ، فقالوا لاجهاد إلا مع إمام من قريش ، ولست به ، أو مع نائبه عن إمام وما أنت ذلك ، فقال انا خادم الامام العباسي ، فقالوا له أظهر لنا تقديمه إليك ، فقال أوليس الخطبة في جميع بلادي له ؟ فقالوا ذلك احتيال ، ومردوا على النفاق . فهل يجب قتالهم ؟ وإذا ظفر بهم كيف الحكم في أموالهم ؟ وهل على مسلم حرج في قتالهم ؟ وهل على الامام العباسي أن يبعث له بمنشور يتضمن تقديمه له على جهادهم ، فإنهم إنما خرجوا عليه بأن الأمير خادمه وهو يخطب له على أكثر من ألفي منبر ، وتضرب السكة باسمه إلى غير ذلك . ومتى وصف نفسه قال : لست مستبدا ، وإنما أنا خادم أمير المؤمنين المستظهر ، وهذا أشهر من أن يؤكد بالتحلية ، وأظهر من أن يجدد بالتزكية .

فللشيخ الامام الأجل الزاهد الأوحد أبي حامد أتم الأجر ، وأعم الشكر في الانعام بالمراجعة في هذا السؤال إن شاء الله
فأجاب الامام الغزالي رضوان الله عليه :

لقد سمعت من لسانه وهو الموثوق به الذي يستغنى مع شهادته عن غيره ، وعن طبقة من ثقاة المغرب الفقهاء وغيرهم ، من سيرة هذا الأمير أكثر الله في الأمراء أمثاله ، ما أوجب الدعاء لأمثاله . أصاب الحق في إظهار الشعار الامامي المستظهري ، حرس الله على المستظهرين ظلاله ، وهذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فعليهم تزيين منابرهم بالدعاء للامام الحق . وإن لم يكن قد بلغهم صريح التقليد من الامام أو تأخر عنهم ذلك لعائق . وإذا نادى الملك المستولي

بشعار الخلافة العباسية ، وجب على كل الرعايا والرؤساء الاذعان والانقياد ، ولزمهم السمع والطاعة وعليهم ان يعتقدوا أن طاعته هي طاعة الامام ، ومخالفته مخالفة الامام وكل من تمرد واستعصى وسل يده عن الطاعة ، فحكمه حكم الباغي ، وقد قال الله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)(٨٩)والفيئة إلى أمر الله ، الرجوع إلى السلطان العادل المتمسك بولاء الامام الحق المنتسب إلى الخلافة العباسية فكل متمرد على الحق ، فإنه مردود بالسيف إلى الحق ، فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردة عن طاعته ، لاسيما وقد استنجدوا بالنصارى المشركين أوليائهم ، وهم أعداء الله في مقابلة المسلمين الذين هم أولياء الله ، فمن أعظم القربات قتالهم إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية .

ومهما تركوا المخالفة ، وجب الكف عنهم ، وإذا قاتلوا ، لم يجز أن يتتبع مدبرهم ، ولاأن يذفف على جريحهم بل مهما سقطت شوكتهم وانهزموا ، وجب الكف عنهم أعني عن المسلمين منهم دون النصارى الذين لايبقى لهم عهد مع التشاغل بقتال المسلمين . وأما ما يظفر به من أموالهم فمردود عليهم أو على وريثهم ، وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم في القتال مهدرة لاضمان فيها ، وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة ، المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة ، حكم الباغي على نائب الامام .

فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوائق المانعة من وصول المنشور بالتقليد فهو نائب بحكم قرينة الحال ، إذ يجب على إمام المصر أن يأذن لكل إمام عادل استولى على قطر من أقطار الأرض ، في أن يخطب عليه ، وينادي بشعاره ، ويحمل الخلق على العدل والنصفة ، ولاينبغي أن يظن بالامام توقف في الرضا بذلك والاذن فيه .

وإن توقف في كتبه المنشور ، فالكتب قد يعوق عن إنشائها

وإيصالها المعاذير ، وأما الاذن والرضى بعدما ظهر حال الأمير في العدل والسياسة وابتغاء المصلحة للتفويض والتعيين ، فلا رخصة في تركه وقد ظهر حال هذا الأمير بالاستفاضة ظهورا لايشك فيه وإن لم يكن عن إيصال الكتاب وإنشائه عائق ، وكانت هذه الفتنة لاتنطفىء إلا بأن يصل إليهم صريح الاذن والتقليد بمنشور مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء ، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك . فإن الامام الحق عاقلة اهل الاسلام ، ولايحل له ان يترك في اقطار الأرض فتنة ثائرة إلا ويسعى في إطفائها بكل ممكن . قال عمر رضي الله عنه « لو تركت جرباء على ضفة الفرات لم تطل بالهناء ، فأنا المسؤول عنها يوم القيامة » . وقال سليمان بن عبد الملك يوما وقد احدق به الناس : « قد كثر الناس » . فقال عمر بن عبد العزيز « خصماؤك يا أمير المؤمنين » ، يعني أنك مسؤول عن كل واحد منهم إن ضيعت حق الله فيهم او اقمته . فلا رخصة في التوقف عن إطفاء الفتنة في قرية تحوى عشرة . فكيف في اقاليم واقاليم إلا ان يعوق عن ذلك عائق ، ويمنع منه مانع المواقف القدسية الامامية المستظهرية حرس الله جلالها ابصر بها . ونحن نعلم أنا لانستجيز التوقف على إطفاء هذه الفتنة إلا لعذر ظاهر وجب على اهل الغرب ان لايعتقدوا في حضرة الخلافة إلا ذلك ، فإن المسافة إذا بعدت وتخللها المارقون عن ربقة الحق ، لم يبعد أن يقتضي الرأي الشريف صيانة الأوامر الشريفة عن أن تمد اليها أعين أعداء الدولة فضلا عن أيديهم.

وأما من يستجيز التوقف فيها عن غير عذر عن التقليد لأمير قد ظهرت شوكته وعرفت سياسته ، وتناطقت الألسن بعدله ، ولم يعرف في ذلك القطر من يجري مجراه . ويسد في هذا الحال مسده ، فهذا اعتقاد فاسد في حضرة الخلافة حاشاها من أن تنسب إلى قصور ، او تقتضي في نصرة اهل العدل المتمسكين بخدمتها ، والمعتصمين بعروتها ، القائمين في اقطار الأرض بإنفاذ شعائرها وأوامرها المعلومة بقرائن الأحوال ، فهذا حكم كل امير عادل في اقطار الأرض وحكم من بغى عليه ، والله أعلم .

رسالة الغزالي الى يوسف بن تاشفين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين وسائر النبيين وعلى اله واصحابه اجمعين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليوم من سلطان عادل خير من عباده سبعين سنة »... وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم«سبعة يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله»، وعد الامام العادل اولهم ، ونحن نرجو ان يكون الأمير جامع كلمة الاسلام وناصر الدين ظهير أمير المؤمنين من المستظلين بظل عرشه يوم لاظل إلا ظله فإنه منصب لاينال إلا بالعدل في السلطنة ، وقد اتاه الله السلطان وزينه بالعدل والاحسان ولقد استطارت في الآفاق محامد سيره ومحاسن اخلاقه على الاجمال حتى ورد الشيخ الفقيه الوجيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربي الأندلسي الاشبيلي حرس الله توفيقه فأورد من شرح ذلك وتفصيله ما عطر به ارجاء العراق ، فانه لما وصل إلى مدينة السلام وحضرة الخلافة لم يزل يطنب في ذكر ما كان عليه المسلمون في جزيرة الاندلس من الذل والصغار والحرب والاستصغار بسبب استيلاء أهل الشرك وامتداد ايديهم إلى الاسلام بالسبي والقتل والنهب ،وتطرقهم إلى اهتضام أهل الاسلام بما حدث بينهم من تفرق الكلمة واختلاف آراء الثوار المحاولين للاستبداد بالامارة ، وتقاتلهم على ذلك حتى اختطف من بينهم حماة الرجال بطول القتال والمحاربة والمنافسة ، وافضى الأمر بهم إلى الاستنجاد بالنصارى حرصا على الانتقام.إلى أن اوطنوهم بيضة الاسلام.وكشفوا إليهم الأسرار حتى اشرفوا على التهائم والأغوار فرتبوا عليهم الجزاء وجزوهم شر الجزاء ، ولما استنفدوا من عندهم الأموال أخذوا في نهب المناهل وتحصيل المعاقل ،

واستصرخ المسلمون عند ذلك بالأمير ناصر الدين وجامع كلمة المسلمين ظهير أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، واستصرخه معهم بعض الثوار المذكورين ليأسهم عن مداراة المشركين ، فلبى دعوتهم ، وأسرع نصرتهم وأجاز البحر بنفسه ورجاله وماله ، وجاهد في الله حق جهاده ، ومنحه الله تعالى استئصال شافة المشركين والافراج عن حوزة المسلمين جزاه الله تعالى افضل جزاء وأمده بالنصر والتمكين ، وذكر متابعته العدوة إلى جهة أخرى بعد ثلاثة أعوام من هذه الغزوة المشهورة ، وقتل كل من ظهر من النصارى بالجزيرة المذكورة من الخارجين لامداد ملوكها على عادتهم أو من سراياهم في أي جهة يمموا من جهات المسلمين وقذف الله الرعب في قلوب المشركين حتى أغناه ذلك عن جر العساكر والجنود وعقد الألوية والبنود ، وذكر أن أولئك الثوار لما أيقنوا قوة الأمير ناصر الدين وغلبته لحزب المشركين وسألهم رفع المظالم عن المسلمين التي كانت مرتبة عليهم لجزية المشركين وإمدادهم بها لهم مداراة لبقاء إمرتهم عادوا إلى ممالاة المشركين والقوا إليهم القول في جهة الأمير وجراوهم على لقائه. وصح ذلك عنده وعند المسلمين ، فسأله المسلمون عند ذلك إنزال هؤلاء الثوار عن البلاد وتداركها ومن فيها من المسلمين قبل أن يسري الفساد ، ففعل ذلك ، ولما تملكها ورفع المظالم وأظهر فيها من الدين المعالم وبدد المفسدين واستبدل بهم الصالحين ورتب الجهاد وقطع مواد الفساد ، ثم أضاف إلى ذكر ذلك ما شاهده من تلك السجية الكريمة في إكرام أهل العلم وتوقيره لهم ، وتزينه بإسمهم واتباعه لما يفتون إليه من أحكام الله تعالى واوامره ونواهيه وحمله عماله على السمع والطاعة ، وتزيين منابر المملكة الجديدة والقديمة بالخطبة لأمير المؤمنين أعز الله أنصاره ، وإلزامه للمسلمين البيعة ، وكانوا من قبل منكبين عن البيعة ، والنداء بشعار الخليفة إلى غير ذلك مما شرحه من عجائب سيرته ومحاسن أحواله ومكارم أخلاقه ، وكان منصبه في غزارة العلم ورصانة العقل ومتانة الدين تقتضي التصديق له في روايته ، والقبول لكل ما يورده من صدق كلمته ، وما افاضه من هذه الفضائل إلى حضرة الخلافة أعز الله أنصارها ،

فوقع ذلك موقع الاحماد ، ثم ذكر مع ذلك توقف طائفة من الثوار الباقين في شرق الأندلس عن مشايعة الأمير ناصر الدين ومتابعته ، وانهم حالفوا النصارى واستنجدوا بهم فأعلن المسلمون بالدعاء عليهم والتبرؤ منهم ليتوب عليهم او ليقطع شافتهم .

وكتب هذا الشيخ سؤالا على سبيل الاستفتاء ، وافتيت فيه بما اقتضاه الحق واوجبه الدين واعجلني المسير الى سفر الحجاز وتركته مشمرا عن ساق الجد في طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة يتضمن شكر صنيع الامير ناصر الدين في حمايته لثغور المسلمين ويشتمل على تسليم جميع بلاد المغرب اليه ليكون رئيسهم ورؤوسهم تحت طاعته ، وان من خالف امره فقد خالف امر امير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين ، ويتعين جهاده على كافة المسلمين ولم يبالغ احد في بث مناقب قوم مبالغة الشيخ الفقيه ابي محمد في بث مناقب الامير واشياعه المرابطين ، ولقد شاع دعاؤه في المشاهد الكريمة بمكة حرسها الله لحضرة الامير وجماعة المرابطين ، ولم يقنعه ما فعله بنفسه الى ان كلف جميع من رجا بركة دعائهم الدعاء في تلك المشاهد الكريمة ، والمناسك العظيمة واعلن بالدعاء لأمير بلده الأمير الاجل ابي محمد سير بن ابي بكر وفقه الله تعالى وذكر من فضله وحسن سيرته وتلطفه بالمسلمين ورفع جميع النوائب عنهم ما جهر به الى النفوس.ولقد دعي الشيخ الفقيه الى المقام ببغداد على البر والكرامة والاتصال باسباب تشرف بها من حضرة الخلافة فأبى الا الرجوع الى ذلك الثغر يلازمه للجهاد مع الامراء وفقهم الله تعالى.

ولو اقام لفاز بالحظ الاوفى من التوقير والاكرام ، وما اجدر مثله بأن يوفي حظه من الاحترام وولده الشيخ الامام ابو بكر قد احرز من العلم في وقت تردده علي مالم يحرز ممع طول الامد ، وذلك لما خص به من نقاية الذهن ، وذكاء الحس واتقاد القريحة ، وما يخرج من العراق الا وهو مستقل بنفسه حائز منصب السبق بين اقرانه.ومثل هذا الوالد والولد قمن بالاكرام في الوطن ، وقد تميز بمزاية التوفيق من الاعيان في الغربة ، والله يحفظ من حفظهما ويرعى من رعاهما ، فرعاية امثالهما من اداب الدين المعينة على امير المسلمين

وقد قال المحسنون : فليستوص من ظفر بهم منهم خيرا ، وكم دخل قبلهما العراق ويدخل بعدهما من تلك البلاد النائية وما يذكر محاسنهما ولا يدفع مساويهما . وقد انتهى الشيخ الفقيه من ذلك الى مالا يمكن ان يلحق ثناؤه فضلا عن ان يزاد عليه والله تعالى يعمر بهما اوطانهما ويصلح شأنهما ويوفق الامير ناصر المسلمين ليتوسل الى الله تعالى في القيامة باكرام اهل العلم فهي اعظم وسيلة عند رب العالمين.ونسأل الله ان يخلد ملك الامير ويؤيده تخليدا لاينقطع أبد الدهر،ولعل القلوب تنفر عن هذا الدعاء وتستمطر لملك العباد التأييد والبقاء، وليس كذلك فان ملك الدنيا اذا تزين بالعدل فهو شبكة الاخرة ، فالسلطان العادل اذا انتقل من الدنيا انتقل من سرير الى سرير اعظم منه ومن ملك الى ملك اجل وارفع منه(واذا رأيت ملكا ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) (٩٠) مهما وفي العدل في الرعية والنصفة في القضية فقد خلد ملكه وايد سلطانه ، وقد وفق له بحمد الله ومنه. والحمد لله رب العالمين وصلوات على سيدنا محمد خاتم النبيين واله اجمعين.

رسالة من الامام الطرطوشي صاحب كتاب سراج الملوك الى يوسف بن تاشفين (٩١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن الوليد الطرطوشي الى الأمير أبي يعقوب بن تاشفين سلام عليك

اما بعد ، فاني احمد الله اليك الذي لااله إلا هو ، وأشكره لديك كثيرا كما هو اهله ، وأخصك من مواعظه وحكمه ما إن أخذت به نجوت من عظيم ما ركبت إن شاء الله تعالى ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال الله سبحانه: «ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق» ، (٩٢) ، الى قوله« يوم الحساب » ، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: أتعلمون من الخليفة؟ الخليفة هو الذي يقضي بكتاب الله ، ويشفق على الرعية شفقة الرجل على اهله.

وقال سبحانه وتعالى :"الذين إن مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر"(٩٣)الخ ، فمن مكنه الله في الأرض، واتاه الله سلطانا ولم يفعل ما امر الله تعالى به في هذه الآية ، خفنا أن لايكون من اهلها ، لأن الله تعالى وصف هذه الأمة ، اذا فتح الله تعالى عليهم الأرض واهلك عدوهم ، باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وامر بالمعروف ونهي عن المنكر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من احد يلي عملا-او قال سلطانا-إلا اهتز به الصراط حين يركبه حتى يزول كل عظم عن

حقه ،فإن كان محسنا نجا ، وإن كان مسيئا هوى سبعين خريفا ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال . ومن يرغب في العمل بعد هذا ؟ قال له أبو ذر رضي الله عنه : من سلب الله أنفه وأصعر خده .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله تعالى عليه الجنة . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس عمه لما قال له أمرني على امارة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ياعم رسول الله ، نفس تحييها خير من امارة لاتحصيها ، إن الامارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لاتكون أميرا فافعل .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، ولقد بلغ هذا من نفوس الصحابة والخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين مبلغا ذهلت له عقولهم وطاشت حلومهم ، فروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بطريق مكة فأبصر راعيا يرعى بمكان جدب فناداه : أيا راع ، قد رأيت مكانا هو أخصب من مكانك فالحق به ، ثم قال : كل راع مسؤول عن رعيته .

وقال علي رأيت عمر بن الخطاب يغدو على قتب فقلت : الى أين ؟ فقال : بعير من ابل الصدقة قد ند وأنا أطلبه ، فقلت : أذللت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين ، فقال : لاتلمني يا أبا الحسن ، فوالذي بعث محمدا بالنبوة لو أن سخلة ذهبت بشاطىء الفرات لأجد بها حسرة يوم القيامة ، الا إنه لاحرمة لوال ضيع المسلمين .

يا أبا يعقوب ، لقد بليت بأمر لو حملته السموات لانفطرت ، ولو حملته النجوم لانكدرت ، ولو حملته الأرض والجبال لتزلزلت

وتدكدكت ، إنك حملت الأمانة التي عرضت (على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها)(٩٤) .

فروي أن آدم صلوات الله عليه ، لما استخلفه الله تعالى في الأرض على ذريته وما فيها من الأنعام ، وعهد اليه عهودا أمره فيها ونهاه ، فقام فيها بأمر الله سبحانه الى أن حضرته الوفاة ، فسأل الله سبحانه أن يعلمه من يستخلفه ويقلده من الأمانة ما قلده ، فأمر أن يعرض ذلك على السموات بالشرط الذي أخذ عليه من الثواب إن أطاع ، ومن العقاب إن عصا ، فأبين أن يقبلنه شفقا من عقابه ، ثم أمره أن يعرضه على الجبال والأرض فأبينه ايضا ، ثم أمره أن يعرضه على ولده فقبله ولده على شرط أن له الثواب إن أطاع ، والعقاب إن عصا ، فوبخه الله تعالى على مسارعته الى قبول ذلك ، فقال:« وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا» (٩٥) بعقابه وماتقلد لربه وكان الغرض تخييرا لا ايجابا.

وروي أن عمر بن عبد العزيز لما افضت اليه الخلافة ، سمعوا في منزله بكاء عاليا ، فسئل عن البكاء فقيل : إن عمر خير جواريه ، وقال : قد نزل بي أمر شغلني عنكن ، فمن أحبت أن أعتقها عتقتها ومن احبت أن أمسكها لم يكن لهانصيب مني ، قال : فبكين يأسا منه ، ثم دعا افاضل المسلمين في زمانه ،وعلماءهم في وقته : سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : اني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا علي ، فعد الخلافة بلاء ، وانت ونظراؤك تعدون هذا البلاء نعمة ، فقال له سالم بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، إن أردت النجاة من عذابها فصم عن الدنيا ، وليكن افطارك فيها الموت ، وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك ابا واوسطهم عندك اخا واصغرهم ولدك ، فوقر اباك وارحم اخاك وتحنن على ولدك ، وقال له رجاء بن حيوة :إن أردت النجاة من عذاب الله احب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت متى شئت .

واني لأخاف عليك اشد الخوف ، فاتق الله يا ابا يعقوب في امة

محمد الله ، فإن لك مع الله تعالى موقفا يسائلك فيه عنهم شخصا شخصا ،ذكرا وانثى ، صغيرا وكبيرا ، حرا وعبدا ، مسلما وذميا ، فأعد لذلك المقام كلاما ، ولذلك السؤال جوابا ، فالذي نفسي بيده إن ذلك (لحق مثل ماأنكم تنطقون) (٩٦) .

روى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا ويخلو بربه ليس بينه وبينه ترجمان ، ولاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمسة : عن عمره فيما افناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل بما علم .

واعلم يا أبا يعقوب انه لايزني فرج في ولايتك ومدى سلطانك وطول عمرك إلا كنت المسؤول عنه والمرتهن بجريرته ، وكذلك لايشرب فيها نقطة مسكر إلا وأنت المسؤول عنها ، ولاينتهك فيها عرض امرىء مسلم إلا وأنت المطالب به ، ولايتعامل فيها بالربى إلا وأنت المأخوذ به ، وكذلك سائر المظالم ، وكل حرمة انتهكت من حرمات الله تعالى فعدتها عليك ، لأنك قادر على تغييرها ، فأما ما خفي من ذلك ولم يكن ظاهرا يراه المسلمون فأنت المبرأ منه إن شاء الله تعالى ، الا ترى الى عمر بن الخطاب كيف أشفق أن يطالبه الله ببعير من إبل الصدقة ، وانما هو البعير للمسلمين ، فركب على بعيره وجعل يطلبه بنفسه ، ولاعذر لك عند الله تعالى أن تقول : لم يبلغني فإنك اذا احتجبت عن المسلمين فكيف تعلمه وتراه ، قال الله تعالى :"كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" (٩٧) من تركهم الانكار ، وانما قاله لقوم سخط عليهم ، هذا بين الأكفاء والنظراء ، فما ظنك بين الولاة والأمراء . قال الله سبحانه :" يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولايظلم ربك أحداً"(٩٨)جاء في التفسير:الصغيرة التبسم.والكبيرة الضحك.

ولقد بلغني أن عبد الله العمري لما حج لقي هارون الرشيد في الطواف فقال : يا هارون فنظر اليه الرشيد فعرفه فقال : لبيك يا

عما ه ، فقال : كم ترى ها هنا من خلق ؟ قال : لايحصيهم إلا الله تعالى ، قال : فاعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ، فبكى هارون الرشيد بكاءا شديدا فجعلوا يعطونه منديلا يمسح به دموعه ، قال له: والله يا هارون أن الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرع في مال المسلمين؟

ولما دخل طاووس اليماني على سليمان بن عبد الملك قال . يا أمير المؤمنين هل تدري من أشد الناس عذابا يوم القيامة ؟ قال سليمان : قل فقال : أشد الناس عذابا يوم القيامة ، من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه ، فاستلقى سليمان بن عبد الملك على سريره باكيا حتى قام عنه جلساؤه.

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : إن الملك اذا ملك زهده الله في ماله ، ورغبة في مال غيره ، وأشرب قلبه الاشفاق من الفقر ، فهو يسخط على القليل ، ويحسده على الكثير ، حتى اذا قضى الله نحبه حاسبه بأشد حسابه وأقل عفوه.

فاحذر يا ابا يعقوب أن ترد على جنة عرضها السموات والأرض فلا يكون لك فيها موقف قدم ، عاذنا الله واياك من هذا الموقف ، ولقد بلغني يا أبا يعقوب انك احتجبت عن المسلمين بالحجارة والطين ، واتخذت دونهم حجابا ، وان طالب الحاجة ليظل يومه ببابك فما يلقاك ، كأنك لم تسمع قول الله عز وجل :« ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق»(٩٩) قال الحسن: لا والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تغلق دونه الحجب ، ولايغدى عليه بالجفان ولايراح عليه بها ، ولكنه كان بارزا ، من أراد أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه ، وكان يجلس بالأرض ويوضع طعامه في الأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردف عليه عبده ، ويلعق أصابعه ، وكان يقول : من رغب عن سنتي فليس مني ، قال الحسن: فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ درته ويمشي في

الأسواق ، ويتفقد أمور رعيته ، وكان يعس ليلا في سكك المدينة مع عبد الرحمن بن عوف وغيره من الصحابة رضي الله عنهم يحفظون عورات المسلمين ،فروي عنه أنه استعمل سعد بن أبي وقاص على الكوفة ، فبلغه أن سعدا اتخذ قصرا وجعل عليه بابا ، وقال انقطع التصويت ، فأرسل اليه محمد بن مسلمة وقال : اذا رأيت سعدا فأحرق عليه بابه ، فأتى الكوفة وأخرج زنده واستورى ناره ثم أحرق الباب ، فجعل سعد يعتذر ويحلف بالله ما قال ، فقال له محمد بن مسلمة : تفعل ما أمرتك به وتورى عنك القول .

يا أبا يعقوب ! ولقد بلغني أنك استأثرت على المسلمين بالحظ الوافر من حطام الدنيا وزخرفها ، فلست الناعم ، وأكلت اللين ، وتمتعت بلذاتها وشهواتها كأنك لم تسمع قول الله عز وجل."أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها"(١٠٠)أو لم تسمعه سبحانه يقول لنبي الله صلى الله عليه وسلم :"ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه"(١٠١) .

ولقد روت عائشة رضي الله عنها قالت : لقد كان يمر علينا الشهران والثلاثة ، ما توقد في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قيل فما كان عيشكم ؟ قالت : الأسو دان ، التمر والماء.

ولقد روي أن فاطمة رضي الله عنها قالت : خبزنا من شعير فجئت منه بكسرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا يافاطمة ؟ فقلت : رغيف خبزته يا رسول الله ، ولم تطب نفسي أن آكله حتى أجيك بهذه الكسرة ، فقال : أما انه أول طعام دخل جوف ابيك منذ ثلاثة أيام ، هذا لو شركوك في خفض العيش لنهيت عنه ، لأن الله تعالى أخذ على الأئمة مثل ما روي عن يوسف صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل الشعير ، ويطعم الخشكار ، ويطعم المسلمين الحواري ؟ وكان يجوع نفسه ، فقيل له : أتجوع وبيدك خزائن الأرض ؟ : فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما افضت اليه الخلافة قال: إني انزلت نفسي في مال الله سبحانه بمنزلة ولي اليتيم ، إن

استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، وروي عنه أنه قال : أخبركم بما يحل لي من مال الله سبحانه ، استحل منه حلتي ؛ حلة الشتاء ، وحلة القيظ ، وما أحج عليه وأعتمر ، وقوتي وقوت عيالي ، كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم ، فكيف والفقراء ببابك يتضاغون وذوو الحاجات يترددون ، وأهل الديون والغرم في السجون محبوسون مأسورون ، وأموال المسلمين تحت يديك ، وفي قبضتك ، أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فعلينا ، أما سمعت قول الله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) (١٠٢) الآية إلى قوله الغارمين

يا أبا يعقوب ! إنه قد كبرت السن وانحلت القوى (واشتعل الراس شيبا)(١٠٣) وارتحلت الدنيا مدبرة ، وجاءت الآخرة مقبلة ، وحان الفراق ، والتفت الساق بالساق»(١٠٤) ، « وجاءت سكرة الموت بالحق»(١٠٥) . فالبدار البدار الى حياة لاموت فيها وشباب لاهرم معه ، وصحة لاسقم فيها. قال الله تعالى:"ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)(١٠٦)الى قوله: « ومن فضله».

يروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أصيب إخوانكم يوم أحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد انهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت ، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم ، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة ، قالوا : ياليت قومنا يعلمون بما نحن فيه من النعيم ، وما صنع الله بنا ، كي يرغبوا في الجهاد ولاينكلوا عنه . فقال الله تعالى : أنا مخبر عنكم ، ومبلغ اخوانكم ، ففرحوا بذلك واستبشروا ، فأنزل الله تعالى ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء) - الآية. وقال جل من قائل :(إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (١٠٧) الى قوله:« الفوز العظيم» ، فما ظنك بتجارة الله مشتريها يوشك والله أن لاتبور.

وقال جل من قائل :(يا أيها الذين آمنوا هـل أدلكم على تجـارة تنجيكم من عذاب أليم) فلو قطع هنا لانقطعت الأعيان في البحـث عن هذه ، لأن الله بفضله وكرمه بين مراده من ذلك ، فقال :"تؤمنون بالله ورسوله" الى قوله"إن كنتم تعلمون" (١٠٨) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« مثل المجـاهد في سـبيل الله كمثل الصائم القائم لا يفتر من صلاة ولاصيام حتى يرجع ».

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تـكفل الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرجه مـن بيتـه إلا الجهـاد في سـبيل الله وتصديق كلمته أن يدخله الله الجنة أو يرده الى مسكنه الذي خـرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة » وقال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم :« لولا أن أشـق على امتـي لأحببـت أن لاتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله ،ولكني لااجد ما احملهم عليه ، ويشق عليهـم أن يتخلفوا بعدي ، والذي نفسي بيده لوددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم احيا فأقتل ، ثم احيا فـأقتل ، والذي نفسي بيده لايكلم احـد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم في سـبيله ، إلا جـاء يوم القيامـة وجرحه يثغب دما : اللون لون الدم والريح ريح المسك ».

وقال انس بن مالك : استشهد عمي يوم احـد وكان قـد غاب عن بدر فقال يا رسول الله : إن أشهدني الله قتـال المشركين ليرين مـا اصنع ،فلما كان يوم احد قال : إني لأجد ريح الجنة من دون احـد ، قال : فما استطعت يا رسول الله ما اصنع،فوجدنا بضـعا وثمـانين ضربة بالسيف او طعنة بالرمح أو رمية بالنبل ، ومثل به المشركون ، فنزل فيه وفي امثاله : (من المؤمنين رجال صدقوا مـا عاهـدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا) (١٠٩).

واعلم يا أبا يعقوب أن الله تعـالى فـرض الجهـاد على كافـة المسلمين ولايرده جور جائر ، ولافسق فاسق الى أن تقوم الساعة ، قال الله تعالى :"قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر" (١١٠)الى قوله"صاغرون" ، فلم يرخص لهذه الأمة في تـرك جهـاد عدوهـم إلا

باعطاء الجزية أو كلمة الاسلام ، وهذه الآية نسخت كل آية في كتاب الله تعالى تتضمن أعراض عن المشركين ، وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم العذاب ».

فجهاد الكفار فرض عليك فيما يليك من ثغور بلاد الأندلس ، لأنك أقرب الملوك اليها ، وعندك الكراع والسلاح ولأمة الحرب والتهيا وجيوش المسلمين وحماة البيضة طائعون لك ، وكذلك كل من بنواحيك وجنبات أعمالك من المجاهدين والمقاتلين وأولي البطش والقوة ، وانت في حرج من تضييع من في ثغور أرض الأندلس من جماعة المسلمين والحرم والذراري أفلا تأسيت بمن سافر اليها وأمضى المضي من أرض الحجاز من حماة المسلمين ومجاهديهم حتى استفتحوها وبثوا فيها كلمة الاسلام وشهادة التوحيد ، فكيف بمن يناسخها ويجاورها .

يا أبا يعقوب ! إذا أردت الظفر بالعدو ، فعليك بالعدل في الرعية ، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إن وفدا من الوفود قدم عليه بالفتوح فقال له عمر : متى لقيتم عدوكم ؟ فقال : من أول النهار. قال: فمتى انهزموا ؟ فقال : من آخر النهار ، فقال عمر : إنا لله وإنا اليه راجعون ، وقام الشرك للايمان من أول النهار حتى اعتدل النهار ؟ والله إن كان هذا إلا عن ذنب أحد ثتموه بعدي أو أحدثته بعدكم ، ولقد استعملت يعلى بن امية على اليمن استنصر لكم بصلاحه.

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى جنده بالشام « وإنما يؤتي العشرة الاف وأكثر ، اذا أتوا ، من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ».

ومما اتحفك به ، وهو خير لك من طلاع الأرض ذهبا ، لو انفقته في سبيل الله ، حديث رواه الأئمة الثقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى مسلم في كتابه الصحيح (نقل العدل عن العدل)

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :« لاتزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله » ، والله أعلم هل أرادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم معشر المرابطين أو أراد بذلك جملة أهل المغرب ، وما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والأحداث في الدين والاقتفاء لآثار السلف الصالح رضي الله عنهم ، وإنا لنرجو أن تكون أولى سابقيه ينهون عن الفساد في الأرض .

ولقد كنا في الأرض المقدسة جبر الله مصابها تترى علينا أخبارك وما قمت به من أداء فريضة الله تعالى في جهاد عدوه ، واعزاز دينه وكلمته ، وكان من هناك من العلماء والفقهاء وحماة الدين والعباد والزهاد والمنقطعين الى الله تعالى يدعون الله سبحانه في نصرك وتأييدك والفتح على يدك ، فلئن كنت تستنصر بجنود أهل الأرض ، فقد كنا نستنصر بجنود أهل السماء ، حتى قدم علينا الأرض المقدسة ، الفقيه أبو محمد عبد الله بن العربي وابنه الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله فذكرا من سيرتك في جهاد العدو أهلكه الله تعالى في تلك الأندية والمحافل والخلق والمجالس ، وصبرك على مكافحة العدو ومصابرته ، واعزازك للدين وأهله ، والعلم وحملته ، مازاد المسلمين بصيرة الدعاء لك ، وحسن الاعتقاد فيك ، حتى تمنينا أن نجاهد الكفار معك ، ونكثر سواد المسلمين بحلتك ، نسأل الله تعالى الذي يهب الجزيل من فضله أن يهبنا واياك الشهادة في سبيله ، ثم اليه سبحانه نضرع أن يريك الحق حقا فتتبعه ، والباطل باطلا فتجتنبه ، فصلاح الرعية بصلاح الراعي .

والفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ممن صحبنا أعواما يدارس العلم ويمارسه ، بلوناه وخبرناه ، وهو ممن جمع العلم ووعاه ، ثم تحقق به ورعاه ، وناظر فيه وجد حتى فاق أقرانه ونظراءه ، ثم رحل الى العراق فناظر العلماء وصحب الفقهاء ، وجمع من مذاهب العلم عيونها ، وكتب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى صحيحه وثابته ، والله تعالى يؤتي الحكمة من

يشاء ، وهو وارد عليك بما يسرك ، فاشدد عليه يديك ، واحفظ فيه وفي أمثاله وصية الله سبحانه لنبيه عليه السلام ، قال الله سبحانه وهو أجل القائلين :"واذا جاءك الذين يؤمنون بأياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة"(١١١) .

والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين ، وسلم وشرف وكرم ، وأفضل وأنعم .

obeikandl.com

الحواشي والهوامش

الفصل الأول

من أجل دور السريان قبل الاسلام في بلدان الشرق الاقصى وغيرها ، انظر كتاب ، ثقافة السريان في القرون الوسطى ، تأليف نينا بيغولوفسكايا ، ترجمة عربية ـ ط . دمشق ١٩٩٠ ص ٣٨ ـ ٤٦

٢ ـ انظر كتابي التاريخ عند العرب ـ ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١٥٩ ـ ١٨٨ حيث عدة نصوص مدروسة حول نشوء البحرية العربية وفتح جزيرة قبرص أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان

٣ ـ ابن عبد الحكم ١٧١ ـ ١٧٣ تاريخ خليفة ١ / ١٤٩ ـ ١٥٠ رياض النفوس ١ / ٧ ـ ٩ جوليان ١ / ٢٧٩ ـ ٢٩٥ ـ ٣٢١ ـ ٣٤٠ البيان المغرب ١٠ / ٢٠١ . تاريخ المغرب العربي ٣ ـ ٩٤ المغرب عبر التاريخ ١٤ ـ ٨٧ قادة فتح المغرب العربي ١ / ١١ ـ ٤٨

٤ ـ تاريخ خليفة ١ / ١٦٤ ـ ١٦٥ .

ابن عبد الحكم ١٨٣ ـ ١٨٧ . الكندي ١١ ـ ١٤ .

رياض النفوس ١ / ١٤ ـ ٢٧ البيان المغرب ١٠ / ٣ ـ ١٠ تاريخ المغرب العربي ٩٨ ـ ١٢١ .

المغرب عبر التاريخ ٩٢ ـ ٩٣ . قادة الفتح . ١ / ٥٤ ـ ٧٤

٥ ـ تاريخ خليفة ١٠ / ٢٣٤ ـ ٢٣٨ . ابن عبد الحكم ١٨٠ ـ ١٨٣ . البلاذري ٢٢٧ ـ ٢٣١ .

الكندي ١٤ ـ ٣٤ . رياض النفوس : ١ / ٢٨ ـ ٣٢ . البيان المغرب ١٠ / ١٠ ـ ١٣ تاريخ المغرب العربي ١٢ ـ ١٢٤ . المغرب عبر التاريخ ٩٢ ـ ٩٣

٦ ـ تاريخ خليفة ١٠ / ٢٤١ ـ ٢٤٤ . الطبري . ٥ / ٢٢٩ . البلاذري ٢٢٩ . ابن عبد الحكم . ١٩٢ ـ ١٩٤ . أبو العرب ٧١ ـ ٧٢ . رياض النفوس ١ / ٣٠ . الاستقصاء ١ / ٧٥ ـ ٧٨ البيان المغرب ١٠ / ١٠ ـ ١٥ . رحلة التجاني ٦٥ ـ ٦٨ تاريخ المغرب العربي ١٢١ ـ ١٣٢ . المغرب عبر التاريخ ٩٣ ـ ١٩٤ . قادة الفتح ١ / ٧٥ ـ ٨٩ .

٧ ـ تاريخ خليفة . ١ / ٢٤٧ ـ ٢٦٦ . الطبري ٥ / ٢٤٠ . ابن عبد الحكم . ١٩٤ ـ ١٩٦ . أبو العرب ٥٦ ـ ٥٩ . البلاذري . ٢٣٠ . الرقيق : ٧ . رياض النفوس ١ / ٣١ ـ ٣٣ . الاستقصاء : ١ / ٧٨ ـ ٨١ . البيان المغرب . ١ / ١٣ ـ ١٦ . تاريخ المغرب العربي : ١٤٢ ـ ١٥٠ . المغرب عبر التاريخ . ٩٤ . قادة الفتح : ١ / ٩٠ ـ ١٠٦ .

٨ ـ تاريخ خليفة ١٠ / ٢٦٩ ـ ٢٧٢ . الطبري ٥ / ٢٤٠ . البلاذري : ٢٣٠ . ابن عبد الحكم . ١٩٧ ـ ١٩٨ . ابو العرب : : ٥٧ . الكندي : ٣٨ ـ ٤٠ . رياض النفوس . ٣٣ . البيان المغرب : ١٠ / ١٧ . الاستقصا . ١ / ٨٠ ـ ٨١ تاريخ المغرب العربي ١٤٩ ـ ١٥٢ . المغرب عبر التاريخ ٩٤

٩ ـ أبو العرب . ٥٦ ـ ٦٤ . الرقيق . ٧ ـ ١٧ البلاذري : ٢٣٠ ابن عبد الحكم ١٩٤ ـ ١٩٩ . رياض النفوس ١ / ٣٣ ـ ٤٤ . البيان المغرب ١ / ١٧ / ١٩ . الاستقصا ١ / ٨١ ـ ٨٤ . تاريخ المغرب العربي . ١٥٣ ـ ١٦٩ . المغرب عبر التاريخ ٩٥ ـ ٩٦ . قادة الفتح . ١ / ٩٧ ـ ١٣٦ .

١٠ ـ ابن عبد الحكم ٢٠٠ . البلاذري : ٢٣٠ ـ ٢٣١ . الرقيق ١٧ ـ ٢٢ رياض النفوس : ١ / ٤٦ ـ ٤٨ . البيان المغرب : ١ / ٢٠ ـ ٢٤. تاريخ المغرب العربي ١٧٢ ـ ١٧٩ . المغرب عبر التاريخ : ٩٦ قادة الفتح ١٥٠ ـ ١٧٠ .

١١ ـ تاريخ خليفة : ١ / ٣٤٠ ـ ٣٤٥ ، ٣٩٢ . أبو العرب : ٨١ ـ ٨٢ البلاذري ٢٣١ ابن عبد الحكم : ٢٠٣ . الرقيق . ٢٣ ـ ٣٧ . رياض النفوس . ١ / ٤٨ ـ ٥٧ . البيان المغرب : ١ / ٢٢ ـ ٣١ . الاستقصا . ١ / ٩٢ ـ ٩٥ . تاريخ المغرب العربي : ٢٠٦ ـ ٢١٧ المغرب عبر التاريخ . ٩٧ ـ ٩٩ . قادة الفتح : ١ / ٢٢١ ـ ٢٤٠ .

١٢ ـ تاريخ خليفة . ١ / ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ . البلاذري : ٢٢٩ ـ ٢٣٢ ابن عبد الحكم : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ . الرقيق . ٣٨ ـ ٣٠ . البيان المغرب ١ / ٣٢ ـ ٤٣ الاستقصا ١ / ٩٥ ـ ٩٧ . تاريخ المغرب العربي : ٢٠٦ ـ ٢١٧ . المغرب عبر التاريخ : ٩٧ ـ ٩٩ قادة الفتح . ١ / ٢٢١ ـ ٢٤٠ .

١٣ ـ ط . دار رياض الريس ـ لندن ١٩٩١ .

١٤ ـ ابن عبد الحكم . ٢٠٤ ـ ٢١١ . تاريخ خليفة : ١ / ٤٠٤ ـ ٤٠٩ . الطبري ٦ / ٤٦٨ ـ ٤٨١ . الأغاني : ١٧ / ٣٠٤ . ابن القوطية . ٢٨ ـ ٣٧ . أخبار مجموعة . ٢ ـ ١٩ . الرقيق . ٤١ ـ ٥٧ . البلاذري : ٢٣٢ . سراج الملوك : ٥٠٦ ـ ٥٠٧ . ابن عساكر ١٧ / ٢٠٥ و ـ ٢٠٨ و . المعجب : ٩ ـ ١٢ . جذوة المقتبس . ٤ ـ ٦ . ابن الكردبوس ٤٢ ـ ٥٢ . ابن الشباط . ١٣١ ـ ١٣٥ . ذكر بلاد الاندلس ٤٤ ـ و . ظ البيان المغرب : ١ / ٣٦ ـ ٤٣ ، ٢ / ٥ ـ ٢٩ . ابن خلدون . ٦ / ٢٢٠ . دفع الطيب . ١ / ٢١٤ ـ ٢٥٩ الاستقصاء ١ / ٩٦ ـ ٠٠ب . ريذو . ٣٩ ـ ٤٤ . أرسلان : ٢٨ ـ ٤٧ . جوليان : ١ / ٣٢١ ـ ٣٢٣ . دوزي : ١٣١ ـ ١٣٤ . تاريخ المغرب العربي : ٢١٤ ـ ٢٢٧

١٥ ـ ابن عبد الحكم : ٢١١ ـ ٢١٥ . تاريخ خليفة : ١ / ٤٣٠ . العذري : ٤ ـ ٧ ابن القوطية : ٣٧ ـ ٣٨ . أخبار مجموعة . ١٩ ـ ٢٢ . الرقيق : ٥٨ ـ ٦١ . البيان المغرب : ٢ / ٣٠ ـ ٣٢ . المعجب : ١٢ ـ ١٣ جذوة المقتبس ٦ . ذكر بلاد الأندلس ٤٤ ـ ظ الاستقصا ١ / ١٠٠ . أرسلان : ٤٧ . ريذو : ٤٤ . المسلمون في أوروبا : ٩٤ ـ ١٠١ . تاريخ المغرب العربي : ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

١٦ ـ ابن عبد الحكم : ١٢٦ ـ ٢١٧ . ابن القوطية : ٣٩ . أخبار مجموعة ٢٢ ـ ٢٥ . البيان المغرب : ٢ / ٣٣ ـ ٣٥ . المقري . ١ / ٢٢٠ . الاستقصا : ١ / ١٠٥ ريذو ٥٠ ـ ٧٢ . أرسلان : ٧١ ـ ١٠٤ . طرخان : ١٠٢ ـ ١١٦ الحجي : ١٨٥ ـ ٢٠٣ .

١٧ ـ أخبار مجموعة . ٣٠ ـ ٦٧ . ابن القوطية : ٣٨ ـ ٤٦ . ابن عبد الحكم . ٢١٦ ـ ٢٢٥ . الرقيق ـ ط . أولى ـ ١٠٤ ـ ١٢٢ . البلاذري . ٢٣٣ . البيان المغرب . ١ / ٤٨ ـ ٦٤ ، ٢ / ٣٩ ـ ٥٥ . دفع الطيب ١ / ٢٢٠ ـ ٢٢٣ . الاستقصا . ١ / ١١٨ . ريذو . ٧٢ ـ ٨٥ . دوزي : ١٣٨ ـ ١٧٦ . أرسلان : ٧١ ـ ١١٣ . الحجي . ٢٠٣ ـ ٢٠٦

١٨ ـ ابن القوطية . ٤٥ ـ ٦٥ العذري . ١ ، ٢٥ ـ ٢٦ ، ١٠١ ، ١١٧ ـ ١٢٠ . أخبار مجموعة : ٤٦ ـ ١٢١ . ابن الأبار : ١ / ٣٥ ـ ٤٢ . الرقيق : ١٢٣ ـ ١٤٨ . البيان المغرب : ١ / ٦٥ ـ ٧٨ ، ٢ / ٥٦ ـ ٩٠ . جذوة المقتبس . ٩ ـ ١٠ . ذكر بلاد الأندلس : ٤٥ . و ـ ٤٩ . و . ابن الكردبوس : ٥٥ ـ ٥٧ . الاستقصا : ١ / ١١٩ . المعجب :

١٦ ـ ١٨ . دفع الطيب . ١ / ٣٠٦ ـ ٣١٣ . دوزي ١٦٨ ـ ٢٣٦ ارسلان . ١٢٠ ـ ١٢٣ . رينو . ٨٦ ـ ١٠٧ . طرخان : ١٢٠ ـ ١٣٨ .

١٩ ـ ابن القوطية . ٦٤ ـ ٦٧ . اخبار مجموعة ١٢٠ ـ ١٢٤ . العذري . ٢٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٥٣ ، ١٧١ . البيان المغرب ٢ / ٩١ ـ ١٠١ جذوة المقتبس ١١ . ابن الابار ١ / ٤٢ ـ ٤٣ . المعجب ١٩ . دفع الطيب . ١ / ٣١٣ ـ ٣١٧ . ارسلان . ١٢٦ ـ ١٢٩ . رينو . ١٠٨ ـ ١١٤ . طرخان ١٣٩ ـ ١٤١ .

٢٠ ـ ابن القوطية . ٦٧ ـ ٨٠ . اخبار مجموعة . ١٢٤ ـ ١٣٥ . العذري . ٢٧ ، ٩٣ ، ١٠٩ ـ ١١١ . جذوة المقتبس . ١١ ابن الأبار . ١ / ٤٣ ـ ٥٠ المعجب . ١٩ ـ ٢٢ دفع الطيب . ٣١٧ ـ ٣٢٢ . البيان المغرب . ٢ / ١٠٢ ـ ١٢٠ ارسلان ١٣٢ ـ ١٤٦ . ريدو ١١٥ ـ ١٣٢ .

٢١ ـ ابن القوطية : ٨٠ ـ ٩١ . اخبار مجموعة . ١٣٥ ـ ١٤١ المقتبس . ١٦٣ ـ ٢٢٩ . العذري : ٥ ـ ٦ ، ٢٩ ـ ٣٠ ، ٩٣ ، ٩٨ ـ ١٠٠ جذوة المقتبس . ١١ . البيان المغرب . ٢ / ١٢١ ـ ١٤٠ ابن الابار . ١ / ١١٣ ـ ١١٩ . دفع الطيب ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٨ ارسلان . ١٣٩ ـ ١٥٩ رينو . ١٣١ ـ ١٣٨ .

٢٢ ـ ابن القوطية . ٩٦ ـ ١٣٣ . اخبار مجموعة . ١٤١ ـ ١٥٣ . العذري . ٢٧ ـ ٣٩ ، ٤١ ـ ٤٩ ـ ٥٣ ـ ٦٥ . جذوة المقتبس ١١ ـ ١٢ . وصلنا جزء من المقتبس لابن حيان عن عهد الأمير عبد الله نشر في فرنسا ثم أعيد نشره في الدار البيضاء . ١٩٩ . البيان المغرب . ٢ / ١٤١ ـ ٢٣٤ . ابن الأبار : ١ / ١١٩ ـ ١٣٤ . دفع الطيب ١ / ٣٢٨ ـ ٣٢٩ . ارسلان . ١٥٦ ـ ١٦٧ .

٢٣ ـ رينو : ١٤٥ ـ ١٩٩ ارسلان . ١٦٠ ـ ٢٠٣ . طرخان ١٥٢ ـ ١٥٨ .

٢٤ ـ خير التفاصيل عن الشطر الأكبر من عهد عبد الرحمن الناصر في الجزء الخامس من المقتبس لابن حيان ـ ط . مدريد ١٩٧٩ . اخبار مجموعة . ١٥٣ ـ ١٦٥ . البيان المغرب ٢ / ٢٣٤ ـ ٣٤٧ . العذري ٩ ـ ١٥ ، ٣٩ ـ ٤٥ ، ٦٧ ـ ٨٦ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٢ ـ ١٢٤ ، ١٧٥ . البكري . ٧٢ . ابن الأبار . ١ / ١٩٧ ـ ٢٠٠ . جذوة المقتبس . ١٣ . دفع الطيب . ١ / ٣٣٠ ـ ٣٥٨ . ارسلان . ١٦٨ ـ ١٨٢ . مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ٣٢١ ـ ٣٤٤

٢٥ ـ العذري . ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ . ابن حيان ط . بيروت ١٩٦٥ ١٩ ـ ٢٤٣ جذوة المقتبس ١٣ ـ ١٧ . البيان المغرب . ٢ / ٣٤٨ ـ ٣٧٦ . الحلة السيراء ١ / ٢٠٠ ـ ٢٠٦ . دفع الطيب : ١ / ٣٥٨ ـ ٣٧٢ . ارسلان ١٨٢ ـ ١٨٥ .

٢٦ ـ لسان الدين ابن الخطيب ـ أعمال الاعلام . ١ / ١٤٤ .

٢٧ ـ المعجب . ١٠١ ـ ١٠٢ .

٢٨ ـ الذخيرة لابن بسام . ق ٤ م ١ ص ١٤٧ ـ ١٤٩ .

٢٩ ـ الحلة السيراء . ٢ / ٥٤ ـ ٧٠ . المعجب . ٧٠ ـ ١٤٦ . دوزي ـ دول الطوائف . ٦ ـ ٣٨ . الحجي . ٣٢٣ ـ ٣٩١ .

الفصل الثاني

١ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ـ نشر دار الحياة بيروت ج ٤ ص ٧٠٢ .
٢ ـ بيوتات فاس الكبرى ـ ط الرباط ١٩٧٢ ص ٤٤ ـ ٤٥ .
٣ ـ المدارك ج ٤ ص ٧٠٦ . مجلة البينة ـ العدد الثالث ـ الرباط تمور ١٩٦٢ ص ٦٧ « بحث عبد القادر رزمامة عن أبي عمران الفجومي »
٤ ـ مجلة البينة . البحث نفسه ص ٦٧ ومن أجل أوضاع فاس في أيام أبي عمران انظر الأنيس المطرب في روض القرطاس « المنسوب لابن أبي زرع . ط الرباط ١٩٧٣ ص ١٠٢ ـ ١١٨
٥ ـ اهتم بهذا الموضوع عدد كبير من المؤرخين العرب المتقدمين وكان مدار أبحاث عدد كبير من المستشرقين والعرب في عصرنا ، انظر من ذلك تاريخ ابن خلدون ـ ط . بيروت ١٩٥٨ ج ٤ ص ١٣٠ ـ ١٣٢ لسان الدين ابن الخطيب ـ أعمال الأعلام (نشر القسم الثالث منه باسم تاريخ المغرب في العصر الوسيط ـ الدار البيضاء ١٩٦٤) ص ٧٢ ـ ٧٦ عبد الواحد المراكشي ـ المغرب في تلخيص أخبار المغرب . ط . القاهرة ١٩٤٩ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ابن ميسر ـ أخبار مصر ـ ط . القاهرة ١٩٨١ ص ١٧ ابن عذاري ـ البيان المغرب ـ ط . بيروت ١٩٨٠ ج ١ ص ٢٧٣ ـ ٣٧٤ ـ ٣٨٠ . حسن حسني عبد الوهاب ـ خلاصته تاريخ تونس ـ ط . تونس ١٩٦٨ ص ١١١ ـ ١١٣ شارل أندي جوليان ـ تاريخ افريقيا الشمالية ـ ترجمة عربية ـ ط . تونس ١٩٧٨ ج ٢ ص ٩٠ ـ ٩٩ . عفيفي محمود ابراهيم ـ بنو زيري وعلاقتهم السياسية بالقوى الاسلامية في حوض البحر المتوسط ط القاهرة ١٩٨٩ ص ٨١ ـ ٨٥ .

٦ ـ روض القرطاس ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .
٧ ـ بيوتات فاس الكبرى ص ٤٥.
٨ ـ بيوتات فاس ص ٢٧ ـ ٢٨
٩ ـ مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ـ ط الدار البيضاء ١٩٧٨ ص ٢٣ .
١٠ ـ البكري ص ١٦٤ ـ ١٦٦ .
١١ ـ نهاية الأرب ج ٢٤ ، ط القاهرة ١٩٨٣ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٩
١٢ ـ الكامل لابن الأثير ـ ط . القاهرة (مطبعة الاستقامة) ج ٨ ص ٧٤ .
١٣ ـ الكامل ج ٨ ص ٧٥ .
١٤ ـ التشوف إلى رجال التصوف للتادلي ـ ط . الرباط ١٩٥٨ ص ٦٦ .
١٥ ـ بيوتات فاس ص ٢٨ .
١٦ ـ روض القرطاس ص ١٢٢ .
١٧ ـ روض القرطاس ص ١٢٤
١٨ ـ روض القرطاس ص ١٢٤ .
١٩ ـ روض القرطاس ص ١٢٢
٢٠ ـ روض القرطاس ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
٢١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٩٩ .
٢٢ ـ في كتاب رياض الدفوس للمالكي مادة ممتازة حول الحياة في الاربطة أحسن استغلالها وعرضها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب في كتابه أوراق .

٢٣ ـ ابن خلدون ح ٦ ص ٣٧٤
٢٤ ـ روض القرطاس ص ١٢٥ ـ ١٢٦
٢٥ ـ روض القرطاس ص ١٢٦
٢٦ ـ روض القرطاس ص ١٢٦ .
٢٧ ـ انظر محمد عبد الهادي شعيرة ـ المرابطون ـ ط القاهرة ١٩٦٩ ص ١٥ ـ ١٦ الحبيب الجنحاني ـ المغرب الاسلامي ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية ـ ط تونس ١٩٧٨ ص ١٤٣ ـ ٢١٧ .
٢٨ ـ الشريف الادريسي ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ ط . القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ح ١ ص ٢٢٣ . البكري ص ١٦٤ . الحلل الموشية ص ١٧ . ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ . الاستقصا للناصري ج ٢ ص ٣ . عبد الوهاب بن منصور ـ قبائل المغرب ، ط . الرباط ١٩٦٨ ص ٣٢٨ ـ ٣٣٥
٢٩ ـ نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .
٣٠ ـ البكري ص ١٦٤ ـ ١٦٦ .
٣١ ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ـ كتاب الجغرافية(نشر في دورية المعهد الفرنسي بدمشق العدد ٢١ سنة ١٩٦٨) ص ١٨٩
٣٢ ـ من المفيد العودة إلى دراسة ماك كول حول « الروايات التاريخية عن تاسيس سجلماسة وغانة » ترجمة عربية ، ط الدار البيضاء ١٣٩٥ هـ . المغرب العربي للحبيب الجنحاني ـ ص ١٤٣ ـ ١٩٠
٣٣ ـ المغرب العربي للجنحاني ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .
٣٤ ـ الادريسي ص ٢٢٦ . عصمت عبد اللطيف دندش ـ دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب أفريقيا ـ ط . بيروت ١٩٨٨ ص ٣٢ ـ ٣٦ .
٣٥ ـ روض القرطاس ص ١٢٦
٣٦ ـ روض القرطاس ص ١٢٦ أعمال الأعلام ص ٢٢٨ .
٣٧ ـ البكري ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .
٣٨ ـ روض القرطاس ص ١٢٧ .
٣٩ ـ البكري ص ١٩٦٨ الجنحاني ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ روض القرطاس ص ١٢٧ .
٤٠ ـ روض القرطاس ص ١٢٧ ـ ١٢٨ أعمال الاعلام ص ٢٢٩ . البكري ص ١٦٧ البيان المغرب ج ٤ ص ١٣ . ابن الأثير ج ٨ ص ٧٥ . نهاية الأرب ج ٢٤ ص ١٣ . ابن الاثير ج ٨ ص ٧٥ . نهاية الأرب ج ٤ ص ٢٦٠ الحلل الموشية ص ٢٢ . بيوتات فاس الكبرى ص ٢٩ . ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٥ .
٤١ ـ البكري ص ١٦٧ .
٤٢ ـ الذويري ح ٢٤ ص ٢٦١ . البكري ١٦٧
٤٣ ـ البكري ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .
٤٤ ـ صالح بن قربة ـ المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد ـ ط . الجزائر ١٩٨٦ ص ٥٣٥ ـ ٥٣٨ .
٤٥ ـ نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٦١ ٠ المسكوكات المغربية ص ٥٣٧ ٠
٤٦ ـ نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .
٤٧ ـ البكري ص ١٧٠ . روض القرطاس ص ١٣٤ . بيوتات فاس الكبرى ص ٢٩ . الذويري ج ٢٤ ص ٢٥٩ ـ ٢٦١ أعمال الأعلام ص ٢٣٢ . ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ البيان المغرب ج ٤ ص ١٦ ـ الحلل الموشية ص ٢٣ . الاستقصاء ج ٢ ص ١٤ ـ ٢١ . قبائل المغرب ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .
محمود اسماعيل ـ مغربيات ـ ط . فاس ١٩٧٧ ص ١٥ ـ ٥٤ . رجب محمد عبد

الحليم ـ دولة بني صالح في تـامدسنا ـ ط . القـاهرة ١٩٩١ ص ١٠٠ ـ ١٠١ . محمـد عبـد الهادي شعيرة ـ المرابـطون ـ ط . القـاهرة ١٩٦٩ ص ٦٤ ـ ٦٥ بندش ص ٨٨ ـ ١٠٣ . جوليان ج ٢ ص ١٠٦ ـ ١٠٨ .

٤٨ ـ روض القرطاس س ص ١٣٥ .

٤٩ ـ روض القرطاس ص ١٣٥ . ابن عذاري ح ٤ ص ٢٣ ـ ٢٤ . الحلل الموشية ص ٢٥ .

٥٠ ـ روض القرطاس ص ١٣٥ . ابـن خلدون ج ٦ ص ٣٧٧ . أعمـال الأعلام ص ٢٣٣ . الاستقصا ج ٢ ص ٢٢ . العباس بن ابراهيم ـ الاعلام بمن حـل مـراكش وأغمـات مـن الاعلام ـ ط . الرباط ١٩٧٤ ج ١ ص ٢٠٤ .

٥١ ـ المسكوكات المغربية ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ . قبر أبي بكر بن عمر في منطقـة تـكانت في ولاية تجكجا التي كانت تعرف باسم الولاية التاسعة في مورتيانيا .

٥٢ ـ الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٧٦ . نهاية الارب ج ٢٤ ص ٢٦١

obeikandl.com

الفصل الثالث

١ ـ نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٥ . روض القرطاس ص ١٣٦ . الحلل الموشية ص ٢٤ .
٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ ط . القاهرة . ١٣١ ه ج ٢ ص ٣٦٥ .
٣ ـ الزهري ـ الجغرافية ص ١٩١ ـ ١٩٢ .
٤ ـ الحلل الموشية ص ١٥ ـ ١٦ .
٥ ـ الحلل الموشية ص ١٦ ـ ٢٣ .
٦ ـ روض القرطاس ١٣٨ ـ ١٣٩ .
٧ ـ مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي ـ من منشورات جامعة القاضي عياض ـ ط . الدار البيضاء ص ١٥ ـ ١٩ (بحث الدكتور أحمد التوفيق) وص ٢١ ـ ٢٥ (بحث ليفي بروفنسال) وص ٧١ (بحث الدكتور الكريم الصوصي مولاي ابراهيم) .
٨ ـ وفيات الأعيان ح ٢ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .
٩ ـ مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي ص ٧٢ ـ ٧٣ .
١٠ ـ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٠ . مراكش ص ٧٢ .
١١ ـ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٥ .
١٢ ـ تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٣٤ .
١٣ ـ وصف إفريقيا لليون الافريقي ـ ترجمة عربية ـ ط . الرياض ١٣٩٩ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
١٤ ـ البيان المغرب ٤٠ ص ٢٨ . الحلل الموشية ص ٢٨ .
١٥ ـ البكري ص ١٤١ .
١٦ ـ روض القرطاس ص ١٤١ .
١٧ ـ روض القرطاس ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
١٨ ـ الحلل الموشية ص ٢٥ .
١٩ ـ البيان المغرب ٤٠ ص ٢٩ ـ ٣٠ .
٢٠ ـ جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي ـ ط . الرباط ١٩٦٧ ص ٤٠ ـ ٤١ . روض القرطاس ص ١٤١ . الحلل الموشية ص ٢٨ . البيان المغرب ج ٤ ص ٢٨ . أعمال الأعلام ص ٢٣٥ . تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٩ . الاستقصا ح ٢ من ٢٧ ـ ٢٩ .
٢١ ـ روض القرطاس ص ١٤١ الجزنائي ص ٤١ .
٢٢ ـ الحلل الموشية ص ٢٨ ـ ٣٣ . روض القرطاس ص ١٤٠ ـ ١٤٣ . الاستقصا ح ٢ ص ٢٨ ـ ٣١ .
٢٣ ـ وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٦٦ .
٢٤ ـ روض القرطاس ص ١٤٢ .
٢٥ ـ الحلل الموشية ص ٢٩ . البيان المغرب ج ٤ ص ٢٧ ـ ٢٨ .
٢٦ ـ جذوة المقتبس للحميدي ـ ط . القاهرة ١٩٥٢ ص ٢٨ ـ ٢٩ ، ٧٣ .
٢٧ ـ الذخيرة لابن بسام ج ١ ، ط . القاهرة ١٩٣٠ ص ٤٢ .
٢٨ ـ أعمال الأعلام لسان الدين ابن الخطيب ح ١ ، ط . بيروت ١٩٥٦ ص ٥٩ .
٢٩ ـ ابن عذاري ـ البيان المغرب ـ ط . بيروت ١٩٨٠ ح ٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
٣٠ ـ ابن بسام ق ٤ ح ١ ، ط . القاهرة ١٩٤٥ ص ٤٠ .

٣١ ـ ابن عذاري ج ٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠ .
٣٢ ـ ابن عذاري ج ٢ ص ٢٦٥ .
٣٣ ـ أعمال الأعلام ج ١ ص ٥٨ ـ ٦٦ . وأمتلك في مكتبتي على نسخة مصورة عن مخطوطة ذكر بلاد الأندلس .
٣٤ ـ البيان المغرب ج ٢ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .
٣٥ ـ أعمال الأعلام ج ١ ص ٦٥ .
٣٦ ـ البيان المغرب ج ٢ ص ١٨١ ـ ٢٨٦ .
٣٧ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح بن خاقان الاشبيلي ـ ط . بيروت ١٩٨٣ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩
٣٨ ـ مذكرات الأمير عبد الله ـ أو كتاب التبيان ـ ط القاهرة ١٩٥٥ ص ١٦ ـ ١٨ .
٣٩ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٨ .
٤٠ ـ أعمال الأعلام ج ١ ص ٨٠ ـ ٨١ البيان المغرب ٢ ص ٢٩٣ ، ٣٠١ .
٤١ ـ البيان المغرب ج ٣ ص ٣ .
٤٢ ـ البيان المغرب ج ٣ ص ٣ .
٤٣ ـ البيان المغرب ج ٣ ص ٣ .
٤٤ ـ البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ .
٤٥ ـ البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ .
٤٦ ـ البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ ـ ٣٩ .
٤٧ ـ البيان المغرب ج ٣ ب٣٨ ـ ٥٠ .
٤٨ ـ أعمال الأعلام ج ١ ص ١٤٥ ـ ٢٣٠ .
٤٩ ـ المعجب ص ٧٠ ـ ٧٥ ، ٩٢ ـ ٩٣ .
٥٠ ـ تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ـ ط . مدريد ١٩٧١ ص ٧٤ ـ ٧٦ .
٥١ ـ أزهار البساتين في أخبار الأندلس على عهد المرابطين والموحدين تأليف جان دجيروم طارو ، ترجمة عربية ـ ط . الرباط ١٣٤٩ هـ . ص ٢٣ .
٥٢ ـ الفخري في الآداب السلطانية ـ ط . القاهرة ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ ص ٦٥
٥٣ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٣ .
٥٤ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٣ .
٥٥ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٣ .
٥٦ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٥
٥٧ ـ ملوك الطوائف للمستشرق دوزي ـ ترجمة عربية ـ ط . القاهرة (بلا تاريخ) ص ٥٠٦ ـ ٢٠٧ .
٥٨ ـ الذخيرة لابن بسام (ط . بيروت) ق ٤ . ج ١ ص ١٦٥
٥٩ ـ ملوك الطوائف ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .
٦٠ ـ ابن الكردبوس ص ٨٧ ـ ٨٩ .
٦١ ـ ابن الكردبوس ص ٧٦ ـ ٧٨ .
٦٢ ـ ابن الكردبوس ص ٨٩ .
٦٣ ـ الحلل الموشية ص ٤١ ـ ٤٢ .
٦٤ ـ ابن الكردبوس ص ٨٩ .
٦٥ ـ الحلل الموشية ص ٣٣ .
٦٦ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠١ ـ ١٠٢ .
٦٧ ـ ابن الكردبوس ص ٨٩ ـ ٩٠ .
٦٨ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٢ .

٦٩ ـ الحلل الموشية ص ٤٢ ـ ٤٣ .
٧٠ ـ الحلل الموشية ص ٣٣
٧١ ـ الحلل الموشية ص ٣٨ .
٧٢ ـ الحلل الموشية ص ٤٩ ـ ٥٠ .
٧٣ ـ الحلل الموشية ص ٤٤ ـ ٤٥
٧٤ ـ الحلل الموشية ص ٥١ .
٧٥ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٣ .
٧٦ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٢
٧٧ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٢ ـ ١٠٣
٧٨ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٣ .
٧٩ ـ الحلل الموشية ص ٥١ .
٨٠ ـ لاتمتلك المملكة المغربية الآن أيا من الطرفين فهما مورعان بين ادكلترا واسبانيا
٨١ ـ روض القرطاس ص ١٤٥ ـ ١٤٦
٨٢ ـ الحلل الموشية ص ٥١ ـ ٥٢
٨٣ ـ من مدن الثغر الأدنى قريبة من ماردة الروض المعطار
٨٤ ـ من مدن الثغر الأعلى
٨٥ ـ الحلل الموشية ص ٣٤ ـ ٣٥
٨٦ ـ مدكرات الأمير عبد الله ص ١٠٤ .
٨٧ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٠٤
٨٨ ـ الحلل الموشية ص ٥٦
٨٩ ـ مدكرات الأمير عبد الله ص ١٠٤ ـ ١٠٥
٩٠ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٥
٩١ ـ روض القرطاس ١٤٦ .
٩٢ ـ الحلل الموشية ص ٥٣ ـ ٥٤ .
٩٣ ـ الحلل الموشية ص ٥٧
٩٤ ـ الحلل الموشية ص ٥٩
٩٥ ـ الحلل الموشية ص ٥٩ ـ ٦٠ .
٩٦ ـ ابن الكردبوس ص ٩٤
٩٧ ـ مدكرات الأمير عبد الله ص ١٠٦
٩٨ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٦ روض القرطاس ص ١٤٦ ـ ١٤٩ الحلل الموشية ص ٦٠ ـ ٦٢ الروض المعطار ، مادة رلاقه ،
٩٩ ـ الدكري ص ١٦٦
١٠٠ ـ الحلل الموشية ص ٦١ ـ ٦٢
١٠١ ـ الروض المعطار، مادة رلاقة
١٠٢ ـ الحلل الموشية ص ٦٥ ـ ٦٦
١٠٣ ـ مدكرات الأمير عبد اللهص ١٠٦ ـ ١٠٧
١٠٤ ـ الحلل الموشية ص ٦٦
١٠٥ ـ روض القرطاس ص ١٥١ ـ١٥٢
١٠٦ ـ انظر الملاحق

الفصل الرابع

١ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٠٧
٢ ـ الحلل الدوشية ص ٦٧ .

٣ ـ الحلل الدوشية ص ٦٧ .
٤ ـ الحلل الدوشية ص ٦٧ .
د ـ الحلل الدوشية ص ٦٧ .
٥ ـ روض القرطاس ص ١٥٢ .
٦ ـ الحلل الدوشية ص ٦٧ ـ ٦٨ .
٧ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٠٨ .
٨ ـ روض القرطاس ص ١٥٢ .
٩ ـ الحلل الدوشية ص ٦٩ ـ ٧٠ .
١٠ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٠٩ ـ ١١١ .
١١ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١١٦ ـ ١٢٩ .
١٢ ـ المعجب ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
١٣ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٢٦ .
١٤ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١١٦ ـ ١٢١ .
١٥ ـ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار ـ ط . تونس ١٩٦٧ ص ١٠٨ .
١٦ ـ الحلل الدوشية ص ٧١ .
١٧ ـ سورة الاسراء ـ الآية : ٨١ .
١٨ ـ سورة الاسراء ـ الاية : ٨١ .
١٩ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٤٦ ـ ١٥٠ .
٢٠ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .
٢١ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٥٠ ـ ١٦١ .
٢٢ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .
٢٣ ـ الحلل الدوشية ص ٧١ ـ ٧٢ .
٢٤ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
٢٥ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .
٢٦ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .
٢٧ ـ المعجب ص ١٣٩ .
٢٨ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٩ .
٢٩ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٩ ـ ١٧١ . المعجب ص ١٤٠ ـ ١٤٢ . الحلل الدوشية ص ٧٢ ـ ٧٤ . روض القرطاس ص ١٥٤ ـ ١٥٥ . نهاية الارب ج ٢٤ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .
٣٠ ـ المعجب ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .
٣١ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٧١ .
٣٢ ـ أزهار البساتين ص ٧١ ـ ٧٢ .
٣٣ ـ مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .
٣٤ ـ روض القرطاس ص ١٥٥ ـ ١٥٦

obeikan.com

٣٥ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٧٢ .
٣٦ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٧٣ .
٣٧ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .
٣٨ ـ مذكرات الأمير عبد الله ص ١٧٥ .
٣٩ ـ الحلل الموشية ص ٧٥ ـ ٧٦ .
٤٠ ـ الحلل الموشية ص ٨١ ـ ٨٢ . وتم الاستيلاء على الثغر الأعلى من قبل المرابطين سنة ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩ م ، بعد وفاة يوسف بن تاشفين وولاية ابنه علي بن يوسف ، وبذلك غدت ديار الأندلس كلها ولاية مغربية .
٤١ ـ الحلل الموشية ص ٧٧ ـ ٧٨ .
٤٢ ـ المعجب ص ١٦٣ ـ ١٦٤
٤٢ ـ المعجب ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .
٤٤ ـ الحلل الموشية ص ٨١ ـ ٨٣ .
٤٥ ـ أزهار البساتين ص ٧٥ ـ ٧٦ .

obeikandl.com

الفصل الخامس

١ ـ انظر كتابي التأريخ عند العرب ـ ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١٦٠ ـ ١٨٨

٢ ـ البحر المتوسط لأميل لودفيغ ـ ترجمة عربية ط . القاهرة ١٩٥٢ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٤ .

٣ ـ ابن عذاري ج ١ ص ١٠٦١ . الدولة الاغلبية لمحمد الطالبي ـ ترجمة عربية ، ط ، بيروت ١٩٨٥ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٥ . المسلمون في جزيرة صقلية لأحمد توفيق المدني ـ ط . الجزائر ١٣٦٥ ص ٥٢ ـ ٥٦ .

٤ ـ جمع المرحوم الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب مادة جيدة حول هذا الموضوع في كتابه أوراق فليراجع .

٥ ـ رياض النفوس للمالكي ـ ط . بيروت ١٩٨٣ ج ١ ص ٢٥٤ ـ ٢٧٣ المقفى للمقريزي ـ ط . بيروت ١٩٩١ ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦٢ البيان المغرب ح ١ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٦ ـ الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

٧ ـ رياض النفوس ج ١ ص ٢٥٤ ـ ٢٧٣ . أعمال الأعلام ج ٣ ص ١٠٩ ـ ١١١ والمقفى للمقريزي ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦٢ . البيان المغرب ج ١ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٦ ـ ١٨٨ . المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا لأحمد توفيق المدني ص ٥٧ ـ ٦٣ . تاريخ صقلية الاسلامية لعزيز أحمد ـ ترجمة عربية ، ط ليبيا ١٩٨٠ ص ١٣ ـ ١٥ . الدولة الاغلبية لمحمد الطالبي ـ ط . بيروت ١٩٨٥ ص ٤٣١ ـ ٤٦٧ .

٨ ـ المكتبة الصقلية ص ٤ ، ٢٥ ـ ٢٧ .

٩ ـ المكتبة الصقلية ص ٧٤ ـ ٧٥

١٠ ـ المكتبة الصقلية ص ٢٥ ـ ٧٤ .

١١ ـ أعمال الأعلام ح ٣ ص ١٠٩ ـ ١٢١ . المكتبة الصقلية ص ١٦٣ ـ ٥٤٥ المدني . ص ٦١ ـ ١٠٠ . عزيز أحمد ص ١٣ ـ ٣١ العرب في صقلية ص ٣١ ـ ٥٧ . تاريخ المسلمين في البحر المتوسط لحسين مؤنس ـ ط . القاهرة ١٩٩١ ص ٦٦ ـ ٧٦ . بيزنطة ومسلمو جنوب ايطاليا وصقلية لوديع فتحي عبد الله . ط . الاسكندرية ١٩٩٢ ص ٧ ـ ٢٨ . الدولة الاغلبية ص ٤٤٩ ـ ٥٩٩ .

١٢ ـ أضواء جديدة على المرابطين لعصمت عبد اللطيف دندش ـ ط . بيروت ١٩٩١ ص ١١ ـ ٣٦ .

١١ ـ أعمال الأعلام ج ٣ ص ١٢٣ .

١٤ ـ أعمال الأعلام ج ٣ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ . المكتبة الصقلية ص ٤٧٩ ـ ٤٨٥ . المدني ص ١٢٣ ـ ١٦٤ . عزيز أحمد ص ٣٧ ـ ٤٨ العرب في صقلية ص ٤٤ ـ ٤٩

١٥ ـ المكتبة الصقلية ص ٢٥ ـ ٢٦ .

١٦ ـ القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط لأرشيد بالد اويس ـ ترجمة عربية ، ط . القاهرة ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

١٧ ـ درس تاريخ جزر البليار بشكل جيد في كتاب جزر الأندلس المنسية للدكتور عصام سالم سيسالم ، ط . بيروت ١٩٨٤

١٨ ـ مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠

١٩ ـ مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٧ ـ ٤٥٠ .

٢٠ ـ الولاة والقضاة للكندي ـ ط . بيروت ١٩٠٨ ص ١٥٨ .

٢١ ـ الكندي ص ١٥٤ ـ ١٦٤ .

٢٢ ـ الكندي ص ١٦٥ ـ ١٧٢
٢٣ ـ كتابي تاريخ العرب والاسلام ـ ط بيروت ١٩٧٥ ص ٤٦٦ .
٢٤ ـ روض القرطاس ص ٤٧ .
٢٥ ـ الحلة السيراء ـ ط القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٤٥
٢٦ ـ الكندي ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .
٢٧ ـ العرب والروم لفازلييف ـ ترجمة عربية ـ ط القاهرة ص ٥٥ . الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية لاسمت غنيم ـ ط جدة ١٩٧٧ ص ٤١ ـ ٤٢ .
٢٨ ـ العرب والروم ص ٧٥ غنيم ص ٤٣
٢٩ ـ العرب والروم ص ٥٨ . غنيم ص ٤٥ ـ ٤٦
٣٠ ـ فازلييف ص ٦٠ ـ ٦١ غنيم ص ٤٩ ـ ٥٧ .
٣١ ـ غنيم ص ١٩٤ ـ ٢٠٦ .
٣٢ ـ مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٠ ـ ٤٥٤ .

obeikandl.com

حواشي الملاحق

١ ـ سورة محمد ـ الآية : ٣٥ .
٢ ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز النصراني ، وتسمية المصادر المسيحية « كرستو بـولوص » .
٣ ـ كذا بالاصل ، والصحيح « عبد الله » .
٤ ـ زيد مابين الحاصرتين من نهاية الارب للنويري ج ٢٤ ص ٢٥٧ .
٥ ـ انحنى أمامه مسلما عليه .
٦ ـ بداية سقط بالاصل ـ انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٩٩ .
٧ ـ القليس كيل للقمح يساوي ١٥٠ رطلا ، أو ثماني ويبيات .
٨ ـ أي المخازن .
٩ ـ ميخائيل الخامس (١٠٤١ ـ ١٠٤٢) .
١٠ ـ جاء بعد ميخائيل الخامس قسطنطين التـاسع (١٠٤٢ ـ ١٠٥٤) بعـد زواجـه مـن الامبراطورة العجوز زوي .
١١ ـ الجؤجؤ هو الصدر . القاموس .
١٢ ـ زيد ما بين الحاصرتين من اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٤٠
١٣ ـ زيد ما بين الحاصرتين من اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٤١ .
١٤ ـ من كتاب التشوف للتادلي ص ٦٦ ـ ٦٧ .
١٥ ـ نقلا عن كتاب الاسلام في المغرب والأندلس لليفي بروفنسال ص ١١٥ ـ ١١٨ .
١٦ ـ من كتاب رسائل اندلسية ص ٢٢٥ ـ ٢٤٣ ، والباجي هو أبو الوليد سليمان بن خلف (٤٠٣ ـ ٤٧٤ هـ) كان أعظم علماء المالكية في الاندلس ، وأعظمهم نتاجا في عصره ، له تـرجمة جيدة في تاريخ دمشق لابن عساكر .
١٧ ـ زيادة اقتضاها السياق .
١٨ ـ سورة فصلت ـ الآية : ٤٢ .
١٩ ـ سورة الاعراف ـ الآية : ٤٣ .
٢٠ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٥٨ .
٢١ ـ سورة المؤمنون ـ الآية : ٥١ .
٢٢ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٦٥ .
٢٣ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٥٧ .
٢٤ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٣ .
٢٥ ـ سورة هود ـ الآية ٨٨ .
سورة البقرة ـ الآية : ٢٠ .
٢٧ ـ سورة الأسراء ـ الآية : ٨٨ .
٢٨ ـ سورة الفرقان ـ الآية ٢٧ .
٢٩ ـ سورة النبأ ـ الآية . ٤٠ .
٣٠ ـ سورة هود ـ الآية . ١٨ .
٣١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٦٤ .
٣٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٦١ .
٣٣ ـ سورة طه ـ الآية ٤٧ .

٣٤ ـ من كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ص ٤٤٢ ـ ٤٤٦ .
٣٥ ـ سورة الانفال ـ الآية ٥٨ .
٣٦ ـ سورة الحجرات ـ الآية ٣ .
٣٧ ـ سورة المائدة ـ الآية ٥٤ .
٣٨ ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٦٦ .
٣٩ ـ سورة الانفال ـ الآية ٣٧ .
٤٠ ـ سورة العنكبوت ـ الآية ١١ .
٤١ ـ القطيعة عند المغاربة المال المفروض على العدو كل عام ، ويقابله في اصطلاح المشارقة « الهدية » ، وكلاهما نوع من أنواع الجزية ضمنت بها المهادنة من المسلمين .
٤٢ ـ سورة التوبة ـ الآية ٥٢ .
٤٣ ـ من مدن الثغر الادنى في غرب الاندلس ، قريبة من ماردة ـ الجغرافية لابن سعيد ص ١٧٩ الروض المعطار للحميري
٤٤ ـ من مدن اشتالة القديمة ، وكانت ضمن بلدان الثغر الاعلى
٤٥ ـ كانت العرب قبل الاسلام ترى أن الهامة طائر يخرج من رأس الميت ، وكانوا يقولون إن القتيل تخرج هامه من هامته ـ أي من رأسه ـ فلا تزال تقول : اسقوني ، اسقوني ، حتى يقتل قاتله
لسان العرب .
٤٦ ـ أي التمائم ـ ج تميمة ـ التي يكتبها الساحر ، ومنها جاء اسم العزام
٤٧ ـ سورة الحشر ـ الآية ١٤ .
٤٨ ـ سورة التوبة ـ الآية ٣٢ .
٤٩ ـ كان آل عباد من أسرة رفعت نسبها إلى المناذرة ملوك الحيرة ، الذين كانوا من أصل يماني ، ومعروف أن حمير التي ينسب الملثمون انفسهم إليها من أصل يماني ، وكانت دولة حمير آخر دولة حكمت اليمن قبيل ظهور الاسلام ، ولذلك قام ابن عباد بمخاطبة يوسف بن تاشفين هكذا .
٥٠ ـ سورة الفتح ـ الآية ١٦ .
٥١ ـ سورة التوبة ـ الآية ١٤ .
٥٢ ـ ديوان المتنبي ط . بيروت ١٩٢٦ ص . ٥
٥٣ ـ سورة الزمر ـ الآية ٦٩ .
٥٤ ـ انظر سورة المجادلة ـ الآيتان ١٢ ـ ١٣ .
٥٥ ـ الذماء بقية الروح .
٥٦ ـ سورة الاعراف ـ الآيتان ١٨٢ ـ ١٨٣ .
٥٧ ـ من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ج ١٠ ص ٣١ ، نقلا عن رسائل ابن دوصلايا كاتب الخليفة القائم
٥٨ ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٠٢ .
٥٩ ـ سورة فصلت ـ الآية ٤٢ .
٦٠ ـ سورة النساء ـ الآية ١٠٣ .
٦١ ـ سورة التوبة ـ الآية ١٨ .
٦٢ ، سورة الجمعة ، الآية ٩ .
٦٣ ـ سورة التوبة ـ الآية ١٠٣ .
٦٤ ـ سورة البقرة ـ الآية ٤٤ .
٦٥ ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٥٩ .
٦٦ ـ سورة النحل ـ الآية ٩٠ .

٦٧ ـ سورة آل عمران ـ الآية ١١٠ .
٦٨ ـ سورة النساء ـ الآية ١٢٣ .
٦٩ ـ سورة النساء ـ الآية ٥٨ .
٩٦ ـ سور النساء ـ الآية ٥٨ .
٧٠ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٢٩ .
٧١ ـ سورة المائدة ـ الآية ٢ .
٧٢ ـ سورة المائدة ـ الآية ٣٣ .
٧٣ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٦٠ .
٧٤ ـ سورة الاسراء ـ الآية . ٣٤ .
٧٥ ـ سورة المطففين ـ الآية .١
٧٦ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٤١ .
٧٧ ـ سورة ابراهيم ـ الآية ٧ .
٧٨ ـ نقلا عن مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ١٠٢٠ .
٧٩ ـ سورة المائدة ـ الآية ٣٢ .
٨٠ ـ كذا بالأصل ولا وجه لها .
٨١ ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٧٣ .
٨٢ ـ سورة البقرة ـ الآية ١٢٣ .
٨٣ ـ سورة النساء ـ الآية . ٥٩ .
٨٤ ـ سورة آل عمران ـ الآية . ٣٠ .
٨٥ ـ سورة الأحزاب ـ الآيتان : ٧٠ ـ ٧١ .
٨٦ ـ سورة النور ـ الآية : ٥٥ .
٨٧ ـ سورة النساء الآية : ٥٩ .
٨٨ ـ نقلا عن المخطوط الرباطي نفسه رقم ١٠٢٠ .
٨٩ ـ سورة الحجرات ـ الآية : ٩
٩٠ ـ سورة الانسان ـ الآية ٢٠ .
٩١ ـ نقلا عن المخطوط الرباطي نفسه رقم ١٠٢٠.
٩٢ ـ سورة ص ـ الآية ٢٦ .
٩٣ ـ سورة الحج ـ الآية . ٤١ .
٩٤ ـ سورة الأحزاب ـ الآية . ٧٢ .
٩٥ ـ سورة الاحزاب ـ الآية ٧٢
٩٦ ـ سورة الذاريات ـ الآية : ٢٣ .
٩٧ ـ سورة المائدة ـ الآية ٧٩ .
٩٨ ـ سورة الكهف ـ الآية . ٤٩ .
٩٩ ـ سورة الفرقان ـ الآية ٧
١٠٠ ـ سورة الأحقاف ـ الآية ٢٠ .
١٠١ ـ سورة طه ـ الآية : ١٣١ .
١٠٢ ـ سورة التوبة ـ الآية . ٦٠ .
١٠٣ ـ سورة مريم ـ الآية ٤ .
١٠٤ ـ سورة القيامة ـ الآية ٢٩ .
١٠٥ ـ سورة القيامة الآية ١٩ .
١٠٦ ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٦٩
١٠٧ ـ سورة التوبة ـ الآية : ١١١ ؛

obeikandl.com

١٠٨ ـ سورة الصدف ـ الآية ١٠ .
١٠٩ ـ سورة الأحزاب ـ الآية . ٢٣ .
١١٠ ـ سورة التوبة ـ الآية ٢٩ .
١١١ ـ سورة الأنعام ـ الآية ٥٤ .

obeikandl.com

جريدة بأهم المصادر والمراجع

ـ المصادر :

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .

كتاب التكملة . القاهرة ١٩٥٦ م .

ـ الحلة السيراء ، جزءان ، تحقيق د . حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣ م .

ـ المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي . القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م .

ابن الاثير : أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٣ م) .

ـ الكامل في التاريخ . بيروت ١٣٨٦ ه / ١٩٦٦ م .

ـ ابن الأحمر (اسماعيل) بيوتات فاس الكبرى ـ الرباط ١٩٧٢ .

ابن أبي أصيبعة :

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٠ ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م .

الأصفهاني :

ـ خريدة القصر وجريدة العصر . قسم المغرب والأندلس . تحقيق محمد المرزوقي ـ محمد العمروسي المطوي ـ الجيلاني بن الحاج يحيى . تونس ١٩٧١ م .

اماري ميشيل :

ـ المكتبة العربية الصقلية ، ليبزغ ١٨٧٥ م .

البكري : عبد الله بن عبد العزيز المرسي (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٨٤ م) .

ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (نشره دي سلان وهو مأخوذ من كتاب المسالك والممالك . الجزائر ١٩١١ م) .

ابن بسام : أبو الحسن الشنتريني (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م) .
ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ/١١٨٣ م) .
ـ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦ م .
البيذق : أبو بكر الصنهاجي (القرن السادس الهجري) .
ـ أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين . تصحيح وترجمة لافي بروفنسال باريس ١٩٢٨ م .
التطيلي .
ـ ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٣ م .
ابن تغري بردي :
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٥ م .
جان وجيروم طارو :
ـ أزهار الرباتين في أخبار الأندلس والمغرب . ترجمة أحمد بلا فريج ومحمد الفاسي . الرباط ١٣٤٩ هـ .
ابن جبير : محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧ م) .
ـ رحلة ابن جبير . القاهرة ١٩٥٥ م .
الجزنائي : أبو الحسن علي .
ـ زهرة الآس في بناء مدينة فاس . نشر الفريد بيل . الجزائر ١٩٢٣ م .
ابن الحداد الأندلسي :
ـ ديوان ابن الحداد الأندلسي . تحقيق يوسف علي طويل . بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .
الحموي (ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م) .

ـ معجم البلدان . دار صادر بيروت .

الحميدي : أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) .

ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس . تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢ م .

الحميري : (عبد المنعم السبتي (توفي أواخر القرن التاسع الهجري) .

ـ الروض المعطار في أخبار الأقطار . تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ م .

ـ صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ١٩٦٢ م .

ابن حوقل .

ـ صورة الأرض ، ليدن ١٩٢٨ م .

ابن خاقان : أبو نصر الفتح محمد القيسي الاشبيلي (ت ٥٣٥ هـ / ١١٣٤ م) .

ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان . في طبعتين ، الطبعة الأولى صدرت بالقاهرة . ١٣٢هـ الطبعة الثانية تصحيح عبد سليمان الحرايري ١٢٧٧هـ .

ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) .

ـ اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام . نشر منه الجزء الخاص بتاريخ الأندلس في بيروت ١٩٥٦ م ، تحقيق ليفي بروفنسال ، وبعنوان « تاريخ إسبانيا الاسلامية » . ونشر الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية ، في الدار البيضاء عام ١٩٦٤ م ، تحقيق أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني ، بعنوان « تاريخ المغرب في العصر الوسيط » .

ـ الاحاطة في أخبار غرناطة . حققه محمد عبد الله عنان . القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .

ـ رقم الحلل في نظم الدول ، تونس ١٣١٧هـ .

ابن خفاجة . تحقيقي السيد مصطفى غازي ، الاسكندرية ١٩٦٠ م .

ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١ ، ٤ ، ٦ ، طبعة بيروت ١٩٥٩ م ، ١٩٦١ م .

ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .

ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

القاهرة ١٩٥٠ م ، طبعة أخرى تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م .

ابن أبي دينار : محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (أواخر القرن الحادي عشر الهجري) .

ـ المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، تونس ١٩٦٧ م .

ابن دراج القسطلي :

ـ ديوان ابن دراج القسطلي . نشر محمود مكي ، دمشق ١٩٦١ م .

ابن أبي زرع الفاسي :

ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ١٩٧٣ م .

الزجالي :

ـ أمثال العوام في الأندلس ، تحقيق محمد بن شريفة ، فاس المغرب ١٩٧١ .

الزركشي : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (القرن التاسع عشر) .

ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، تونس ١٩٦٦ م .

ـ ابن زيدان :
ـ العز والصولة في معالم نظام الدولة ـ نشر عبد الوهاب بن منصور . الرباط ١٩٦١ م .
الزيري : (الأمير عبد الله بن بلقين الزيري) .
ـ مذكرات الأمير عبد الله ، المسماة بكتاب التبيان . تحقيق ليفي بروفنسال . مصر ١٩٥٥ م .
ـ رسائل أندلسية . تحقيق د . فوزي عيسى . كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٨٩ م .
ـ رسائل ومقامات أندلسية . تحقيق فوزي سعد عيسى .
ابن رشد :
ـ مسائل أبي الوليد بن رشد . تحقيق ودراسة محمد بن الحبيب التجكاني . لنيل درجة الماجستير . دار الحديث الحسنية . الرباط مطبوعة على الآلة الكاتبة ١٩٧٧ م .
ابن رشد القرطبي :
ـ المقدمات الممهدات . جزان . تحقيق سعيد أعراب. بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
ابن سعيد المغربي :
ـ بسط الأرض بالطول والعرض . تحقيق خوان قرنيط خينيس . تطوان ١٩٥٨ م .
ـ المغرب في حلى المغرب . جزان ، القاهرة ١٩٥٣ م .
السلاوي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣٥١هـ / ١٨٩٧ م) .
ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
ابن صاحب الصلاة : عبد الملك (٥٩٤ هـ / ١١٠٢ م) .
ـ تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، السفر الثاني ، تحقيق عبد الهادي التازي .

الضبي : أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) .

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس . دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م .

الطرطوشي : أبو بكر (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٣٥ م) .

ـ الحوادث والبدع . تحقيق محمد الطالبي . تونس ١٩٥٩ م .

ـ سراج الملوك . تحقيقي جعفر البياتي . لندن .

العاملي :

ـ الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة . تحقيق محمود علي مكي ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م ، مصر الجديدة ، نوفمبر ١٩٧٨ م .

ابن عبد ربه :

ـ العقد الفريد . تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٥٣ م

ابن عبد الرفيع :

ـ معين الحكام على القضايا والأحكام . تحقيق محمد بن قاسم ابن عياد ، بيروت ١٩٨٨ م .

ابن عبدون : محمد بن أحمد التجيبي :

ـ ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب . تحقيق ليفي بروفنسال ، المعهد العلمي للآثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥ م .

ط ابن عذاري : أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م) .

ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . قطعة تتعلق بتاريخ المرابطين نشرها ويثي ميراندا في مجلسة هسبيرس ١٩٦١ م .

ـ البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب . القسم الثالث . عني بنشره امبروسي هويس مراندة ، محمد بن تاويت ، محمد إبراهيم الكتاني . تطوان ١٩٦٠ م .

ابن العربي : أبو بكر (ت بفاس ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م) .

ـ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الذبي (ص) . تحقيق محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٧١ م .

الغنية . فهرست شيوخ القاضي عياض ٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ / ١٠٨٣ ـ ١١٤٩ م .
تحقيق ماهر جرار ، دار الغرب الاسلامي . بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٨٢ م .
ابن قزمان : ديوان ابن قزمان . ف كور نيطي ، المعهد العربي للثقافة ، مدريد ١٩٨٠ م .
القرشي :
ـ معالم القربة في أحكام الحسبة . تحقيق محمد محمود شعبان ـ صديق حمد ـ عيسى المطيعي . الهيئة العامة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٦ م .
ابن القطان : أبو الحسن علي بن محمد الكناني الفاسي (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٣٠ م) .
ـ نظم الجمان في أخبار الزمان . تحقيق محمود مكي ، الرباط ١٩٦٤ م ، بيروت ١٩٩٠ م .
القفطي :
ـ أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ
ابن القلانسي :
ـ تاريخ دمشق . تحقيق د . سهيل زكار . دمشق ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
ابن الكردبوس :
ـ كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ـ القسم الخاص بالأندلس . نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي ، مدريد ١٩٧١ م .
ليفي بروفنسال :
ـ مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية . الرباط ١٩٤١ م .
الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (٤٥٠ هـ/ ١٩٥٧ م) .
ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية . تصحيح الغساني ، القاهرة ١٩٠٩ م .

ـ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، بيروت ١٩٨٧ م .

المجيلدي :

ـ كتاب التيسير في أحكام التسعير . تحقيق موسى لقبال ، الجزائر ١٩٨٢ م .

المراكشي : ابن عبد الملك (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٤ م) .

ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . السفرين الرابع والخامس . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٤ م .

المراكشي : عبد الواحد (كان حيا في الربع الاول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي) .

ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩ م .

مقديش : ـ نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار . تحقيق علي الزواوي . محمد محفوظ ، بيروت ١٩٨٨ م .

المقري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١ م) .

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . بيروت .

ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب . المحمدية ١٩٨٠ م .

المكناسي :

ـ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس . الرباط ١٩٧٣ م .

الملزوزي (عبد العزيز) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ـ الرباط ١٩٦٣

مؤلف مجهول

ـ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية . حققه د . سهيل زكار . أ . عبد القادر زمامة . الدار البيضاء ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م .

مؤلف مجهول :
ـ الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، الجزائر ١٩٢٠ م .
مؤلف مجهول .
ـ كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس . تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا ، مدريد ١٩٦٥ م.
مؤلف مجهول :
ـ مفاخر البربر . تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ م .
الذباهي :
ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . القاهرة .
الذويري : شهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) .
ـ نهاية الأرب في فنون الأدب . دار الكتب ، القاهرة .
الونشريسي :
ـ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب . نشر وزارة الأوقاف . المملكة المغربية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
ـ المراجع :
ابراهيم الفيفي محمود ـ بنوزيري وعلاقتهم السياسية بالقوى الاسلامية في حوض البحر المتوسط . القاهرة ١٩٨٩ .
أحمد أمين . ظهر الاسلام . القاهرة ١٩٥٣ م .
أرسلان (شكيب) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، جزأن ، القاهرة ١٩٣٦ م .
تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزر البحر المتوسط . القاهرة (عيسى البابي الحلبي وشركاه)
ارشيبالد لويس . القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط .
ترجمة محمد أحمد عيسى .
أرنست كونل . الفن الاسلامي . ترجمة أحمد موسى ، بيروت ١٩٦٦ م .

اسرائيل ولفنسون . موسى بن ميمون . القاهرة ١٩٣٦ م .
اعراب (سعيد) مع القاضي أبي بكر بن العربي . بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
اشباخ . تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين . جزآن ، ترجمة محمد عبد الله عنان . القاهرة ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ م .
الأصيبعي . الشرطة في النظم الاسلامية والقوانين الوضعية . دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون . طرابلس ١٣٩٩ هـ / ١٩٩٠ م .
البتنوني (محمد لبيب) رحلة الأندلس . ترجمة محمود عبد العزيز سالم ، القاهرة .
البعلي (فؤاد) فلسفة اخوان الصفا الاجتماعية والأخلاقية . بغداد ١٩٥٨ م .
بوز (فارس) الأوضاع الداخلية للأندلس وعلاقاتها بالمغرب في ظل المرابطين . رسالة ماجستير . دمشق .
التازي . التاريخ الدبلوماسي للمغرب . المجلد الخامس . جزآن ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .
التليدي . المطرب في مشاهير أولياء المغرب ، طنجة ١٩٨٧ م .
الحجي . التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة ، بيروت ١٩٧٦ م .
حسن إبراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ القاهرة ١٩٦٧ م .
حسين . تاريخ المغرب والاندلس في عصر المرابطين دولة علي ابن يوسف المرابطي ، الاسكندرية ١٩٨٦ م .
حمادة . الوثائق السياسية والادارية ١٤٠٠هـ / ١٩٨١ .
دندش . أضواء جديدة على المرابطين ، بيروت ١٩٩١ م .
دندش . الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني . دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

دوزي . ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام . ترجمة كامل الكيلاني ، القاهرة ١٣٤١ هـ/ ١٩٣٣ م .

ديورانت . قصة الحضارة ج ٤ . ترجمة محمد بدران ، القاهرة .

رينو (جوزيف) الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا . بيروت ١٩٨٤ .

زغلول . محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والاندلس ، بيروت ١٩٧٣ م .

زكار ، التاريخ العباسي والاندلسي ، دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨٢ م .

سالم (سحر عبد العزيز سالم) مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٩٠

سالم (عبد العزيز السيد سالم)محمد أبو الفضل . تاريخ مدينة المرية الأندلسية . الاسكندرية ١٩٨١ م .

شرارة (عبد اللطيف) أبو الوليد ابن زيدون ، بيروت ١٩٨٨ م .

الشكعة . الأدب الأندلسي . بيروت ١٩٧٢ م .

الشيخ (محمد محمد موسى) دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي . الاسكندرية ١٩٩٠

طرخان المسلمون في أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٦ م

العبادي . دراسات في تاريخ المغرب والأندلس . الاسكندرية ١٩٦٨ م .

العبادي .الصقالبة في إسبانيا ، مدريد ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٣ م .

العبادي . صور وبحوث من التاريخ الاسلامي ، القاهرة ١٩٥٣ م .

علام . دولة الموحدين بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، القاهرة ١٩٧١ م .

عنان . أندلسيات . الكتاب العشرون ١٩٨٨ م .

عنان . عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

عنان . نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين . العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الأندلس . القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م .

غنيم (اسمت) الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ـ جدة ١٩٧٧ .

فازلييف ـ العرب والروم . القاهرة (دار الفكر العربي) .

قربه (صالح بن) المسكوكات المغربية . الجزائر ١٩٨٦ .

كول (ماك) الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة . الدار البيضاء (دار الثقافة)

لقبال (موسى) الحسبة المذهبية في بلاد المغرب . نشأتها وتطورها . الجزائر ١٩٧١ .

محمود (حسن أحمد محمود) قيام دولة المرابطين . القاهرة ١٩٥٧ م .

محمود (منى حسن) المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة . القاهرة ١٩٨٦ .

مؤنس (حسين) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس . القاهرة ١٩٨٦ م .

المحتوى

٣ ـ توطئة
٥ ـ الفصل الأول ـ المغرب والاندلس من الفتح حتى العصر المرابطي
٨ ـ فتح المغرب
٢١ ـ فتح الاندلس والتوسع في اوربة
٣٦ ـ عصر الولاة
٥٨ ـ عصر الامارة الاندلسية
٦١ ـ عبد الرحمن الداخل
٧٣ ـ هشام الرضا
٧٥ ـ الحكم الربضي
٨٠ ـ عبد الرحمن الثاني
٨٤ ـ من الامارة الى الخلافة
٩٥ ـ عبد الرحمن الثالث واعلان الخلافة
١٠٠ ـ الحكم الثاني
١٠٢ ـ هشام الثاني والاستبداد العامري
١٠٧ ـ الفصل الثاني ـ قيام حركة المرابطين
١٣٧ ـ الفصل الثالث ـ يوسف بن تاشفين وقيام دولة المرابطين بالمغرب والجواز الاول الى الاندلس
١٨٦ ـ الفصل الرابع ـ يوسف بن تاشفين وتوحيد الاندلس وازالة دولة الطوائف
٢٠٩ ـ الفصل الخامس ـ العرب والصراع للسيطرة على البحر المتوسط
٢٤٤ ـ ملاحق الكتاب
٢٤٦ ـ اسد بن الفرات
٢٤٩ ـ جرجي الانطاكي
٢٥٢ ـ جعفر بن محمد الكلبي
٢٥٥ ـ جعفر بن يوسف الكلبي (تاج الدولة)
٢٥٦ ـ جوهر الصقلي
٢٥٩ ـ الحسن بن علي ـ الوزير الياروري
٢٩٥ ـ الحسن بن عمار الكلبي
٣٠١ ـ محمد بن حسن الكلبي
٣٠٢ ـ واضح بن رزق
٣٠٣ ـ رسالة جوابية من الخليفة الحكم المستنصر الى الامبراطور البيزنطي نيقوفيل
٣٠٦ ـ رسالة الراهب يشوع ورد الناحي عليها
٣٢٦ ـ رسالتا المعز لدين الله الفاطمي الى الامبراطور البيزنطي دشنان كريت والى كافور الاخشيدي حول الشأن نفسه
٣٢٧ ـ رسالة من الخليفة الحافظ الفاطمي الى روجر المتغلب على صقلية
٣٣٦ ـ تعميم صدر عن يوسف بن تاشفين دشنان اتخاذه للقب امير المسلمين
٣٣٧ ـ رسالة جوابية من المتوكل على الله بن الافطس الى الفونسة السادس
٣٣٩ ـ رسالة المتوكل على الله بن الافطس الى يوسف بن تاشفين يستنجد به

obeikandl.com

٣٤١ ـ رسالة من الفونسو السادس الى المعاتمد بن عباد وجوابه عليها
٣٤٤ ـ رسالتا استصراخ من المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين وجوال يوسف عليهما
٣٤٩ ـ رسالة من الفونسو السادس الى يوسف بن تاشفين
٣٥٠ ـ رسالتا بشارة بنصر الزلاقة من المعتمد بن عباد الى اهل اشبيلية
٣٥٣ ـ رسالتا بشارة بنصر الزلاقة ارسلتا الى اشبيلية
٣٥٦ ـ رسالة تهنئة من أبي عبيد البكري إلى المعتمد بن عباد بعد نصر الزلاقة
٣٥٨ ـ الخطاب الذي بعث به يوسف بن تاشفين الى اشياخ المغرب حول معركة الزلاقة
٣٦٠ ـ رسالة يوسف بن تاشفين إلى الزيريين في افريقية
٣٦٦ ـ رسالة من يوسف بن تاشفين الى المستعين بالله احمد بن يوسف بن هود
٣٦٧ ـ رسالة البابا غريغوار السابع الى صاحب قلعة بني حماد
٣٧١ ـ عهد من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ليوسف بن تاشفين
٣٨٤ ـ نص المذكرة التي رفعها ابن العربي الى الخليفة المستظهر
٣٩٤ ـ الخطاب الذي وجهه ابن عربي الى حجة الاسلام الامام الغزالي
٣٩٨ ـ رسالة الغزالي الى يوسف بن تاشفين
٤٠٢ ـ رسالة من الامام الطرطوشي الى يوسف بن تاشفين
٤١٣ ـ الحواشي والهوامش
٤٣٠ ـ جريدة المصادر والمراجع

obeikandl.com

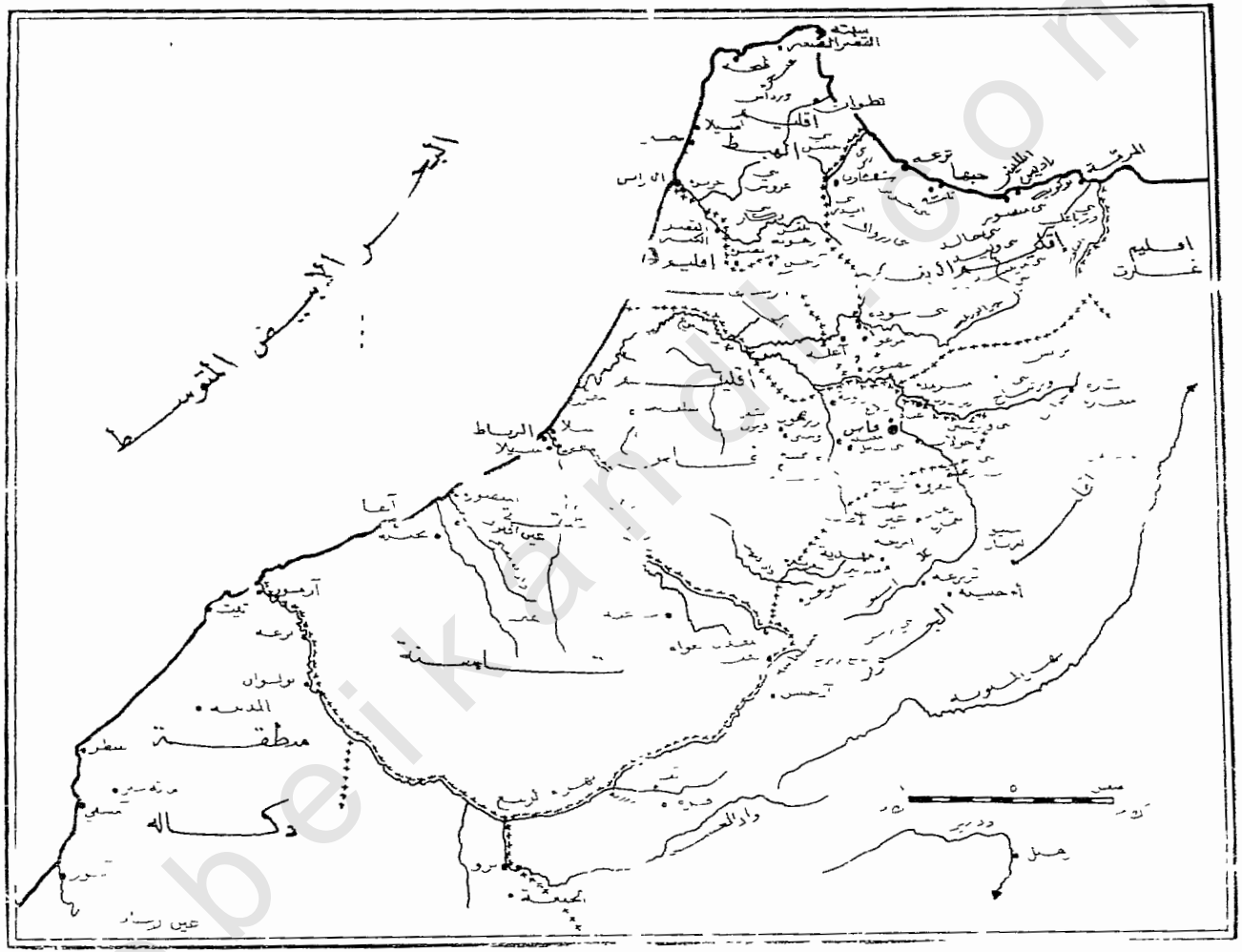
البحر الأبيض المتوسط
الرباط
سلا
فاس
مكناسة
مدينة
مطقة
دكاله
الجديدة
أزمور
آسفي
الصويرة
الجزيرة
أحسية
تازة
تلمسان
وجدة
مليلية
الحسيمة
إقليم
غمارت